

الدكتور
عبد الله محمد جمال الدين
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان

أو

السند والبنجاب

إلى آخر فترة الحكم العربي

١٥ - ٤١٦هـ / ٦٣٦ - ١٠٢٥م



القاهرة



الدكتور
عبدالله محمد جمال الدين
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان
أو
السند والبنجاب
إلى آخر فترة الحكم الغزنوي
١٥ - ٤١٦هـ / ٦٣٦ - ١٠٢٥م



القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إثراء فكرى تقدمه رابطة الجامعات الإسلامية

دأبت الجامعات الإسلامية على تقديم بعض الأعمال العلمية التى ترى فيها نفعًا عاما للمسلمين ومساهمة فعّالة في تحقيق رسالتها وأهدافها .

وقد نشرت الرابطة فى هذا السبيل عددا من الدراسات التى عالجت قضايا ذات أهمية حيوية ، وقامت الرابطة بتزويد عدد من المكتبات الجامعية بهذه الدراسات كما قدمتها هدية لأعضاء كثير من المؤتمرات التى عقدتها بالتعاون مع الجامعات العربية والإسلامية ، والمراكز الثقافية الإسلامية والعربية .

إن رابطة الجامعات الإسلامية التى نشأت منذ ثلاث وعشرون سنة (١٣٨٩هـ) فى مدينة « فاس » بالمغرب شهدت فى عهد معالى الأستاذ الدكتور / عبد الله بن عبدالمحسن التركي - رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - تقدما كبيرا وانطلاقا فى مشاركات إسلامية عالمية على مستوى المؤتمرات والبحوث فى شتى بلاد الإسلام من أقصى المغرب العربى إلى الهند وباكستان وماليزيا مرورا بتونس والجزائر والسودان .. فضلا عن مصر التى تأتى فى طليعة الدول التى عقدت فيها الرابطة عددا كبيرا من الندوات ونشرت كثيرا من الدراسات .

وهذا البحث الذى تقدمه رابطة الجامعات الإسلامية اليوم بتوجيه من معالى رئيسها الدكتور / عبدالله بن عبد المحسن التركي إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية ، ومعالجة حية لقضية تحتاج إلى الكشف عن جوانبها فى إطار المنهجية الإسلامية الواعية الرصينة الهادفة .

وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

شاءت إرادة الله أن اتصل بتاريخ شبه القارة الهندية فى أوائل الثمانينات من هذا القرن عندما أعيرت للعمل فى الجامعة الإسلامية العالمية فى إسلام أباد عاصمة الباكستان .

وهذا البلد من أبرز بلدان العالم الإسلامى، وقد عرف الإسلام طريقه إليه منذ القرن الأول الهجرى ، وأقيمت على أرضه حكومات ودول إسلامية وازدهرت حضارات وبنيت صروح وتأسست مدنيات لا تزال يفخر بها الشعب المسلم فى شبه القارة الهندية حتى يوم الناس هذا .

وقد دفعنى ذلك إلى محاولة قراءة هذا التاريخ والتعرف على قضاياه ودراسة مظاهرحضارة باكستان المسلمة عن قرب ، وكم كان مفاجأة لى أن أرى تاريخ هذه البلاد لم ينل عشر معشار ما حظى به غيره من أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى ، ففى الوقت الذى يجد فيه الباحث عشرات الكتب العربية التى تعالج تاريخ مصر أو الأندلس ، أو فارس ، أو غيرها ، لا يصادف إلا كتبًا عربية لم تصل بعد إلى أصابع اليد الواحدة ، تعرض حضارة وتاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وكلها يخصص صفحات محدودة لفترة الحكم العربى التى بدأت بالفتح الإسلامى لهذه البلاد إلى أن تم استقرار المسلمين بها أى منذ سنة ٩١ هـ = ٧٠٩ م ، وحتى سنة ٤١٦ هـ = ١٠٢٥م ، وهو التاريخ الذى شهد ميلاد الدولة الغزنوية ، تلك الدولة التى تركت اللغة العربية وهجرتها ، واتخذت الفارسية لغة لها ، وبثت مظاهر الحياة والحضارة الفارسية ، فقط نستثنى من الكتب التى منحت الفترة العربية بشبه القارة عناية محدودة، كتابًا

واحداً خصصه مؤلفه جميعه بمجلديه لتلك الفترة ، وهو كتاب «موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب» من تأليف د. عبد الله مبشر الطرزى .

والواقع أن الكتاب الأخير ، وإن اهتم بتاريخ شبه القارة خلال الفترة العربية بصورة ملحوظة ، إلا أنه يعتبر تأريخاً للدولة الإسلامية كلها ، بسبب وفرة الاستطرادات التى استغرقت صفحات وصفحات على حساب المنهج العلمى ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

بمناسبة الحديث عن فتح العرب لبلاد السند ، يستطرد فيذكر الفتوحات الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين : غزوات الرسول - صلي الله عليه وسلم- فتح العراق وفارس ، فتح الشام وفلسطين ، فتح بيت المقدس ، وأخيراً فتح مصر والاسكندرية .

وبمناسبة الحديث عن النظام السياسى ببلاد السند والبنجاب فى عهد العرب يتطرق إلى ذكر النظام السياسي للحكم قبل الفتح العربى والنظام السياسى للحكم فى عهد العرب : الوالى أو الولاة ، نواب الولاة ، نواب مساعدون للولاة ، الوزير أو الوزارة .. الخ ، وينطبق الشىء نفسه عند الحديث عن النظام القضائى والاقتصادى والعسكرى .

كما يتحدث بالتفصيل عن موضوعات يعالجها تاريخ الأدب مثل الترجمة المفصلة للشعراء جميعاً : من زاروا بلاد السند ومن لم يزرها ، ومن أقاموا فى البلاد العربية وكانوا من أصل سندى ، ومن كان يعيش فى القصور أو مع الجيوش من أصل عربى . بالإضافة إلى الترجمة للنساء السنديات فى التاريخ الإسلامى ، هذا غير حديث عن اللغة العربية وسر انتشارها واللغة السندية قبل الإسلام وبعده .. الخ .

كل هذا يجعل ذلك الكتاب أقرب ما يكون إلى دائرة عامة للمعارف ، وبرغم أننى قد استفدت منه وأعجبت بجهد مؤلفه إلا أنى لا أزال أشعر فى أعماق نفسى أن الناحية المنهجية تتطلب منا القيام بعمل يستفيد من كل المصادر والمراجع ويخلص للتاريخ والحضارة وحدهما .

ومعنى ذلك أن الحاجة قائمة لكتابة تعالج تاريخ وحضارة الاسلام فى هذه القارة فى صورة منهجية. ذلك أنه فى الوقت الذى تشكو فيه المكتبة العربية من عدم توافر هذا النوع من المؤلفات نرى المكتبة الانجليزية تنخر بها .

وقد حرصتُ على الاستفادة بكافة المصادر العربية القديمة والحديثة التى عرضت لجزئية أو أكثر من جزئيات تاريخ هذه الفترة ، كما حرصتُ على قراءة قدر وافر من المراجع والمؤلفات المكتوبة بالانجليزية التى استفادت بدورها مما كتب بالفارسية والأوردية وغيرها ، وتوفر لى من هذا وذاك المادة العلمية لهذا البحث الذى أقدمه اليوم إلى القارىء العربى بكل التواضع .

وقد استلزمت طبيعة تلك المادة العلمية أن يأتى هذا البحث فى قسمين أو فى بابين ، بالإضافة إلى تمهيد لكل منهما ، تناول القسم الأول التاريخ السياسى من الفتح الإسلامى إلى نهاية فترة الحكم العربى ٩١ - ٤١٦ هـ = ٧٠٩ - ١٠٢٥م ، وعالج القسم الثانى التاريخ الحضارى والثقافى لنفس الفترة ، أما تمهيد الباب الأول فقد عرض لعلاقات شبه القارة الهندية ببلاد العرب قبل الإسلام ، ثم جاءت فصول ثلاثة : الأول منها بعنوان : «الحملات الإسلامية إلى بلاد السند قبل خلافة الوليد بن عبد الملك» ، وتناول الثانى محمد بن القاسم وفتح بلاد السند زمن الوليد ، أما الثالث فيعرض تاريخ السند والبنجاب فى عهد الأمويين والعباسيين .

وجاء القسم الثانى فى تمهيد عرض مفهوم الحضارة والثقافة ، ثم أبواب ثلاثة عُنوِن للأول منها بـ « الترجمة والتأثير الثقافى» وكان الثانى عن « الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية» . أما الثالث فموضوعه «نظام الحكم ببلاد السند والبنجاب خلال الفترة التى تعرض تاريخها» .

أما عن مصادر هذا البحث ومراجعه فلم آل جهداً فى سبيل الحصول عليها والاستفادة منها ، قديمها وحديثها ، العربى منها وغير العربى ، يبدو ذلك واضحاً فى قائمة المصادر والمراجع الملحقة بآخر هذا الكتاب .

وقد رغبت أن أخص الفترة العربية بهذه الدراسة ، وأرجو أن يتاح لى أو لغيرى مستقبلاً متابعة دراسة فترات تاريخ هذه البلاد ، إلى أن نصل إلى زمننا الحاضر فتربط ماضى هذه المنطقة بحاضرها ، مبرزين الدور الهام المميز الذى قدمته لخدمة الإسلام والمسلمين .

ولا يفوتنى فى نهاية هذه المقدمة أن أشكر الأخ الصديق الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين ، أستاذ اللغة الفارسية بكلية الآداب جامعة عين شمس ، فقد قرأ لى النص الفارسى لكتاب «فتحنامه سند» ، وتأكد لى صدق ما ورد من معلومات فى النشرة الإنجليزية لمضمون هذا الكتاب الهام .

وبعد فأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقق شيئًا مما يهدف إليه ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، فلله الحمد فى الأولى والآخرة .

عبد الله محمد جمال الدين

القاهرة اكتوبر سنة ١٩٩٠

أولا:

التاريخ السياسى

تمهيد
علاقات شبه القارة الهندية ببلاد العرب قبل الإسلام

* * *

علاقات شبه القارة الهندية ببلاد العرب قبل الإسلام

انقسمت شبه القارة الهندية في القديم إلى قسمين جغرافيين كبيرين هما بلاد السند و البنجاب وبلاد الهند، وتضرب هذه البلاد بجذورها في اعماق التاريخ، فهي من البلاد ذات الحضارات القديمة بل الموغلة في القدم. وقد دلت الحفريات والكشوف الأثرية التى قامت بها بعثة مارشال سنة ١٩٢٢ والتى اسفرت عن العثور على مدينتين قديمتين بغرب بلاد السند هما «مهنجوذارو» و«هربا»، دلت على وجود حضارة هندية يرجع تاريخها إلى عصر بناة الأهرام، وتمتد في أغوار الزمان - مثلما تمتد الحضارة اليونانية والعراقية - إلى آلاف السنين قبل ميلاد المسيح، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام[١] .

ويفصل البحر بلاد الهند هذه عن الجزيرة العربية، ولهذا كان من الطبيعى أن يكون البحر هو أول حلقة اتصال بين بلاد العرب من ناحية وبلاد الهند والسند من ناحية أخرى، وقد قامت الصلات التجارية بين الجانبيين منذ آلاف السنين قبل الميلاد، فكانت القوافل تأتى بتجاراتها إلى بلاد الهند . بل استقر بعض العرب في مناطقها الساحلية واندمجوا في أهلها، كما حمل العرب منتجات شبه القارة الهندية، وثمارها إلى بلادهم الأصلية، بل حملوها إلى أوربا عن طريق مصر وبلاد الشام ونقلوا التجارات الأوربية والعربية إلى الهند

---

(١) انظر: احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية - الباكستانية ص ١١ طبع بيروت سنة ١٩٧٨، وقد تحدث عن أمارات وتاريخ الهند قبل الفتح الإسلامى بشئ من التفصيل، ص١١-٤٧ .

وانظر كذلك: أحمد محمد الساداتى:تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية الباكستانية وحضارتهم، ص ٢٠، ٢١، القاهرة ١٩٧٠ .

والصين، بل ذهب البعض إلى أن الروابط العربية الهندية ترجع إلى زمن سيدنا سليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- فقد كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطواويس من بلاد الهند[١] .

وعندما فتح المسلمون بلاد فارس واستقروا بها، استمرت العلاقات بين بلاد السند وبين الجزيرة العربية عن طريق بلاد فارس، ويذكر المسعودى أن القوافل التجارية كانت متصلة بين خراسان وبين الملتان باقليم البنجاب وبينها وبين المنصورة بإقليم السند، ونص عبارته «وبلاد الهند متصل ببلاد خراسان، والسند مما يلى بلاد المنصورة والملقان والقوافل متصلة من السند إلى خراسان وكذلك إلى الهند[٢] ويذكر ابن الفقيه في كتابه «البلدان» أن البضائع الايرانية كانت تصل إلى بلاد السند من خراسان فمن أراد السند أخذ من ناحية فارس على سيراف»[٣] ويقول «الاصطخرى» في المسالك والممالك» أن الإبل السندية ذات السنامين كانت تصدر إلى خراسان وفارس وغيرهما «هذا الفالج (الجمل ذو السنامين) الذي يحمل إلى الآفاق بخراسان وفارس وسائر

---

(١) انظر: تارشند - الباحث الهندى: مقال منشور بمجلة ثقافة الهند، عدد مارس سنة ١٩٥٠، نقلاً عن:

عبد الله مبشر الطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ج١ ص ١٠٤ طبع جدة - المملكة السعودية سنة ١٩٨٣.

وانظر كذلك

S. M. Ikram: History of muslim Civilisation in India and Pakistan IN 93-1273 / 711-1857 a political and cultural history, p. 3, Third edition, Lahore, pakistan 1982.

(٢) المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج١ ص ١١٤، ١٧٨ طبعة بيروت بتحقيق يوسف أسعد داغر سنة ١٩٨٤م .

(٣) ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ص ٩ طبع ليدن سنة ١٣٠٢هـ.

البلاد التى يكون بها البخاتى انما يحمل منهم»[١] .

لقد كانت التجارة العربية مع الهند تسير براً من مصر والشام على ساحل البحر الأحمر إلى اليمن، ثم تبدأ الرحلة البحرية عن طريق حضر موت وعمان والبحرين إلى كراتشى، أو عن طريق المحيط الهندى إلى موانى الهند، ولما جاء الإسلام استمرت صلة الهند قوية بالعرب، وهناك كلمات من اللغة الهندية موجودة في القرآن الكريم مثل مسك وزنجبيل وكافور، وقد أهدى بعض ملوك الهند للرسول -صلى الله عليه وسلم- جرة فيها زنجبيل فأطعم - صلى الله عليه وسلم - أصحابه منها[٢] .

ولأن نشاط العرب نشاط تجارى، فإن لنا أن نتوقع أن يقتصر اتصالهم على السواحل الهندية التى كانوا يعرفونها جيداً، ويعرفون المدن الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب، كما كانوا ينطلقون من هذه البلاد إلى ما وراءها، فيذهبون الى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر أندونسيا[٣] .

وقد بقيت بعض الموانى الهندية التى اشتهرت منذ العهد العربى محتفظة بأسمائها حتى الآن مثل ميناء تيز باقليم مكران، وميناء الديبل ببلاد السند، وميناء تانة (تهانه) وكهمبانت وسوبارة وجيجو في اقليم كجرات ببلاد الهند،

---

(١) الاصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرجى: المسالك والممالك ص ١٠٥، القاهرة ١٩٦١ تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى.

(٢) انظر: شلبى: أستاذنا الدكتور أحمد جاب الله.
موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية جـ٨ ص ٢٦٠، ٢٦١، القاهرة ١٩٨٣.

(٣) محمد يوسف الهندى ، مقال بعنوان «بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب» منشور في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الثانى عشر، الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٠ وانظر ايضاً:
Fazl Ahmad: Muhammad Bin Qasim, pp. 15, 16, 19 Lahore, Pakistan 1981.

ومن هذه الموانى كانت سفن التجار العرب تتجه إلى ميناء البنغال وموانى الجزر الهندية وميناء القامرون (كامروب)، وتستمر في سيرها حتى تصل إلى بلاد الصين، وقد ذكر الجغرافيون العرب هذه الموانى ووصفوها في كتبهم[١] .

وفكرة العرب عن الهند أنها بلاد وافرة الغنى والثراء «بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر» حسب وصف واحد من الأعراب[٢] وقد استورد العرب من الهند الأقمشة والعاج والذهب والفضة والعملات الذهبية، وأنواع التوابل والسكر والأرز والمسك وجوز الهند وغيرها «وقد تبارز المقاتلون بسيوف الهند البتارة، وتعطرت النساء بعطورها ورفلن في حريرها وازين بلآلئها، وازدحمت الجموع حول الملاعب ليشاهدوا نمور الهند وفيلها في المعترك»[٣] وصدر العرب لبلاد الهند الجلد المصبوغ والدقيق وتمر البصرة وخمرة العراق، والزمرد من مصر، والخيول العربية الأصيلة، والعود الذي كان يستخدم في المعابد السندية.. إلى غير ذلك[٤] .

باختصار كانت هناك علاقات تجارية بين العرب وبين سكان الهند والسند منذ آلاف السنين، وقد أقام بعض التجار العرب في الموانى والمدن الساحلية

---

(١) انظر: -مثلاً- ابن خردانبه: أبو القاسم عبيد الله بن أحمد: المسالك والممالك ص ٧١ طبع ليدن ١٨٨٩م

السيرافي: أبو زيد : سلسلة التواريخ ص ١٤٧.

(٢) الدنيورى: الأخبار الطوال ص ٢٩٦.

(٣) انظر: الساداتي: تاريخ المسلمين.. ص ٣٢ نقلاً عن

Havell: E. B. the history of Aryan rule in india pp14, 75, 130, London

(٤) انظر: الطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامي... ج١ ص ١٠٩ وما عنده من مصادر.

وعن العلاقات والطرق التجارية والبضائع بين شبه القارة الهندية وبين بلاد العرب والبحر الأبيض المتوسط. انظر: Muhammad Zaki. Arab accounts of india, pp: 35 - 38, Delhi 1981.

الهندية واستوطنت جاليات عربية هناك قبل الفتح الإسلامي لهذه البلاد، كذلك كان هناك هنود أقاموا بين العرب وأخذوا عنهم لغاتهم وتعلموا لسانهم، وعرفوا بينهم واشتهروا بألقابهم مثل الزط والميد والتكاكرة.. إلخ(١) .

الهدف من السطور السابقة بيان وجود علاقات متينة بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية، وأن العرب قد عرفوا هذه البلاد ومارسوا التجارة معها واستقر بعضهم فيها خاصة على سواحلها، فإذا أدركنا ذلك ووضعنا في الاعتبار طبيعة الرسالة الإسلامية وانها دعوة عامة أرسل الله بها محمداً -صلى الله عليه وسلم- للناس كافة، مصداقاً لقوله عز وجل ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كان النبي يبعث لقومه خاصة وبعثت للناس عامة». إذا عرفنا ذلك واستحضرنا ما قام من علاقات بين الشعبين قبل الإسلام، تصورنا أنه كان من الطبيعي أن يفكر المسلمون في تبليغ كلمة الله إلى سكان هذه المناطق.

---

(١) انظر: القاضي أطهر المباركبوري الهندي: العرب والهند في عهد الرسالة ص ١٠ نقله عن الأوردية إلى العربية عبد العزيز عزت عبد الجليل، وفيه حديث مفصل عن الطرق البرية والبحرية والصادرات والأسواق وعن السلالات والقبائل الهندية في البلاد العربية وموقفهم من الدعوة الإسلامية وما ورد من الأدب بشأنهم انظر ص ١٢ - ١٠٦.

وانظر كذلك:

-Ishtiaq Husain Kurashi:
-The Muslim Community of the INDO PAKISTAN subcontinent, PP. 1- 4, Karachi 1977.
- Annemarie Schimmel: Islam in India and pakistan P. 2, Leiden 1982.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو:

هل ترجع محاولات تبليغ الدعوة الإسلامية لسكان شبه القارة الهندية إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الواقع أننا أمام روايتين: الأولى منهما تقول إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوفد رسله إلى الملوك والحكام في زمنه، وأرسل بعض أصحابه إلى «سرباتك» حاكم «قنوج» بالهند، وأن هذا قد أسلم على أيدى هؤلاء الصحابة، ولكن الحافظ «ابن حجر» يضعف هذه الرواية، ويعلق عليها بقوله: «زعم أن النبي أنفذ إليه حذيفة وأسامه وصهيباً يدعونه إلى الإسلام، فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة، إن هذه الرواية كذب واضح»[1] .

أما الرواية الثانية فتذكر أن خمسة من الصحابة - رضوان الله عليهم اجمعين - قد وصلوا إلى بلاد السند، وإن اثنين منهم رجعا وبقى ثلاثة، وتضيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أرسل كتابه إلى أهل السند مع هؤلاء الخمسة وأنهم لما جاءوا إلى هذه البلاد نزلوا في قلعة يقال لها «نيرون»، ثم رجع اثنان بعد أن أظهر أهل السند الإسلام وبقى الثلاثة هناك يبينون لهم الأحكام حتى ماتوا بتلك البلاد[2] .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص ١٢١ طبعة مصر.

(٢) وجدت هذه الرواية ضمن مجموعة خطية من كلمات ورسائل تقع في ١٩٠ صفحة عنوانها «جمع الجوامع»، وهى محفوظة عند القاضي أطهرالمباركبورى الهندي. انظر: العرب والهند في عهد الرسالة ص ١٢٩ هامش ٢.

وانظر كذلك: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين لنفس المؤلف ص ٣٠، ٣١، القاهرة ١٩٨٠ وفيه اشارة إلى هدية الزنجبيل التي يقال إن بعض ملوك الهند أهداها للنبي -صلى الله عليه وسلم- انظر ص ٢٤.

والواقع أن الكتاب الذي وردت فيه هذه الرسالة غير معروف وقد استبعدها تماما الإمام السيوطى[١] .

ومن هنا لايمكن الاطمئنان إلى وصول صحابة يحملون دعوة الإسلام إلى شبه القارة الهندية زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وعندما تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أقر أبا العلاء الحضرمى على ولاية البحرين، أحد مراكز التجارة العربية مع الهند والصين، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - جعل أبا هريرة والياً على هذه البلاد، فلما كانت سنة ١٥ هجرية أسند منطقة البحرين إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان هذا قد أسلم في السنة التاسعة من الهجرة وعندما وقف امام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع وفد ثقيف الطائف، لمس فيه النبى ما يتمتع به من مميزات فأقره حاكماً على الطائف وبقى كذلك حتى جاء عمر -رضي الله عنه- فنقله من ولايته وولاه عمان والبحرين سنة ١٥ هـ، والثابت أنه أول من طرق الهند من ثلاث جهات[٢] .

---

(١) انظر العرب والهند في عهد الرسالة المشار إليه آنفاً: ص ١٣٠.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٣١ من الترجمة العربية

الفصل الأول

الحملات الإسلامية إلى بلاد السند
قبل خلافة الوليد بن عبد الملك

* * *

أ - فى عهد الخلفاء الراشدين

قام عثمان بن أبي العاص الثقفى والى عمان والبحرين بإعداد ثلاث حملات بحرية، وقد تولى بنفسه قيادة واحدة منها اتجهت إلى ناحية «تهانه» عاصمة احدى محافظات ولاية مهاشترا الجديدة الآن، وتقع على بعد ٣٢ ميلاً من مدينة «بومباى» الحالية، بينما توجهت الثانية يقودها أخوه الحكم بن أبي العاص الثقفى نحو ميناء «بهروج»[١] على الساحل الهندى شمال اقليم «سورت» ببلاد الهند الحالية، أما الثالثة فقد تولى أمرها أخ ثالث اسمه «المغيرة بن أبي العاص الثقفي، ويممت شطر «الديبل»[٢] الذي يغلب على ظن

(١) يقال لها أيضاً «بروج» و«بروص» أو بروض بالضاد ويقول المسعودى أن القنا البروصى أو البروضى ينسب إليها (مروج الذهب جـ١ ص ١٢٦) ، وهى اليوم أحدى المديرات الشهيرة في إقليم كجرات الحالية وتقرب من مدينة أحمد آباد، انظر:

- K. S. Lal: Early muslims in andia, P. 12 Newdelhy 1984.

ويذكر مؤلف ذلك الكتاب أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذي أرسل تلك الحملات الثلاثة الأولى وهذا غير صحيح، وانظر ترجمة عثمان بن أبي العاص والمغيرة في العقد الثمين لأطهر المباركبوري ص ٥٠ - ٥٧، طبع القاهرة ١٩٨٠.

(٢) يقول ياقوت الحموى: الديبل مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند- وهى فرضة وإليها تفضى مياه لاهور والملتان، وقد نسب إليها قوم من الرواة، ويقول ابن حوقل أنها مدينة عامرة تأتى إليها المنتجات من عمان وتلتقى بها سفن الصين والهند، وفي تقويم البلدان أن بها سمسم كثير وأن التمر يجلب إليها من البصرة، ويرى «راورتى» أن الديبل كانت تقع على بعد ١٥ ميلاً من مدينة «تهته» الحالية ويرى البعض أنها كانت في موقع «بهمبور» بينما يرى (اليت) ان موقعهاكان قرب مدينة كراتشى الحالية، انظر :

- الطرزي: موسوعة التاريخ الإسلامي.. ج١ هامش ١، وكذلك ملاحق الجزء الثاني ، ص٢٧٠ - ٢٧٦ ، حيث تجد تفصيلاً لآراء الباحثين حول موضع مدينة «الديبل». وعن هذه الحملات انظر:

-البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان ص ٦٠٧ من طبعة بيروت سنة ١٩٥٧ بتحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع . وانظر . =

المتخصصين أنها كانت «ميناء» موقعه قرب «ميناء كراتشي» الحالي في جمهورية باكستان.

وكان الهدف من هذه الحملات الإعداد لفتح تلك المناطق، وتأديب قراصنة الهند والسند الذين كانوا يغيرون على السفن التجارية العربية وينهبون ما تحمله من بضائع، ويتخذون من موانيهم وسواحلهم قواعد لمهاجمة بعض مناطق الدولة الإسلامية في الخليج العربي، بالإضافة إلي محاولة معرفة بلاد السند واختبار طاقة القوة العربية والتوصل إلى أى مدى يمكن الاعتماد عليها في فتح هذه البلاد مستقبلاً، وأيضاً أراد المسلمون تاديب ملك السند انتقاماً لما حدث منه أثناء معركة القادسية سنة ١٦ هـ = ٦٣٧ م عندما زود ملك الفرس بالمال وبالسلاح وأعانه في حربه مع المسلمين وتأديب بعض المرتدين ومن أيدهم من رجال القبائل الذين هربوا إلى هذه البلاد بعد فشل حركتهم زمن الصديق

= الترجمة الفارسية «لفتحنامه سند»، وهو ترجمة لكتاب مفقود بالعربية لمجهول عنوانه الأصلي منهاج الدين والملك، وقد نشر النص الفارسي وكتب له مقدمة بالانجليزية د ن م. بلوتش .N M. Baloch ويغلب على ظنه أن النص العربي هو للمدائني أو لمؤلف اعتمد عليه بالدرجة الأولى أما مترجم النص العربي للفارسية فهو على بن حامد بن أبي بكر الكوفي عاش في القرن السابع الهجري، انظر ص ١، ٢، ٣ من مقدمة الناشر، إسلام أباد الباكستان ١٩٨٣ ،

وقد نشرت ترجمة انجليزية لمضمون النص نفسه تحت عنوان :

Chach Nama or Tarikh-L Hind walsind the history of India as told by its historians - the Muhammadan Period, by Sir H. M. Elliot, Edited by Pof. John Dowson, Calcutta, India, 1867, then 1955, See pp: 32-115.

وانظر ايضاً:

-Eliott, H.M.& Dowsan. J: The History of India as told by its own Historians, 8 Volumes, 1867 1 et vol, p. 374.

وانظر: - K.S. Lal: Early Muslims... P. 14.

والطرزي: موسوعة التاريخ الإسلامي.. ج١ ص ١٣٠ وما بعدها

رضى الله عنه[1] .

ويبدو أن هذه لم تكن حملات منظمة هدفها الاستقرار، وإنما هى حملات أولية أقرب إلى فرق استطلاعية هدفها الاستكشاف والتعرف وجمع المعلومات عن هذه البلاد، وقد اعتمدت على المتطوعين من المسلمين ذوى الأصل الهندى خاصة، ولعل من بينهم قبائل الجات (الزط) المعروفين بالمهارة فى التجارة والزراعة، والذين يقال أن على بن أبى طالب استخدمهم لحراسة أموال البصرة فى موقعة الجمل، وشاركوا فى حماية ثغور الشام بعد ذلك زمن الأمويين، ثم وطنهم الحجاج فى سهول العراق بهدف اصلاح بطائحها وزراعتها، واشتركوا بعد ذلك فى فتح البلاد[2] وعلى كل حال فهذه الحملات لم تزد عن أن تكون مناوشات، لم تصل إلى مستوى الحرب بمعناها المعروف، ولعل هذا هو سر عودة هذه القوات إلى قواعد انطلاقها في عمان بعد أن تمكنت من تحقيق مهمتها.

وبمجرد عودة قوات هذه الحملات، ورجوع المجاهدين، كتب الوالى إلى الخليفة يشرح له ما حدث وما تحقق من نتائج، فلم يبد الخليفة – رضى الله عنه – ارتياحاً لهذا العمل، لأنه لايتصور أن يقوم الوالى بكل ذلك دون إذن الخليفة وبغير تشاور مع السلطة المركزية في المدينة المنورة، ذلك أن الدولة الإسلامية لم تكن كونت قوة بحرية منظمة تستطيع التعامل مع الدول ذات القدم الراسخة في هذا المجال، ثم إن القوات الإسلامية كانت مشغولة بالقتال على جبهتى الفرس والروم في ذلك الوقت ولم يكن من المصلحة فتح جبهة جديدة دون اتخاذ الأهبة والعدة لذلك، خاصة إذا كانت الجبهة واسعة وبعيدة عن الجزيرة

---

(١) شلبى موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٨ ص ٢٦٢. وكذلك: المباركبورى: العقد الثمين .. ص ٤٠ - ٤٤.

(٢) انظر د حسن أحمد محمود الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ص ١٧٥ . ص ١٨٣ ، القاهرة ١٩٦٨

العربية مثل بلاد السند والهند، إن هذا يمثل نوعاً من المغامرة وتعريض الجند الإسلامى للخطر بصورة لا يرضى عنها أمير المؤمنين[١] ولعل هذا هو السر وراء توعده للوالى نفسه عندما أبلغه انباء هذه الحملات، لقد قال له غاضباً «ياأخا ثقيف، حملت دوداً على عود، وإنى احلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»[٢] .. ويرغم ذلك فإن احتكاك السفن العربية بقيادة المغيرة مع البحرية الهندية قبالة «الديبل» كان له أثره فى ظهور ثم فى نمو البحرية الإسلامية، إن انتصار المسلمين هنا أشبه بنصرهم فى حوض البحر المتوسط، بموقعة ذات الصوارى وما تم فى عهد عمر كان غارات خاطفة تمهد لتطور كبير[٣] .

وكان لابد من مرور سنتين إذن الخليفة بعدهما بتجهيز قوات برية لا بحرية لفتح اقليم مكران جنوب غرب بلوجستان ببلاد السند، واقليم كرمان الفارسي

---

(١) انظر K. A li, M. A (Cal) & A. S. Bukhari:
A New hisoty of Indo. Pakistan upto 1562 p. 142, Lahore, Pakistan 1980.
- Ishwari prasad: A Short history of muslim rule in India, p. 41, 42, Lahore 1986.

وكذلك ماجد، د. عبد المنعم: التاريخ السياسى للدولة العربية ج٢ ، ص٢٣٣، القاهرة ١٩٥٧م.

(٢) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٠٧.

هذا ويفهم من كلام أ. د. الساداتى أن الحكم بن ابي العاص قام بحملته أولاً، ثم جاءه تحذير عمر رضي الله عنه ولكن غنائم الحكم جعلته يتغاضى عن أوامر خليفته طلباً للمزيد من الاسلاب وللتمكن من الاطلاع على احوال تلك النواحي، فبعث باخيه المغيرة هذه المرة إلى الديبل عند مصب السند في حين قصد هو «بروج» لكنا لانظن أن أحداً كان يمكنه ان يتجاهل ويتحدى خليفة في مثل قوة وهيبة وشجاعة عمر بن الخطاب، على أن الوالى كان عثمان وليس الحكم. انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو - باكستانية وحضارتهم ص ٤٢.

(٣) انظر د. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركى ص ١٧٩.

الذي يقع على حدود فارس مع بلاد السند، وكانت السند - وتتبعها مكران - امارة مستقلة يحكمها ملك بوذى اسمه «هرش» وقد جعل الخليفة قيادة الجيش الأول للحكم بن عمرو التغلبى، وقيادة الجيش الثاني لسهيل بن عدى، وقد أخذت هذه القوات تواصل استعدادها ويزودها الخليفة بما تحتاج إليه من جند وقادة بحيث أتيح لها أن تبدأ مهمتها في سنة ٢٢هـ = ٦٤٢م ، وقد نجحت في الوصول إلى كرمان ببلاد العجم وتم فتحها(١) .

وفي سنة ٢٣هـ = ٦٤٣م وصلت طلائع جيش الحكم بن عمرو التغلبى إلى اقليم مكران وزوده الخليفة رضي الله عنه بثلاثة قواد آخرين وبعد فتح مكران توغل الجميع في بلاد السند إلى أن اقتربوا من نهر السند(٢) .

أما أهل مكران فقد عسكروا على شاطئ نهر السند حيث أمدهم ملك البلاد بقوات هائلة جعل القيادة عليها لحاكم من أبرز حكام الولايات عنده اسمه «راسل»، وقد عبر هذا بقواته النهر والتقى مع جند المسلمين في معركة حامية كانت نتيجتها انتصار المسلمين، وقد قتل القائد السندى ومعظم قواده وتقهقرت قواته وتبعهم المسلمون حتى نهر السند أو نهر «مهران» في اقليم السند وتولى أمر البلاد بعد هذه الهزيمة وزير الملك البرهمى، واستمر يحكمها

---

(١) انظر: الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبرى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، حوادث سنة ٢٣ هـ ج٤ ص ١٨١، القاهرة ١٩٧٧م.

ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى: الكامل فى التاريخ حوادث ٢٣ هـ ج٣ ص ٤٢، ٤٤ طبعة بيروت سنة ١٩٦٥م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى: العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون ج٢ ص١١٣، ١٢٣، ١٢٤، طبعة بيروت ١٩٧١.

وكذلك المباركبورى: العقد الثمين ... ص ٤٦-٤٨.

(٢) انظر : إحسان حقى: تاريخ شبه الجزيرة الهندية - الباكستانية ص ٤٤-٤٦.

مدة أربعين سنة، ولما هلك تولى شئون الحكم ابنه «داهر» آخر أمراء السند الذى هزمه المسلمون وتم لهم فتح بلاده بعد ذلك.

أما فى هذه المرحلة فقد صدر أمرالخليفة بأن تعود الجيوش الإسلامية إلى مكران، فقد كان - رضى الله عنه - يخشى أن يستدرجوا أن توغلوا في عمق بلاد لايعرفونها حق المعرفة، لما يمثله ذلك من خطورة على المسلمين، فكان أمره صريحاً بألا يعبر أحد إلى الضفة الشرقية من نهر السند، وقال لقائديه: الحكم وسهيل «لايجوزن مكران أحد من جنودكما، واقتصرا على ما دون النهر» وأمر ببيع الفيلة بأرض الاسلام، وقسم أثمانها على من أفاءها الله عليه. فعادت الجيوش لتستقر في مكران[١] واستمر الحال هكذا فلم يحاول المسلمون التقدم أو فتح مناطق جديدة حتى نهاية عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان -رضوان الله عليه-، يبدو أن قادة المسلمين ألحوا عليه وطالبوه بأن يأذن بالتوغل في بلاد السند وفتحها ولكنه تردد، لأنه لم يرد ا لتغرير بالجند الإسلامى وتعريضة لمخاطر في مناطق واسعة وبعيدة لم تكتمل للمسلمين معرفة طبيعتها بعد، وقد رغب أن يحتاط للأمر، فكتب لواليه على بلاد العراق عبد الله بن عامر[٢] وكانت بلاد فارس تتبعه، أن يوجه

---

(١) انظر: تاريخ الطبرى حوادث سنة ٢٣هـ جـ٤ ص ١٨٢ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص ١١٣ وتاريخ ابن الأثير حوادث ٢٣هـ جـ ص ٤٥، ٤٦، وقد ذكروا جميعاً أن القائد السندى راسل أو رتبيل كان ملك هذه البلاد، والواقع أنه كان والياً، وكان يلقب بلقب نائب الملك، انظر: فتحنامه سند لهذا المصدر وانظر الطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامى ج١ ص ١٢٤ هامش ١

(٢) ذكر بعض الباحثين أن الخليفة عثمان رضي الله عنه ارسل حملة بقيادة عبد الله بن عامر فتحت سيستان ثم تقدمت نحو مكران (بلوخستان الآن) وفتحت جزءاً من السند، ولكن هذا لم يرد في المصادر الأصلية فلم نمل إليه انظر:

- K. Ali, M. A (Cal) & A. S Bukhari:
A New History of inda - Pakistan upto 1526. A. C. p. 142, Lahora. 1980.

إلى اقليم السند من يراه ويصفه للخليفة بعد معاينة ومباشرة «بحيث يعلم علمه وينصرف إليه بخبره» فعهد الوالي بهذه المهمة إلى «حكيم بن جبلة العبدى» الذي ذهب إلى هذه البلاد ودرس أحوالها وجمع معلومات عنها، ورجع إلى والي العراق الذي أوفده إلى الخليفة فلخص له ما انتهى إليه بهذا الصدد في الكلمات الآتية أثناء حواره مع عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ياأمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها، قال الخليفة: صفها لي قال: ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل، إن قلّ الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له الخليفة: أخابر أنت أم ساجع؟ قال بل خابر[1] ، فاكتفى الخليفة -رضي الله عنه- بالبقاء في إقليم مكران ورفض عبور النهر والانطلاق إلى داخل البلاد.

وعندما تولى عبد الله عامر بن كريز القشيرى ولاية العراق سنة ٢٩هـ عين عبيد الله بن معمر التيمي حاكماً على مكران، فأثخن حتى بلغ نهر السند وظل يحكم اقليم مكران إلى أن استشهد الخليفة عثمان رضي الله عنه[2] .

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦-٧ والطبرى: التاريخ : حوادث ٢٣ ج٤ ص ١٨٢، ومثله ابن الأثير حوادث ٢٢هـ ج٣ ص ٤٥، ٤٦ وإن ذكر أن هذا الوصف جاء على لسان صحار العبدى الذى ارسله الحكم بن عمرو التغلبى حاكم مكران لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول: كتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع صُحار العبدى واستأمره في الفيلة، فقدم صحار على عمر بالخير والمغانم، فسأله عمر عن مكران - وكان لايأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجيئ منه، فقال ياأمير المؤمنين: أرض سهلها جبلٌ وماؤها وشلٌ وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها ، فقال: أسجاع أنت أم مخبر قال لا، بل مخبر، قال لا، والله ... إلخ. وانظر ترجمة لحكيم بن جبلة العبدى في العقد الثمين ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ص ٧٢، ٧٣ وترجمة صحارى بن عباس العبدى فيه ص ٦٤، ٦٥.

وانظر النص أيضاً عند صاحب العقد الثمين. ص٦٩ نقلاً عن تاريخ خليفة ج١ ص ١٩٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل حوادث ٢٩ هـ جـ٣ ص ٢٩٩، وتاريخ الطبرى حوادث ٢٩ هـ جـ٤ ص ٢٦٤، وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص ١٣٢.

وفي خلافة الإمام على - كرم الله وجهه - وبرغم الفتن والمشاكل الداخلية، توجه الحارث بن مرة العبدى أوائل سنة ٣٩ هـ = ٦٥٨ - ٦٥٩م على رأس الف من خيرة المسلمين ومجموعة من القادة إلى مكران حيث انضمت إليه قوات أخرى من أهل البلاد، وسار الجميع إلى منطقة القيقان (الكيكان) - وهى جزء من بلاد السند يتصل بخراسان، ويسمى الآن «قلات»، وهناك قابلوا قوات غفيرة لأعدائهم بلغت عدتها عشرين الفاً، ودخلوا معها في معركة دامية، وتمكنوا من تحقيق نصر مشرف عليها وأسروا الكثيرين من أفرادها.

ولكن الإمام على استشهد - للأسف - في هذه الظروف، وتلقى المسلمون خبر استشهاده فتأثرت معنوياتهم واضطروا للعمل على العودة مرة أخرى إلى مكران[1] وقد شجع ذلك الأعداء فتجمعوا بأعداد غفيرة من جديد، وكان على الحارث بن مرة أن يلقاهم مرة أخرى في نفس القيقان سنة ٤٢هـ = ٦٦٢م - أوائل زمن معاوية - رضى الله عنه - وقد ابلى المسلمون بلاء حسناً وثبتوا في أماكنهم، ولم يهنوا أو يضعفوا وواجهوا الجموع الكثيرة في بسالة منقطعة النظير حتى استشهد القائد نفسه ومعظم القادة والجند، ومن بقى منهم اضطر للعودة إلى ثغر السند - مكران -[2] ذلك الاقليم الذي بقى وحده بأيدى القوات الإسلامية، يتبع اقليم العراق، أحد اقاليم الدولة الإسلامية، وكان الولاة يغدون منه إلى اقليم مكران السندى.

---

(١) انظر تاريخ ابن الأثير حوادث ٢٩ هـ ج٢ ص ٣٨١.
- فتحنا مه سند ص ٥٥
- المباركبورى : العقد الثمين ص ٨٣، وقد ترجم للحارث بن مرة العبدى ص ٨٤.
- الطرزي: موسوعة التاريخ الإسلامى ... ج ١ ص ١٣٦.
- شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامى... ج ٨ ص ٢٦٣.

(٢) انظر : البلازري: فتوح البلدان ص ٦٠٨، ويذكر ان «الحارث» ذهب متطوعاً بإذن من الإمام على - كرم الله وجهه - وهذا ما نميل إليه، لأن ظروف الدولة الداخلية لم تكن تسمح بإرسال جنود منظمة في ظل أوضاعها المضطربة، وللحارث بن مرة العبدى ترجمة في العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ص ٨٤.

ب - زمن الدولة الأموية

استمر الاحتكاك العسكرى والمناوشات بين المسلمين وأهل مكران أيام معاوية - رضي الله عنه «الذى كانت بلاد الهند ترتعش فى أيامه ، فقد أتى المهلب بن أبي صفرة إلى ذلك الإقليم سنة ٤٤ هـ ، نائباً عن عبد الله بن عامر والى العراق، فوصل إلى «بنة» و«الأهوار» (لاهور) وبنه الآن هى بنوكوهات بباكستان - وهما بين الملتان وكابل - فلقيه العدو وقاتله هو ومن معه، كما لقى المهلب ثمانية عشر فارساً من الترك ببلاد القيقان الحصينة، فقاتلوه وقتلوا جميعاً[١] .

وفي زمن معاوية أيضاً جاء عبد الله بن سوار بن همام العبدى على رأس أربعة آلاف مقاتل، فغزا القيقان - واهلها من الترك - ثم وفد إلى معاوية وأهدى اليه خيلاً قيقانية، ثم رجع إلى نفس المكان فقتله الترك[٢] وفي ذلك يقول الشاعر:

وابن سَوّار على عداتيه * موقد النار وقتال السُغب

(١) يقول أبو ظفر ندوى صاحب تاريخ السند ص ٣٥، ٣٦، أن المهلب أتى بجيشه من طريق ممر خيبر - القريب من مدينة بشاور في باكستان الحالية- وبذلك يكون أول قائد مسلم قام بحملة على السند من هذه الناحية : ناحية ممر خيبر، انظر:

الطرزي: موسوعة التاريخ الإسلامى.. ج١ ص ١٤٨ هامش ٢.

(٢) يقال ان أهل القيقان استعدوا من جديد واستولوا على الممرات الهامة ومحاور الطرق واشتبكوا مع المسلمين وهزموهم وقتلوا قوادهم وحملوهم على الرجوع إلى مكران، انظر:

اليعقوبي: أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ٢٢٤ طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ، وفتحنامه سند: ص ٥٨ ، من الترجمة الانجليزية وعلى كل حال فقد استولى المسلمون - زمن معاوية رضي الله عنه - على القسم الشرقى من بلوخستان وعلى امارة قلات التى كانت تابعة للسند وضموها إلى «مكران» ثم تقدموا فاستولوا على «قندهار وكابل» ووقفوا عند هذا الحد، انظر:

إحسان حقى: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٤٧، طبع بيروت لبنان ١٩٧٨م.

أما زياد بن أبي سفيان فقد ولى سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي على ذلك الإقليم ففتح ما بين مكران والقيقان عنوة، ثم سار إلى منطقة البودهية المجاورة وأقام هناك وضبط البلاد ولكنه استشهد بعد حكم استمر سنتين[١] وتوالى الولاة لايتجاوزون القيقان والبوقان وقصدار، وهى من المدن الداخلية في اقليم مكران، وعندما بويع عبد الملك بن مروان خليفة على المسلمين سنة ٦٥هـ = ٦٨٤م كان حال هذا الاقليم على ما كان عليه، فقد شغل الخليفة عنه بما واجه من حروب وفتن داخلية، ومعنى ذلك أن المسلمين لم يتعدوا حدود مكران إلا زمن معاوية حيث استولوا على شرق اقليم بلوخستان وقلات ثم تقدموا نحو قندهار وكابل ووقفوا عند ذلك الحد أي في المنطقة الممتدة بين كابل ومكران عند الشاطئ[٢] .

ثم تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق والولايات الشرقية سنة ٧٥هـ = ٦٩٤م فقام بدوره بتولية سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي على ثغرى مكران والبوقان، وقد امكنه تنظيم البلاد ادارياً ومالياً واستطاع بمعاونة موظفين اكفاء جدد أن يضبط الإقليم وأن يحصل منه أموالاً كثيرة بفضل سياسته ودهائه، ولكن خرج عليه جماعة من العرب ا لوافدين على هذه البلاد زمن الفتنة والذين خضعوا لملكها المسمى «داهر» وكان يتزعم هؤلاء معاوية بن الحارث العلافي ومحمد بن الحارث العلافي، وقد غلبا على هذه البلاد، وقتلا أميرها واستقلا بها من سنة ٨٠ إلى سنة ٨٥هـ= ٦٩٩-٧٠٤م[٣]، وكان الحجاج

---

(١) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٠٩، ويذكر بعض أبيات من الشعر تتعلق بمن ولى على هذه البلاد ص ٦٠٩ - ٦١١.

(٢) أنظر: احسان حقي، المرجع والموضع المشار إليه آنفاً. وكذلك المباركبوري: العقد الثمين.. ص ٩٠-٩٤.

(٣) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١١، وتاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٤٢، والكامل فى التاريخ لابن الأثير: حوادث سنة ٧٥ هـ جـ٤ ص ٣٨٠.

Elioth. H. M 8 Dowson, J. the history of India... Vol 1 - P. 427 .

والطرزى: موسوعة التاريخ... ج١ ص١٥٦ وما بعدها، الساداتى. تاريخ المسلمين: ص٤٤

قد أرسل والياً من قبله هو مجاعة بن سعر التميمي، ففتح ووصل إلى بعض نواحي «قندابيل» وحمل العلافيين على الفرار إلى داخل البلاد وعادت مكران للسيادة الأموية، ولما مات ذلك الوالي بعد سنة، اختار الحجاج محمد بن هارون بن زراع النمري[1] ليحل محله. وقد نجح ابن هارون في تنظيم ديوان مكران وقضى على زعماء الفتنة فيه وتتبع القتلة من العلافيين على مدار خمس سنوات وقضى عليهم دون أن يظهر العداء لملك السند[2] .

وقد ساعد استتباب الأمن في بلاد العراق وانتظام أمر الخلافة الأموية واستقرار الأوضاع بها والقضاء نهائياً على ما كان هناك من فتن، ساعد ذلك كله على توجيه القوات الإسلامية للجهاد ونشر راية الإسلام في مناطق جديدة من العالم. وخاصة وقد اكسبتهم الغارات الثغرية دربة على القتال ومعرفة بأساليب العدو وفنونه وخبرة بالمحيط الهندي ومسالكه، ثم تحولت الغارات الثغرية البحرية الى هجوم بحرى سافر على يد أمير البحر الوالي محمد بن هارون[3] .

في ظل هذه الظروف كان الوليد بن عبد الملك قد تولى الخلافة وورث ملكاً مستقراً عن أبيه وقد دفعه ذلك إلى التفكير في استئناف حركة الفتوحات الإسلامية على كل الجبهات.

أما بلاد السند فقد حدث فيها أمر ترتب عليه تغيير كامل في السياسة

---

(١) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص٦٠٨ - ٦١١، وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٧٧، قانع: شير على قانع: تحفة الكرام ص٧ - ٩ من الترجمة الأوردية عن الفارسية، قام بها الأستاذ اختر رضوي، طبع كراتشي بباكستان سنة ١٩٥٩، وأيضاً:
Elioth... thehistory of India... Vol 1 - P. 428 .
والطرزي: موسوعة التاريخ. ج١ ص١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة.. ص٤٧ .

(٣) انظر د. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في أسيا الوطني بين الفتحين العربي والتركي ص ١٧٩

التى كان «الحجاج» ومن سبقه يتبنونها ازاء اقليم مكران. هذا الأمر دفع الحجاج إلى التفكير في ارسال قوات لفتح بلاد السند، عل نور الإسلام يشرق عليها جميعاً ونتخلص نهائياً من مضايقات الأعداء القابعين هناك.

إنها حادثة تتلخص فى أنه حوالى سنة ٩٠هـ = ٧٠٨م أهدى ملك جزيرة الياقوت (سرنديب - سيلان) للحجاج بعض الهدايا القيمة، وقد حملتها ثمانى عشرة سفينة عربية واتجهت نحو بلاد العراق، وقد ضمت هذه السفن بعض النساء المسلمات اللائى عمل آباؤهم بالتجارة وماتوا في «سرنديب»، وكان ملك هذه البلاد يبغى بذلك التودد إلى أمير العراق، وبينما كانت السفن قريبة من ميناء «الديبل» ببلاد السند، هجم عليها جماعة من القراصنة ممن يسمون بالتكامرة[1]، واستولوا عليها بكل ما فيها ومن فيها من التجار والنساء المسلمات ومضوا بهم إلى داخل بلاد السند[2] وعلم الحجاج بما جرى عن

---

(١) يذكر البلاذرى أن هؤلاء القوم من «ميد» وأنه كان بين الأسرى امرأة من بنى يربوع نادت قائلة «ياحجاج» وبلغ ذلك الحجاج فقال: يالبيك. انظر:
فتوح البلدان: ص٦١٢، و

Fazl ahmead: Muhammad Ben Oasin, P. 31

ويذكر «فضل أحمد» ومثله م. س. اكرام أن عاصفة القت بالنساء والرجال والهدايا التى تعود ملك سيلان إرسالها الخليفة الأموى فى كل عام نحو ميناء «الديبل» وأن اللصوص استولوا عليها ثم تطورت الأمور حتى تم فتح المسلمين لبلاد السند.
وانظر كذلك:

- History of muslim civilication in India and Pakistan, P.3.
- K. Ail and A. S. Bukhari: A new history of Inda- Pakistan P-143, Lahora, 1980.

وعن الحادثة نفسها انظر

K. Ali...Anew history of India Pakistan ..P. 143 .

وانظر مقالاً لمحمد يوسف عباسى تحت عنوان: M. Yusuf Abbasi
منشور Mohammad Bin Qasim Conquest of Amilitary Appraisal
فى مجلة: Journal of central Asia, P. 160 - 161 Vol. 11, july 1969 .

وفيه يقارن المؤلف بين ظروف فتح المسلمين للسند وبين بعض حوادث التاريخ الحديث .

(٢) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١١ ، ٦١٢، فتحنامه سند ص ٥٩ من الترجمة الانجليزية ويذكر بعض الدارسين أن عدد السفن كان ثمانية فقط ، انظر مثلاً : =

-Elioth, the history of India...
- Ishtiaq Husain qureshi: the muslim community.. p 29

طريق تاجر تمكن من الهرب وأخبره.

وبرغم ضيق الحجاج من تصرفات القراصنة ومن حماية ملك السند لهم، ومن مساندة العلافيين المتمردين على حكومة بني أمية إلا أنه آثر اللجوء إلى الطرق السلمية أولا ، ذلك أنه من الحكمة الا يستخدم العنف في مثل هذه الظروف، خاصة وأرواح المسلمين والمسلمات الذين لاحول لهم ولا قوة في أيدي هؤلاء المجرمين، وقد يقومون بالقضاء عليهم في لحظة غضب، ومن هنا وجدنا الحجاج يؤثر ارسال رسالة إلى ملك السند يطالبه فيها بالتدخل وإرسال السفن وإطلاق سراح الأسرى، ولكن «داهر» ملك البلاد اعتذر بأنه لاسلطان له على القراصنة اللصوص وليس في استطاعته القبض عليهم أو عمل أي شيئ يساعد على حل القضية.

والواقع أن هؤلاء كانوا من أعوان ملك السند، وكان يسبغ عليهم حمايته كما أثبتت الوقائع بعد ذلك، ومن هنا غضب الحجاج، فقد تأكد لديه سوء نية ذلك الملك، ورأى أن الواجب يفرض عليه استخدام القوة لإنقاذ الأسرى وتأديب القراصنة، ولم تكن أمامه حيلة أخرى بعد أن أغلق «داهر» سبل السلام أمامه، وفرض عليه اللجوء إلى القوة مامن ذلك بد.

وقد أعد الحجاج جيشاً بقيادة عبيد الله بن نبهان السلمي، ووجهه بحراً إلى ميناء الديبل (كراتشي الحالية) عن طريق عُمان، ولكن ذلك الجيش فشل في

= وهناك بين الدارسين من يشك في الرواية كلها، ويرى أن فتح بلاد السند اعتمد على خطة مدبرة بدليل أن الحملة توفر لها كل ما تحتاج إليه [انظر: ماجد: التاريخ السياسي .. ج٢ ص ٢٣٥] وليس هناك ما يمنع تحريك الحادثة للحجاج فأعد للفتح عدته وجهز الجيش بكل شيء. انظر

- Ashwari Prasad: Ashor history of Muslim rule in India.... P. 42, Lohore 1986.

تحقيق مهمته، ذلك أن الملك «داهر» كان ينتظر قدومه مستعداً لمواجهته، وقد استشهد عبيد الله نفسه في المعركة مع الكثيرين من جنده.

لم تدفع نتيجة المعركة الحجاج لليأس ولم يستسلم، بل أعد جيشاً جديداً سنة ٩١هـ=٧٠٩م جعل القيادة عليه لبديل بن طهفة البجلي، وقد اتخذ ذلك الجيش طريق البر إلى عمان ومنها إلى إيران فمكران حيث أمده الوالى محمد ابن هرون بثلاثة آلاف من الجنود، أضيفوا إلى ثلاثة آلاف فارس كانوا معه[1]، وقد أعد لهم «داهر» جمعاً قوامه أربعة آلاف جندى مزودين بالأسلحة، تعاونهم عشرات الفيلة وجعل عليها ابنه المسمى «جيسيه» وعند «الديبل» دارت معركة عنيفة بين الجانبين استمرت طوال اليوم. وقد ربط القائد «بديل» خلالها عينى فرسه لأنها كانت تهاب الفيلة، وقاتل بشجاعة نادرة وصرع ثمانين من أعدائه ولكنه استشهد آخر الأمر وخسر جيشه المعركة ووقع بعضه في الأسر وانضم إلى الموجودين في سجن الديبل[2] .

---

(١) يقول K. S. Lal نقلاً عن «فريشتا» Ferishta ان بديل كان معه اربعة آلاف فارس، وهذا الرجل مؤرخ هندى من القرن السابع عشر الميلادى واسمه بالكامل محمد قاسم هند وشاه فيريشتا، وقد أضاف أن «سيلان» كانت مركزاً إسلامياً نشطاً وأن حجاج بيت الله تعودوا أن يذهبوا منها للجزيرة العربية عن طريق السفن، ويقول أنه حتى قبل الإسلام فإن الهنود البراهمة تعودوا الذهاب إلى الكعبة بمكة لعبادة الأصنام هناك. ولهذا كانت هناك حركة دائبة بين سيلان من ناحية وبين البلاد التى تسمى اليوم بغرب آسيا من ناحية أخرى. انظر: Ferishta:
Tarikhi - Ferishta, persian text, P. 311, part 11, Luknow 1865
نقلاً عن K. S. Lal: Early muslims in India, p. 13 and p. 30
وانظر أيضاً: أبو المعالى اطهر المباركبوري: العقد الثمين: ص١١٩ ، ١٢٠.

(٢) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١٢، المرجع السابق ص٤٢١ ، وقانع: تحفة الكرم: ص٩١، والطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامى. ج١ ١٥٩٢ – ١٦٣، ومحمود شاكر: باكستان ص١٤ ، ١٥، بيروت بلا تاريخ ويقول الأستاذ: إحسان حقى أن الحجاج طلب إذن الخليفة عبد الملك فوافق بعد تردد على إرسال حملة عبد الله بن نبهان. ولما لم يوفق فى مهمته عزله، وولى «بديلا»

وصل الخبر للحجاج فاستشاط غضباً وآلمه للغاية أن يلقى خيرة جنده هذا المصير على أيدى هؤلاء المجوس، فتقسم ليفتحن هذه البلاد وينشر الإسلام في ربوعها، وقرر القيام بحملة منظمة، يعد لها جيداً وتعمل على فتح بلاد السند وتنتقم من ذلك الملك العنيد، وكان على والى العراق والمناطق الشرقية أن يبعث للخليفة الوليد بن عبد الملك ينهى إلى ما حدث ويستأذنه في اعداد الجيوش وإرسالها لتعمل ضد من يقفون في سبيل تبليغ كلمة الله لكل السكان في بلاد السند.

أما الخليفة فقد تردد أول الأمر، لأنه كان لايزال يتهيب تلك البلاد، فهى مناطق واسعة بعيدة عن مقر الخلافة في دمشق، فالمسافة بينها وبين العاصمة

مكانه وأمره بالاستيلاء على «الديبل» مقر القراصنة، ولكنه انهزم وقتل وأسر السنديون كثيراً من رجاله. انظر تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص٤٨ .

ويذكر أ. د. الساداتى أن الحجاج طلب إذن الخليفة الوليد بتيسير حملة إلي بلاد السند عندما ثار بها محمد ومعاوية العلافيان وقتلا الوالى سعيد بن أسلم، وكان ملك السند قد رحب بهما وبرجالهما الخمسمائة، ورفض تسليمها للعاصمة الاسلامية، وهما بدورهما ناصراه فى بعض حروبه ونالا حظوة عنده، ولكن الخليفة رفض إجابة طلب الحجاج إلى أن جرت حادثة استيلاء قراصنة ميناء الديبل على السفن والبنات والأرامل المسلمات.. عندئذ أذن الخليفة لوالى العراق أن يرسل حملته لفتح بلاد السند . ويعتبر س. م. إكرام لجوء العلافيين إلى «داهر» سبباً إضافياً لحملة الحجاج ضد ملك السند وليس هناك ما يمنع من أن يكون الأمرين معاً وراء التفكير فى فتح هذه البلاد، فيصح أن يكون كل منهما قد حدث، فحفزا الحجاج لغزو هذه البلاد» ، انظر: [عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، وفيه عرض سريع لمحاولة فتح بلاد السند حتى نهاية محمد بن القاسم ص ٧١-٧٧ القاهرة ١٩٨٩.

انظر: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم ص٤٤، ٤٥ . وكذلك
· History of muslim civilisaion in India and Pakistan, p. 4
وقد أثرنا فى الأصل هنا ما ذكره «البلاذرى» لأنه من أقدم المؤرخين، ولأن ما ذكره يتمشى مع التسلسل المنطقى للأحداث.

الأموية تصل إلى ٢٥٠٠ كيلو متر، كما أن طبيعتها صعبة وجغرافيتها غير واضحة لدى المسلمين، ففتحها والحالة هكذا قد يكلف المسلمين الكثير من النفقات والأرواح، ولكن الحجاج عاود الكرة موضحاً ماعنده من خطط عسكرية محكمة تضمن النصر بإذن الله، وتعهد أن يرد إلى خزينة الدولة ضعف ما ينفقه على فتح بلاد السند(١) مما يدل على ثقته في الفتح وفي وفرة ما سيحصله من مغانم من ذلك الفتح، وقد وافق الخليفة الوليد آخر الأمر، فكانت حملة محمد بن القاسم الثقفي.

وعندما قام ابن القاسم بحملته هذه كان المسلمون قد نجحوا في فتح بعض المناطق بجنوب أفغانستان الحالية، ثم اتجهوا نحو كرمان ومكران - غرب اقليم بلوخستان الآن - وكذلك فتحوا سستان، ثم كانت حملة ابن القاسم الذي أتم الله على يديه نعمة اشراق الإسلام بكل مناطق السند ودخول أهلها في دين الله أفواجاً ، فلنحاول منذ الآن متابعة أحداثها.

---

(١) انظر الطرزي: المرجع السابق ص٦١٢، وكذلك:
K. S. Lal: Early Muslim in India, PP. 12 - 14 .

الفصل الثاني

محمد بن القاسم
يفتح بلاد السند والبنجاب
زمن الوليد بن عبد الملك

* * *

محمد بن القاسم الثقفي فاتح بلاد السند

أحداث الفتح

* * *

في سنة ٩٢ هـ = ٧١٠م اختار الحجاج صهره وابن أخيه عماد الدين محمد بن القاسم الثقفى - الذي كان والياً على الري ببلاد فارس - وعينه قائداً عاماً على الجيش الإسلامى الذي تقرر توجيهه لفتح بلاد السند؛ وذلك لما تميز به من أخلاق عالية وشجاعة وفروسية نادرة وإقدام، رغم عمره الذي لم يكن تجاوز السبعة عشر ربيعاً ، وأيضاً لأن تلك كانت رغبته، ذلك أنه قال للحجاج: «إنى لا أطلب منصباً ولا أطالبك برزق وإنما أطلب منك أن تعيننى على موتة فى سبيل الله، فأعنني على الموت يهب لك الله الحياة» لقد سئم الحروب الأهلية وأراد توجيه همته لمجاهدة أعداء الإسلام ونشر ذلك الدين الحنيف .

وعلى كل حال لقد كان على ذلك الشاب أن يتجه نحو بلاد الهند الغريبة عليه، وأن يقاتل عدواً عنيداً انتصر على قائدين مسلمين من قبل بسهولة، وقد كان ابن القاسم أهلاً للثقة به لحكمته ورزانته وسواجهته العدو دون خشية أو وجل، ولم يكن ما قاله المنجمون عن حسن طالعه وحظه وراء اختيار الحجاج له كما يذكر بعض الباحثين[١] .

---

(١) انظر:

A h:wari Prasad: Ashor history of Muslim rule in India.... P. 43

هذا ولا يتفق المؤرخون على سنة هذه الحملة وإن كان معظمهم يقرر أن ابن القاسم وصل إلى مكران سنة ٩٢هـ= ٧١٠م ، وأن مقتل ملك السند كان سنة ٩٣هـ، وسارت غالبية المحدثين علي ذلك، بينما يذكر ابن الأثير أن مقتل داهر كان سنة ٨٩هـ يعنى أن الجيش المسلم وصل السند سنة ٨٨هـ، وقد سار الساداتى على ذلك أما الطبرى فيجعل مقتل داهر بن صلصة ملك السند سنة ٩٠هـ (جـ٦ ص ٤٤٢) وهذا يعنى أن ابن القاسم وصل للسند سنة ٨٩ هـ ويذكر فى حوادث سنة ٩٤هـ ، جـ٦ ص ٤٨٢ ، أن ابن القاسم فتح أرض الهند (السند) وفى حوادث =

وقد زوده الوالى بكل ما يحتاج إليه من أسلحة وذخائر وأموال ولم يبخل عليه باقل الأشياء حتى الخيوط والمسال كما عمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع في الخل الحاذق ثم خفف في الظل وقال: «إذا صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق فانقعوا هذا الخل في الماء ثم اطبخوا واصطبغوا ...»[1] وجعل تحت إمرة القائد عدداً من خيرة الفرسان والمشاة بلغ ستة آلاف ما بين فارس وراجل وحرص على توديعهم بنفسه على رأس أفراد الشعب.

وقد وصل محمد بن القاسم إلى شيراز من الري والتحق بالجيش هناك ومكث بهذه المدينة ستة أشهر يرتب جنده ويدرب رجاله ويتعرف على البلاد وينظم جيشه[2] ثم رسم خطة الفتح التى اعتمدت على إرسال بعض المجانيق والأسلحة على ظهر بعض السفن، وقد عين عليها اثنين من القادة وأمرهما أن

= سنة ٩٥ يذكر انه فتح أخر الهند إلا الكيرج والمندل (جـ٦ ص٤٩٢) وانظر تاريخ ابن الأثير: حوادث ٨٩هـ جـ٤ ص ٥٣٦-٥٣٩.

- البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١٢

- فتحنامه سند: ص ٧٠-٧١، ص٥٩ من الترجمة الانجليزية، وكذلك الساداتى: تاريخ المسلمين. ص٤٦، الطرزي: موسوعة التاريخ. ج١ ص١٦٤.

- K. S. Lal: Early Muslim in India, PP. 12 - 14 .

(١) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١٢، ٦١٣ وكذلك:
Lane Peole: Medievai India under the Mohammadan rule, P. 8 New york 1962.

(٢) انظر : فتحنامه سند ص ٧١ وص٥٩ من الترجمة الانجليزية. البلاذرى: فتوح البلدان الموضع السابق ، تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢٨٨، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٨٩هـ الجزء والموضع المشار إليه أنفاً. هذا ويذكر د. الساداتى أن ابن القاسم كان مقيماً بشيراز عندما كلف بالقيادة وانه استمر بها ستة أشهر بعد العدة.. انظر: تاريخ المسلمين. ص٤٥ .

يسبقاه إلى ميناء الديبل وإن ينتظراه هناك، وكانت السفن العربية في عهد الوليد قد أصبحت تتخذ دور المبادأة بالهجوم، فالعرب قد استفادوا من حملاتهم السابقة ومن احتكاكاتهم ببحرية الهند، ولايبعد أن يكون قد اعدوا سفنا يمكنها مواجهة ا ساطيل السند والسيطرة على المحيط الهندى(١) أما ابن القاسم نفسه فقد سلك طريق البر ماراً باقليم مكران(٢) معه خمسة عشر الفاً من أهل الشام والعراق ومن الفرس والعرب، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف من الجمال يحمل على نصفها الزاد والمؤونة والسلاح، ويتناوب أفراد الحملة ركوب ١٥٠٠ منها بحيث خصص جمل واحد لكل أربعة أفراد.

وقد وصلت القوات إلى اقليم مكران في نفس عام ٩٢هـ = ٧١٠م وبقيت هناك أياماً للراحة والاستعداد لدخول بلاد السند، وقد تم اجتياز الحدود من مكان اسمه الآن «داربيتجى» Darbiji دون أن يصادف المسلمون أثراً لقوات «داهر»(٣) أما الحجاج فكان على اتصال دائم بالجيش وقائده لاتغيب عنه توجيهاته ونصحه.

وقد حرص ابن القاسم على أن يستقر الوضع ويستتب النظام في البلاد الواقعة غربي نهر السند قبل أن يعمل على الوصول الى الضفة الشرقية لذلك النهر حيث تقع عاصمة «داهر» ملك السند.

وقد تحرك الجيش المسلم ونجح في فتح بعض البلاد مثل «فنَزْبور»

---

(١) انظر : د. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية ... ص ١٨٢ .

(٢) انظر تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢٨٨، و

Eliott, the history of India, 1, P. 436 .

Fazl ahmead: Muhammad Ben Oasin, P. 29 .

ويذكر صاحب «فتحنامه سند» أن الجيش المسلم سار من «شيراز» إلى «مكران» بينما يذكر المعصومى فى تاريخه اسم -كرمان- بدلاً من «شيراز» . انظر ص ٧٢ من فتحنامه سند، ص ٥٩ من الترجمة الانجليزية، وتاريخ المعصومى ص٨ طبع بمباى بالهند سنة ١٩٣٨م.

(٣) انظر« فتحنامه سند» ص ٧٢ وص ٥٩ من الترجمة الانجليزية

-انطرزى: موسوعة التاريخ ج١ ص١٦٧ .

و«أرمابيل»[١] قبل أن يصل إلى «الديبل» في محرم سنة ٩٣هـ= ٧١١م ، كذلك وصلت القوات البحرية التى اتخذت طريق «شيراز» . وانضم إلى جيش المسلمين عند «الديبل» كثير من رجال الميد والجات (الزط) وهى من القبائل السندية التى تركت مواطنها الأصلية بسبب سوء معاملة البراهمة لهم، إذ كانوا يعتبرونهم من المنبوذين ويحرمون عليهم امتطاء الدواب ولبس الملابس الغالية، ولم يكن يسمح لهم إلا بالعمل في المهن الحقيرة، وقد أفاد المسلمون من شجاعة هؤلاء ومعرفتهم بمسالك السند وأحوال أهلها[٢] .

بعد ذلك تم تقسيم أفراد الجيش إلى مقدمة ومؤخرة وقلب، وبقى القائد في القلب ومعه كبار العسكريين، وحاصر مدينة «الديبل» لمنع الزاد والمدد عن سكانها، وحفرت الخنادق وركزت الرماح حول حصن الديبل حيث يوجد أسرى المسلمين، كما نظمت دوريات المراقبة والاستكشاف، وأحاط الجند الإسلامى بالحصن من كافة نواحيه، ووصلت رسائل من الحجاج تستحث الجند وتعمل على رفع معنوياتهم، وجهزت المنجنيقات، بينها منجنيق كبير عرف باسم «العروس» كان يحتاج إلى خمسمائة رجل لتشغيله، وقد أمر محمد بن القاسم

---

(١) «فنزبور» كانت عاصمة اقليم «مكران» أيام فتح المسلمين لبلاد السند أما «أرمابيك» أو أرمانيل فمدينة تقع بالداخل قرب الشاطىء . انظر:

-البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١٢ .

- تاريخ اليعقوبى: ج٢ ص٢٨٨ .

- ابن الأثير: الكامل، حوادث سنة ٨٩ هـ جـ٤ ص ٥٣٧ .

(٢) انظر : الساداتى: تاريخ المسلمين ص٤٦ .

شلبى: موسوعة التاريخ.. جـ٨ ص٢٦٥

د. حسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية فى وسط أسيا ص ١٨٣ .

وبلغ عدد جيش ابن القاسم فى رأى بعض المحدثين ٢٥ ألفًا من الفرسان والرجالة، بينما لم يتجاوز ستة آلاف فى رأى البعض الآخر أو هو لا يقل عن ثمانية عشر ألفًا . انظر

K. S. Lal: Early Muslim in India, PP. 14 - 15 .

قائد هذا المنجنيق واسمه«جعوية المسلمي»فصوب قذائفه نحو العلم المتدلى من أعلى قمة لمعبد بوذى كبير وكان ذلك عملاً بنصيحة بعض البراهمة، فقد أخبره أحد هؤلاء أن أهل وسكان هذه المنطقة يعتقدون بأنه لن يتمكن أحد من فتح هذه البلاد مادام هذا العلم مرفوعاً «فهناك بد (صنم) عظيم، عليه دقل طويل، وعلى الدقل راية حمراء، إذا هبت الريح اطافت بالمدينة وكانت تدور»[1] .

وقد استغل المسلمون هذا الإيمان بتلك العقيدة بهدف التأثير على نفسية سكان البلاد وتحطيم معنوياتهم، وهذا ماحدث بالفعل فقد أيقن أهل البلاد بالهزيمة وملأ الرعب قلوبهم عندما رأوا علمهم يهوى أمام أنظارهم، عندئذ تمكن المسلمون من دخول المعبد وأخرجوا ٧٠٠ فتاة كن يعملن في خدمة الأصنام، ثم بدأوا هجوماً شاملاً على كافة جوانب الحصن في وقت واحد، ووضعوا سلالم تسلقوا عليها إلى داخل الحصن، ونجحوا في فتح أبوابه وقتلوا من كان بداخله، إلا من ثبت حسن معاملته لأسرى المسلمين، ذلك أن من كان بالداخل كان مسلحاً، ولأنهم كانوا مصرين على الحرب، ثم لأنهم هم الذين أنوا المسلمين والمسلمات اثناء أسرهم في الحصن، أضف لهذا أن الحجاج أراد أن يكونوا عبرة لغيرهم، أما حاكم «الديبل» فقد أمكنه القفز من فوق الحصن

---

(١) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص٦١٣ .

فتحنامه سند ص ٧٦ وص ٥٩ من الترجمة الانجليزية

تاريخ ابن الاثير: حوادث سنة ٨٩ هـ جـ٤ ص ٥٣٧ .

وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن عدد المنجنيقات مع المسلمين كانت خمسة ، بينما ذكر البعض الأخر أنها كانت ثلاثة، انظر:

Fazl ahmad: Muhammad Ben Qasin, P. 33 - 35 .

ويقول «لال» أن هذا المعبد كان معبداً بوذياً ارتفاعه ١٢٠ قدماً ويحيط به قبه بنفس الارتفاع، انظر:

Lal: Early Muslims in India, P. 50 .

وهرب ليلاً ثم توجه نحو عاصمة «داهر» ملك السند[١] .

بعد ذلك جاء رجل من البراهمة وأرشد محمد بن القاسم إلى موضع السجن الذي فيه أسرى المسلمين داخل الحصن فتوجه إليهم وأطلق سراحهم.

وهكذا برهن تطور الحوادث على وجود المسلمين في السجن الرسمي لملك السند وبداخل الحصن، مما يؤكد أنه كان وراء القبض عليهم وأنه هو الذي دبر للاستيلاء على سفنهم وممتلكاتهم، وأنه كان يكذب عندما زعم من قبل عندما اتصل به الحجاج أنه لاصلة له بهذه العملية، وأن ماجرى لهؤلاء إنما هو من فعل القراصنة واللصوص دون أن يكون له دخل فيه[٢] .

ولما تم لابن القاسم فتح الديبل، مكث بها فترة ونظم أمورها ووزع المغانم على مستحقيها وأرسل بالخمس إلى دار الخلافة، ثم عين حاكماً للمدينة وترك

---

(١) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص٦١٣ ويذكر أن تحطيم الصنم كان بتوجيه من الحجاج وبناء على تخطيط منه، وكان دائم التشاور مع محمد، حيث كانت رسائله تصل باستمرار كل ثلاثة أيام. انظر ص٦١٤، وكذلك

Lal: Early Muslim in India, P. 16 .

تاريخ اليعقوبى: جـ٢ ص ٢٨٨، ٢٨٩

تاريخ ابن الأثير: ج٤ حوادث سنة ٨٩هـ ، الجزء والموضع السابق.

تاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٦٠ .

الساداتي: تاريخ المسلمين.. ص٤٦ .

هذا ويرى «ماجمدار» الهندى فى كتابه الغزو العربى الهند ص١٦، أن قتل المسلمين للمحاربين داخل الحصن وحشية بينما لا يدين سلوك القراصنة وأعمالهم ضد المسلمين، وانظر:

الطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامي ج١٤ ص ٧١، هامش١٥ .

(٢) انظر : فتحنامه سند: ص ٧٩ ص٩٥ من الترجمة الإنجليزية.

تاريخ المعصومى ص٢١، نقلاً عن مرجع الطرزى المشار إليه آنفاً، ج١ ص ١٧٢ .

لها ما يلزمها من حماية عسكرية تمثلت في أربعة آلاف جندي. وقد اختار لهم مكاناً أسكنهم فيه وأسس لهم مسجداً جامعاً(١) . وهذا هو شأن المسلمين عندما ييسر الله لهم فتح بلد ما، وقد انتهى ابن القاسم من ذلك كله في رجب ٩٢هـ= ٧١١م. وفي نفس العام أتاه كتاب الحجاج يقول: أنت أمير ما افتتحت .

أما «داهر» فقد أغضبته نتيجة القتال وأرسل لابن القاسم رسالة تفيض تهديداً ووعيداً قال فيها: إن ما حدث في «الديبل» ليس نجاحاً كبيراً، فهذه المدينة لايقطنها رجال مستقرون، ومن فيها ليسوا إلا تجاراً لايعرفون شيئاً عن أصول وفن الحرب، ولايجدى انتصارك على هؤلاء، لقد سبقك جيشان إلى بلادي السند وقتل القائد في كل منهما، وإذا لم تنسحب من بلادنا فستلقى نفس المصير، فلا تغتر بما رأيت في «الديبل» فالشعب القوى يعمر أماكن أخرى في السند، إننا أمة شجاعة ورجالنا يحاربون إلى آخر رمق ولا

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٦٠ وكذلك: الساداتي: تاريخ المسلمين ... ص ٤٦، والمباركبوري العقد الثمين... ص ١٤٠ نقلاً عن تاريخ خليفة بن خياط جـ١ ص ٤٠٤-٤٠٩، تاريخ ابن الاثير: حوادث سنة ٨٩ هـ جـ ٤ ص ٥٣٧.

تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص ٢٨٩

البلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٤

فتحنامه سند: ص ٨١ ، ص ٦٠ من الترجمة الانجليزية Lal: Early muslims...p. 17. وهناك الآن مسجد في «بامبور» Bhambhore بالقرب من كراتشي يقال انه اقدم اثر إسلامي في شبه القارة الهندية، انظر:

- Annemarie Schimmel: Islam in India and Pakistan P.2, Leiden 1982.

ويقول فضل أحمد ان ابن القاسم سمح لحاكم المدينة الذي استسلم بالبقاء بل عينه والياً عليها وطلب منه الاستمرار في أداء عمله وتأمين طرق الملاحة والتجارة بين البلاد العربية وبين بلاد السند والهند، انظر:

Muhammad bim Kasim, p. 36, 37.

يستسلمون أبداً، وقد رد عليه ابن القاسم برسالة جاء فيها:

«إنك تفخر علينا بخيلك وفرسانك وجندك وما عندك من أسلحة ومعدات، ولكننا نثق في الله وفي دفاعه عنا وهو -سبحانه- قد ضمن لنا النصر والكرامة، لقد ساعدت الإيرانيين ضدنا وكنت سبب ثورات قامت تعادينا في بلوخستان ومكران بل أرسلت جندك هناك، فعلت ذلك دون أن نسيء إليك بشيء، ثم استولى اتباعك على سفننا وأسروا أطفالنا ونساءنا وقد وجدناهم في سجنك، مما يعني أنك وراء القراصنة واللصوص، فلماذا ذلك كله؟ وقد عرف خليفة المسلمين كل ذلك وأمر بمعاقبتك وسنقاتلك حتى تفنى أرواحنا»[1] .

ولم يؤثر هذا التهديد على محمد بن القاسم، ومضى القائد الشاب يحمل الدعوة الإسلامية ويعمل على تبلغيها للناس ونشرها وأمكنه فتح العديد من المدن والانتصار على المحاربين المعاندين.

فتوجه نحو مدينية النيرون - قرب حيدر أباد السند الحالية على مسافة ٧٥٠ ميلاً من مكران وتسمى أيضاً «نيرانكوت» - ونزل في ضاحية من ضواحيها في جمع من قادته ورجاله، وكان الوالي البوذي على تلك المدينة غائباً، وما لبث أن عاد وبعث برسالة خاصة لابن القاسم تتضمن اتفاقاً سرياً جرى بينه وبين الحجاج منذ عام يتضمن رضاه بحكم المسلمين، وقد فتح أبواب المدينة أمام القائد المسلم وجاء إليه يحمل هداياه فخلع عليه ابن القاسم

---

(١) انظر

Fazl ahmad: Muhammad bin Kasim. pp: 39 - 42
- Lal: early muslims P. 17
- S.M. Ikram: History of muslim civilisation in India and Pakistan., P.5.

وأكرمه، وبذلك سلمت هذه البلدة دون إراقة نقطة دم واحدة[١] .

وبعد استسلام النيرون كتب الحجاج لابن القاسم يقول:

«لقد استسلمت النيرون وعليك أن تعامل أهلها بالشفقة وأن تستولى على قلوبهم، وإذا استسلم من رفع السلاح عليك فلا تؤذه ولتعفو ولتصفح ولتحفظ عهدك حتى يثق فيك الناس، وإذا رجعت مرة في عهدك فإن ذلك يفقدك تقدير الناس ولن يأمنوا لك» وأوصاه في مناسبة أخرى فقال:

«إذا أردت أن تحتفظ بالبلاد فكن رحيماً بالناس ولتكن سخياً في معاملة من أحسنوا إليك، وحاول أن تفهم عدوك، وكن شفوقاً مع من يعارضك، وأفضل ما أوصيك به أن يعرف الناس شجاعتك وانك لاتخاف الحرب والقتال»[٢] .

وعجيب أن تصدر هذه الوصايا من الحجاج الذي اشتهر بالشدة والقسوة والعنف في تعامله مع خصومه.

ومهما يكن من أمر فقد توجه ابن القاسم بعد فتح (النيرون) ناحية سيوستان (سنيهوان وسيبى الآن) على بعد ١٣٠ كيلو متراً إلى الجنوب الغربي – ونزل المسلمون في موضع يقال له «موج» أو ماوج»، وكان حاكم تلك المنطقة برهمياً، فاجتمع به رعاياه من البوذيين وأخبروه أنهم مسالمون لايرغبون في سفك الدماء وأنهم يثقون في مسالمة المسلمين لمن سالمهم، ولكن الحاكم رفض

---

(١) جدير بالذكر أن هذه المدينة غير مدينة (بيرون) الموجودة في خوارزم والتى ينسب إليها البيرونى العلامة المشهور وقد وهم البعض فنسبه إلى المدينة السندية، ومن هؤلاء: محمود شاكر فى كتابه «باكستان» ص ١٦، بيروت بدون تاريخ، والقلقشندى فى صبح الأعشى جـ٥ ص ٦٥، القاهرة ١٩٦٣م.

انظر: الساداتي: تاريخ المسلمين... ص ٤٧.

(٢) انظر: Fazlahmad: Muhammad bin Kasim p. 66, 67

وجهة نظرهم، فاضطر الجيش المسلم لمحاصرة المدينة ورميها بالمنجنيقات وضيق عليها الخناق مدة اسبوع كامل حتى يئس حماتها وتوقفوا عن القتال، وفر حاكمها تحت جنح الظلام إلى منطقة «البودهية»، عندئذ دخلها محمد بن القاسم واستولى عليها وغنم منها، وأمن البوذيين، لأنهم قبلوا الدخول في طاعته سلفاً ولم يستول على ممتلكاتهم كما فعل مع البراهمة.

ومن أقليم «سيوستان» هذا أهل «جنة» وهم جماعة كبيرة من البوذيين أسلموا جميعاً زمن فتح السند على يدى محمد بن القاسم[1] .

بعد ذلك توجه محمد بن القاسم نحو منطقة «البودهية» (البدهة) ونزل على شاطئ نهر يعرف بنهر كنبئ في نفس المنطقة، وقد قرر حاكم الاقليم - بعد تشاور مع رجاله وقواده - القيام بغارة ليلية على معسكر المسلمين، ولكن الجيش ضل طريقه في الصحراء، وعاد يخبر حاكمه، فتوجه ذلك الحاكم نحو محمد بن القاسم وأعلن استسلامه، وعاونه بنفسه في القضاء على المتمردين حيث دخل المسلمون العاصمة الاقليمية «سيسم» وقضوا على فلول المعاندين.

وكالعادة اهتم محمد بن القاسم بتنظيم الأمور في منطقة البودهية وعين خراجها، وساعد المسلمين على الاستيطان فيها وبنى بعض المساجد، وعين عليها حكاماً ونصحهم بالاهتمام بالبلاد والحرص على راحة الشعب ورخائه.

من هذا العرض يبدو أن المحاربين -حتى الآن- كانوا من الهنادكة أو الهندوس أما طبقة التجار والحرفيين وغيرهم من المسالمين فكانوا بوذيين، وهناك من الشواهد ما يدل على مساندة البوذيين للمسلمين، فراهب منهم هو

---

(١) انظر: Lal: Early Muslims.... P 17, 18.
Fazl ahmad. Muhammad bin Kasim. p. 45, 46.
- تاريخ المعصومى ص ٢٢، ٢٣

الذى قدم لابن القاسم وأخبره بضرورة اسقاط العلم من أعلى المعبد لتسقط «الديبل» وواحد آخر منهم كان واسطة بين القائد المسلم وبين الأسرى من المسلمين، ومدينة «النيرون» كانت تحت حكم حاكم بوذى له مراسلات مع المسلمين قبل أن تطأ قدم محمد بن القاسم أرض السند وقد توقف القتال بمجرد وصول الحاكم وعودته من سفره وأعتذر للمسلمين وسلمهم المدينة. كذلك نصح البوذيون حاكم «سيوستان» بعدم محاربة المسلمين الذي لايخلفون وعدهم وعندما رفض، أعلنوا بصراحة أنهم لن يقاتلوا معه، ونفس الشيء حدث في «كاكا» و «كوتاك» حيث لم يكتف الحاكم بعدم حرب المسلمين بل ذهب إلى معسكرهم وقدم لهم معلومات مفيدة، وسنعرف أيضاً فيما بعد أن قادة البوذيين هم الذين أمدوا ابن القاسم بسفن يعبر بها إلى الضفة الشرقية لنهر السند وهكذا تدل الشواهد على معاونة البوذيين للمسلمين ومساعدتهم لهم على فتح السند، بل أن المسلمين منحوهم ثقة لم يحظ بها بعض مواطنيهم، وهذا يسر مهمة الفاتحين[١] .

وفي هذه الآونة تلقى ابن القاسم رسالة من الحجاج تشجعه وتشد أزره وتعطيه توجيهاً ببذل وعوده للزعماء في مختلف الولايات حتى ينال مساعدتهم، وأوضح له وسائل التوصل إلى السلطة وتتلخص في أربع هي: المدارة وبذل المال والرأي الصائب في محاربة الأعداء بعد دراسة أمزجتهم ومعرفة نواحي قصورهم ثم ادخال الرعب والهيبة مع القوة والشهامه، ثم طلب منه أن يعبر نهر السند إلى ضفته الشرقية كي يدخل الفزع إلى قلب العدو، أخيراً أوضح له الحجاج أسلوب معاملة الرعية وفقاً للخيار الذي تميل إليه من اعتناق للإسلام أو قبول الطاعة للمسلمين ودفع الجزية أو التصميم على الحرب والقتال.

---

(١) Ishtiaq Husain quareshi: the muslim Community... p 33, 34.

وقد اضطر ابن القاسم أن يعود إلى مدينة «اشبهار» - بالقرب من مدينة «نيرون» بناء على أوامر الحجاج - وتمكن من الإجهاز على حركة مناوئة قام بها بعض البوذيين وبعض رجال القبائل هناك، ثم عاد يتقدم نحو نهر السند وقضى في طريقه على كل مقاومة وظل يواصل مسيرته حتى وصل إلى الضفة الغربية لنهر السند، في موضع مقابل لجيور (جيبور) ولمدينة «راور» اللتين تقعان على الضفة الشرقية لنفس النهر[١] .

وقد أرسل حاكم منطقة «بت» البوذى، رسالة إلى القائد المسلم يعلن فيها ولاءه واستعداده للتعاون مع المسلمين، على أن يتم ذلك بطريقة ترفع عنه الحرج أمام الملك «داهر» الذي تربطه به صلة قرابة، وقد تم بالفعل ترتيب طريقة سلم بها نفسه وجنده لابن القاسم، وقد أكرمه الأخير ورحب به وجعله حاكماً على منطقة «بت» كما أهدى لمعاونية من التكاكرة ثم طلب منه تجهيز السفن والمراكب اللازمة لعبور الجيش الإسلامى الى الضفة الشرقية لنهر السند[٢] .

---

(١) K. S. Lal: Early muslims in India, p . 19

(٢) انظر: فتحنامه سند ص ٩٩ ، ص ٦٣، ٧١ من الترجمة الانجليزية

«راموج» أو «مابرج» قلعة في «سيوستان» على بعد ٣٠ فرسخاً من النيرون، أما «البودهية» فهي منطقة واسعة اسماها ياقوت الحموى «البدهة» وكانت حاضرتها «قندابيل» وأما سيسم فكات موضع «شاه حسن» الحالية عند الطرف الغربي لبحيرة «ما نجهز» أما «راور» فتقع عل مسافة ٨٠ ميلاً من برهمناباد، ٧٠ ميلاً جنوب شرقي مدينة حيدر أبار السند الحالية، أما «بت» فهي جزيرة صخرية تسمى «بهاكر» أو «بكهر» أما التكاكرة فهم قواد في الجيش الهندى عرفوا بالشجاعة والقوة، ويروى البلازرى في فتوح البلدان ص ٦١٥، أنهم كانوا قواداً لازموا الملك «داهر» في حربة ضد المسلمين، أما «أليت» في تاريخ الهند فيذكر أن لقب «تهاكر» كان يطلق على الجنود المشاة. انظر:

- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان ج١ ص ٥٢٧ .

Eliott; The History of India... I, P. 146.

الطرزى موسوعة التاريخ. ج ١ ص ١٦٨ - ١٧٧

والملحق الموجود باخر الجزء الثانى ص٢٧٦ ، وما بعدها

وهكذا بدأ الناس يتعرفون على الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجاً، ونجح ابن القاسم في مسيرته المظفرة حتى أضحى على شاطئ نهر السند الذي تقع عاصمة «داهر» على ضفته الشرقية.

في هذه المرحلة بعث ابن القاسم رسولاً إلى ملك السند كما فعل السابقون ممن فتحوا مناطق أخرى من العالم، وقد عرض الرسول على «داهر» الإسلام أو تسليم البلاد صلحاً والرضى بحكم المسلمين، فإن أبى فليس أمام المسلمين إلا قتاله حتى يحكم الله بينهم وبينه، وهو خير الحاكمين، وقد طلب الرسول من ملك السند - في حالة اصراره على الاختيار الأخير - أن يختار عبور النهر إلى حيث يوجد المسلمون على الضفة الغربية لنهر السند، أو يسمح لهم بالعبور إلى الضفة الشرقية، ليتيسر التقاء الفريقين في ساحة القتال.

وقد عرض الملك الأمر على مستشاريه، فنصحه وزيره بأن يترك المسلمين يعبرون إليه في ناحيته الشرقية، بذلك يكون النهر من خلفهم، وجند السند أمامهم، وتنقطع عنهم المؤن والامدادات العسكرية فيسهل القضاء عليهم.

ولكن محمد العلافى - أحد المتمردين على الدولة الأموية والذي يحظى بتأييد وحماية ومعاضدة «داهر» - رفض فكرة الوزير ورأى العكس يعنى أن المصلحة أن يجتاز جند البراهمة النهر إلى حيث يوجد المسلمون على الضفة الغربية، وحجته أن المسلمين يجاهدون في سبيل الله، ويبحثون عن الشهادة طلباً للجنة ولن يرضيهم إلا الموت لرفع كلمة الله أو تحقيق الانتصار، فهم صابرون في القتال يستميتون في جهادهم بروح عالية، خاصة إذا رأوا أنفهسم قاب قوسين أو أدنى من العاصمة السندية، وأضاف «العلافى» في نصيحته للملك أنه ينبغى ارسال القراصنة واللصوص ليقوموا بالاستيلاء على المؤن والمواشي والعلف والقوت من خلف الجيش الإسلامي، وبذلك يتعرض

للجوع وتفتك به الأمراض ويتيسر القضاء عليه[١] .

وقد احتار الملك ولم يعرف أي الرأيين يختار، وأخيراً قرر ترك الأمر لمحمد ابن القاسم وفوض إليه اختيار ما يشاء. فقرر القائد المسلم العبور الى الضفة الشرقية، وبدأ يتصل بالمسلمين الجدد من أهل البلاد، وطلب منهم التوجيه والنصح وإرشاده إلى أنسب مكان يتيسر عليه اجتياز النهر منه، وفي نفس الوقت طلب الحجاج امداده بخريطة مفصلة للمنطقة بهدف دراستها وإبداء الرأي، ثم استقر الجميع بعد المشاورات على اختيار نقطة بعينها للعبور منها.

أما «داهر» فقد بنى خطته العسكرية على أساس الاحتفاظ بالقسم الأكبر من جيشه عند عند مدينة «راور» بالشاطئ الشرقي، وأن تبقى السفن بالناحية الشرقية أيضاً في مقابل «بت» على الضفة الغربية حتى لايتمكن المسلمون من العبور من هذه المنطقة السهلة وحتى يجبروا على اجتياز النهر من مكان صعب، ثم أمر أحد وزرائه أن يكون جيشاً وأن يقف على أهبة الاستعداد للهجوم على المسلمين فور وصولهم الى الضفة الشرقية، وكان في الامكان جمع ٥٠ الف فارس وعدد ضخم من الفيلة ونقل امتعة ورجال ومعدات ضخمة من «برهمان اباد» إلى «راور»[٢] .

---

(١) ينفرد « شتياق حسين قرشي» بذكر رواية ينقلها عن الكوفي مترجم فتحنامه سند ص ٧٠، مضمونها أن «العلوفي» رفض القتال ضد ابن القاسم حين طلب منه داهر ذلك واعتذر بأنه لايجوز له أن يدخل معركة ضد المسلمين، وقد عفى عنه ابن القاسم وعينه مستشاراً وولاه بعض الولايات، ولكن نفس المؤلف يعود فيذكر في ص ١٦٢ أن «داهر» احتفظ بالعلوفي مستشاراً، واستمر له نفس المنصب مع «جيسيه ابن داهر» ثم توجه إلى كشمير «حيث بقى هناك في خدمة ملكها، وهذه الرواية الأخيرة هي المضطردة في معظم المصادر، انظر:

The muslim community... p. 53.

(٢) انظر: فتحنامه سند: ١٠٨ ص ٧١، ٧٢ من الترجمة الانجليزية

Fazl Ahmad: Muhammad bin Kasim, p. 53 - 59

وبرغم كل الدراسات التى اسهمت فيها كل الأطراف، فإن اجتياز نهر السند الى ناحيته الشرقية لم يكن أمراً سهلاً، فقد واجه الجيش المسلم صعوبات عديدة ولكنه تمكن من تجاوزها .

فقد اضطر محمد بن القاسم أن يرجع مرة أخرى إلى «سيوسان» للقضاء على حركة تمرد معاوية، لأنه لم يكن يرغب في اجتياز النهر وهو مشغول بأمر من خلفه، فلا بد من التأكد من فتح الطريق ووصول الامدادات والمؤمن اللازمة لأفراد الجيش، وقد تحرك القائد المسلم الى منطقة «جهم» وتعطل بها قرابة شهرين بسبب هذه الاضطرابات وبسبب مرض أصاب الخيل، وبسبب عجز في المواد الغذائية والمواشى والعلف. كذلك لم تكن حالة المناخ والرياح مناسبة، الشيء الذى أثر على الحالة الصحية والمعنوية للجنود .

وقد انتهز «داهر» سوء الأحوال وأرسل يهدد «ابن القاسم» ويعرض عليه المساعدة الغذائية على أن ينسحب إلي الخلف، ولكن ابن القاسم أكد لعدوه أنه لن يترك أرض السند قبل إرسال رأس «داهر» للحجاج.

أما والى العراق فقد سمع بما آل إليه حال الجيش المسلم، فبادر بإرسال ألفين من الخيول العربية الأصيلة مع بعض المواد الغذائية والخل المجفف، كذلك بعث بمرسوم عين بمقتضاه محمد بن القاسم نائبًا عن الحجاج فى بلاد السند، وفوض إليه التصرف فى شئونها، كما شجعه على عبور نهر السند إلى ضفته الشرقية مهما كانت التكاليف، ونصحه أن يكون عبوره من منطقة «بت» حيث يقل الماء ويقل عرض النهر، وأشار عليه ببناء كوبرى من القوارب تيسيراً لعملية العبور .

وبالفعل وصل محمد بن القاسم إلى «ساكرة» فى منطقة جهم (جيم) وبدأ فى تجهيز المراكب اللازمة للعبور، وتزويد الجيش بالمواد الغذائية والأسلحة،

وأرسل بالوحدات الاستطلاعية إلى جهات متعددة من النهر، كما بعث بفرق عسكرية إلى نواح مختلفة بهدف العمل على منع وصول الإمدادات إلى جند «داهر» مع إعاقة تحركاتها وقت عبور الجيش المسلم وحصرها فى بقاع معينة، والتعامل معها إذا لزم الأمر، كما أمر بتوفير المزيد من الغذاء والعلف للقوات وأصبح بهذا كله مستعداً لاجتياز نهر السند إلى ضفته الشرقية .

أما «داهر» فقد تجاهل تحركات القائد المسلم واشتغل بالصيد ولعب الشطرنج استهانة بالمسلمين واطمئناناً لما أعد من خطط عسكرية .

وقد أمر محمد بن القاسم بأن يتقدم محمد بن مصعب الثقفى على رأس وحدة صغيرة لمراقبة الطريق، تتلوه فرقة من ألف فارس يقودها «بنان بن حنظلة» لحماية المقدمة، ثم سار هو نفسه على رأس القواد المسلمين وكبار التكاكرة والزط مع الجيش الرئيسى حتى وصلوا إلى شاطىء النهر، وهناك اختار موضعاً قليل العرض، ثم أحضرت المراكب المحملة بالرمال والحجارة وألواح الخشب، وأمر القائد بتسمير الألواح على المراكب فى صورة جسر يمكن العبور عليه للجهة الأخرى. كما أمر الوحدات البحرية الانتحارية أن تتوجه بسفنها نحو الشاطىء الشرقى من مناطق متعددة لتحول بين قوات البحرية السندية وبين التقدم ولتحمى الجيش المسلم فى وسط النهر أثناء العبور. أما بقية الجيش الإسلامى فقد تلقى أمراً بصف المراكب على طول الشاطىء الغربى وربط بعضها ببعض على امتداد النهر وأن يحمل الجنود عليها، أخيراً أمر محمد بن القاسم بفك رأس المركب الأول حتى يسير فى النهر متجهاً نحو الضفة الشرقية، يتلوه الثانى، وهكذا .

وبذلك نجح المسلمون فى بناء جسر من المراكب عبروا عليه فى شجاعة

وحفر ويدون خسارة كما يذكر «ماجمدار الهندى»[1] .

وقد اندفع المسلمون فى إصرار واستبسال داخل مناطق الناحية الشرقية للنهر، وفاجأوا العدو بسهامهم ودخلوا معه فى قتال مرير انتصروا فيه فاندهش جند «داهر» لما حدث وأخذوا يولون الأدبار ويهربون في عماية الظلام حتى وصلوا إلى ملكهم فى مقر حكمه وأخبروه بما حدث، فانزعج وكاد يفقد وعيه، بينما تمكن جيش المسلمين من إلحاق هزيمة مريرة بوحدات عسكرية قادها «محمد العلافى» المتمرد على سلطان الحكومة المركزية فى دمشق، وأخرى قادها واحد من وزراء ملك السند، وواصل مسيرته نحو العاصمة، حيث استعد الملك «داهر» بأقصى ما يستطيع موقنًا أنه يلقى المسلمين فى معركة مصيرية نتيجتها الموت أو البقاء، ولذلك بذل لها كل جهد وسعه، وحشد لها كل الامكانيات، ووفر لها جميع ما تحتاج إليه، وخطط لها أعظم التخطيط وأعد أفضل الجند وأحسن السلاح، ثم رأى أنه من الضرورى أن يتولى القيادة بنفسه، هذا ما يمليه عليه الموقف شاء أم أبى، بعد هزيمة «العلافى» وهزيمة الأمير «جيسنيه» وعدم تمكنهما من الصمود أمام المسلمين .

أما ابن القاسم فقد استعد بأقصى طاقاته هو الآخر، واستسلم له بعض الأمراء وعاهدوه على الولاء[2] ، ثم توجه بكل قادته ورجاله إلى موضع يدعى

---

(١) انظر: الغزو العربى للهند، بالانجليزية، الفصل الرابع ص ٢١، وكذلك
Lal: early muslims in India..... P. 19.
أما الدكتور الساداتى فيرى أن ابن القاسم توجه نحو شاطىء السند الشرقى بناء على أوامر من الحجاج وأنه فاجأ عدوه بعبور النهر إليه ليلاً، وأن «داهر» اضطر أن يرتد ويتحصن فى العاصمة إلى حين، انظر : تاريخ المسلمين... ص٤٧، وكذلك:
Lane Peole: Medieval, India... p.9

(٢) انظر: فتحنامه سند ص ١٢٥-١٢٦ ص ٧٢ من الترجمة الانجليزية. تاريخ المعصومى ص ٢١ - ٢٥. والبلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٥

«نارانى»، بينما عسكر «داهر» فى مكان يقال له «قاجيجاق»، وكانت هناك بحيرة تفصل بين الفريقين، وقد واصل ابن القاسم تقدمه قليلاً نحو نهر «دهواة» فى منطقة «جيبور» حيث تقع قرى كثيرة تيسير عليه عملية الهجوم على جيش «داهر» من الأمام ومن الخلف، وكان ذلك بناء على نصيحة أحد أمراء السند الذين أعلنوا ولاءهم للمسلمين، ولما علم «داهر» بموضع الجيش الإسلامى الجديد ترك قلعة «راور» وتقدم نحو «جيبور»، كذلك تقدم ابن القاسم واقترب الجمعان وأصبح الفاصل بينهما نصف فرسخ فقط .

وعلى امتداد سبعة أيام كانت تخرج فرقة مسلمة لمحاربة فرقة سندية في الساحة الواسعة بين الجيشين، وكان القتال يستمر أحيانًا طوال اليوم، والمحصلة النهائية كانت فى صالح المسلمين ومن هنا قرر ملك السند القيام بهجوم شامل ضد المسلمين وأن يتولى القيادة بنفسه، فأعد خمسة الاف فارس من أبناء الأمراء ومائة فيل حربى وعشرة الاف فارس مزودين بالأسلحة وعشرات الآلاف من أبناء القبائل، ثم اختار فيلاً ضخمًا ركبه ولبس درعه وأخذ سلاحه وقوسه وصحب غلامين يمدانه بالسهام، وقرر دخول المعركة الفاصلة . فكان هذا أول لقاء شامل بين العرب وبين مقاتلة الهندوس الذين تمرسوا على استخدام الفيلة والرمى بالنبال واستخدام النفط [١] .

وفى التاسع من رمضان سنة ٩٣هـ = ٧١١م بدأ القتال الشامل بين الطائفتين بعد أن نظم كل منهما قواته ووزع قياداته ورتب خططه وكان «العلوفى» يعمل مع ملك السند ويقاتل المسلمين وقد استمرت المعركة طول اليوم.

أما «نارانى» فهى موضع يبعد عن «راور» بعدة أميال، و«قاجيجاق» موضع قريب من مدينة «راور» فى منطقة «جيبور» انظر: الطرزى: موسوعة التاريخ ج١ ص ١٨٨ .

(١) انظر Lane Poole: Medieval india, p.5. Vol.1.. London1951

ومن الطبيعي في معركة مصيرية كهذه أن يبذل الفريقان كل طاقاتهما، ولهذا كانت نتيجة القتال في هذا اليوم الأول سجالاً، مرة يحمل المسلمون على العدو ويتقدمون، ومرة أخرى يستخدم العدو فيلته فترد المسلمين إلى الوراء. وجاءت معاناة المسلمين من الفيلة في هذا اليوم الأول، وفي اليوم التالي لمس المسلمون نقاط ضعف عدوهم وأدركوا من أين يأتونهم، فأعادوا تنظيم جنودهم، واستخدموا المنجنيقات والرماة، وعملوا للقضاء على الفيلة وتشتيت مجموعات العدو بالنيران، وألقى القائد فيهم كلمة ترفع من معنوياتهم وتحثهم على التزام المراكز وذكر الله دائماً، وأن يحرصوا على أن تكون أعمالهم جهاداً في سبيل الله، فاستبسل المسلمون في قتال العدو الذي كان قد غير خططه وتنظيماته، كما كانت تعاونه آلاف من قبائل الزط الشرقية وغيرهم حتى بلغت عدة من معه ١٢٠ ألفاً، ومع ذلك نجح المسلمون في دحر بعض فرقه فالتهب القتال وحمي وطيس المعركة، وتداخلت القوات، وانزعجت الفيلة وصمم المسلمون على نيل إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة، والوصول إلى رضوان الله والجنة .

وأثناء اشتعال المعركة تقدمت مجموعة من قادة السند نحو محمد بن القاسم وطلبوا الأمان، فمنحهم الأمان، وأعلنوا إسلامهم بين يديه، وعرضوا خطة عسكرية تنهي المعركة وتبرهن على ولائهم وصدق إيمانهم، وتقوم على هجوم مباغت على مؤخرة الجيش السندي، وبالفعل تولوا الهجوم من الخلف، بينما قام ابن القاسم بالهجوم من الأمام، وكان «داهر» يركب فيلاً ضخماً يقود بقية الفيلة، وقد أقسم واحد من قادة المسلمين اسمه «الشجاع الحبشي» ألا يذوق الطعام حتى يقتله، وربط عيني فرسه وبرّ بقسمه فتقدم حتى تمكن من جرح فيل القائد الضخم الذى كانت تتحرك بحركته كل الفيلة، ولما هاج الفيل القائد أخذت باقي الأفيال تترنح وتصيح، واختل توازن الجيش وازداد لهيب المعركة اشتعالاً، ومالت الكفة في أول الأمر لصالح جيش السند وأصيب

الشجاع بسهم، ولقى الله شهيداً، وتأثر ابن القاسم نفسه من هول المعركة وطلب شربة ماء، وما لبث المسلمون أن ثبتوا من جديد بعد أن سمعوا نداءات القائد وصيحته على جنده بالثبات، وعلا التكبير الله أكبر الله أكبر يملأ الآفاق فهاجت الفيلة وسالت الدماء هنا وهناك وتكسرت الرماح والسيوف من شدة الضراب، وعادت الكفة تميل لصالح المسلمين، واضطربت أحوال جيش السند، ولم يصدق ملكهم ماتراه عينه، حيث لم يبق معه إلا ألف فارس من أبناء القواد والأمراء من بين خمسة آلاف كانوا معه، وقد واصل المسلمون قتالهم بصورة مستميته .

ولما آذنت شمس ذلك اليوم بالغروب أمر محمد بن القاسم قائد رماة النفط بأن يقذف هودج فيل داهر بسهام مزودة بمادة كيماوية مغموسة فى قطن تم لفه حول رؤوس السهام، وكانت هذه المادة تشتعل عند رمى السهم، فاشتعلت النيران فى الهودج وشعر الفيل بعطش شديد من شدة الحرارة، واضطر ملك السند أن يتجه به ناحية النهر ليسقيه، وهناك طارده المسلمون وأمطروه بوابل من سهامهم واشتبكوا معه فى قتال شديد، واضطر «داهر» أن ينزل من على فيله وأن يقاتل بضراوة إلى أن تمكن جندى مسلم اسمه «عمرو بن خالد الكلابى» من ضرب عنقه، وقال فى ذلك شعراً :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا	ومحمد بن القاسم بن محمد
انى فرجت الجمع غير معصرد	حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجدلاً	متعفر الخدين غير موسد

وفى رواية الكلبى أنه قاتل ملك السند هو «القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الكائى»(١)

---

(١) انظر البلاذري فتوح البلدان ص ٦١٥. ٦١٦

وعلى كل حال فقد أخفى أصحابه جثمانه فى خليج «راور» وتوقف القتال بحلول الظلام.

وفى اليوم التالى نادى ابن القاسم معلماً أصحابه بغياب «داهر» ومحذراً من حيلة أو من كمين قد يكون هناك، ولكن واحداً من البراهمة أعلم المسلمين بمقتل «داهر» وأرشدهم إلى المكان الذى توجد فيه جثته فقطعوا رأسه وبعثوا به لابن القاسم الذي صلى شكراً لله عز وجل .

وقد أستولى المسلمون على كثير من المغانم والكنوز والأموال وعلى عدد من الاميرات وأرسل الجميع إلى دار الخلافة(١) .

وبذلك أصبح الطريق ممهداً لفتح باقى البلاد.

وكان ولى عهد السند قد بقى متحصناً فى قلعة «راور» على رأس من بقى من الأمراء والقادة بعد سقوط العاصمة، ثم أخذ برأى نصحه بمغادرة القلعة إلى مدينة «برهمان أباد» فهى مدينة حصينة وأهلها من المؤيدين له، وبذلك لم يبق فى قلعة «راور» إلا النساء وعدد من القادة والجند للدفاع عنها .

وفى رمضان سنة ٩٣هـ = ٧١١م توجه المسلمون لفتح القلعة وقذفوها

---

(١) انظر: فتحنامه سند ص ١٤٥-١٤٦ ، ص ٧٣ من الترجمة الانجليزية

ويذكر مؤلفه أن أحد قادة العلافيين واسمه عبيد بن عتاب هو الذي أطلع ابن القاسم على خطة «داهر» وانظر أيضاً:

تاريخ المعصومى ص ٢٤، ٢٥.

تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ٢٨٩.

تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٨٩ هـ جـ٤ ص ٥٢٨، ٥٢٩

تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦٠.

K. S. Lal: early muslims..... p. 19, 20.

بحجارة المنجنيقات بعد أن رفض من فيها الاستسلام، كما رموها بالسهام والرماح والنيران ليلاً ونهاراً حتى تهدمت أبراجها واضطر بعض من فيها إلى حرق أنفسهم، ودخلها ابن القاسم ليجد فيها ستة آلاف مسلحين، فأمر بقتلهم لرفضهم الاستسلام، أما النساء والشيوخ والأطفال فقد أصبحوا أسرى، كما استولى المسلمون على مغانم كثيرة.

بعد ذلك كتب ابن القاسم إلى الحجاج ينهي إليه مقتل «داهر» ويشرح تفاصيل ما دار من قتال، كما بعث إليه بوفد من القادة. ممن شهدوا المعركة وعاينوا أحداثها، وكان مع هذا الوفد رسالة توضح دور كل واحد من القادة وتشرح بطولاته، وكان مع الوفد الأسرى والأموال تحميه مائتى فارس مسلح، وسار الجميع من مكان المعركة إلى دمشق، حيث قدم قاتل الملك «داهر» رأسه إلى الحجاج والى العراق والإمارات الشرقية[1] .

وقد أثنى الحجاج على محمد بن القاسم وأشاد ببطولاته فى رسالة أرسلها إليه وطلب منه تكريم زعماء القبائل والقادة الذين أبلوا بلاءاً حسنًا فى

---

(١) انظر: فتحنامه سند ص ١٤١-١٤٢ ، ص ٧٣ من الترجمة الانجليزية

تاريخ المعصومى ص ٢٦، وقد أخطأ عندما ذكر أن بغداد كانت دار الخلافة انئذ.

يذكر د. «الساداتى» أن ابن القاسم بعد فتحه لنيرون توجه شمالاً، فجاءه أمر من الحجاج بأن يتوجه صوب الشاطئ الشرقى لنهر السند حيث يرابط عدوه فرجع ابن القاسم وفاجأ ملك السند بعبور النهر إليه ليلاً، واضطر الملك السندي أن يتحصن في حصن «راور» إلى حين، ثم حدثت المعركة مع المسلمين وقتل «داهر» ثم تمكنت احدى أخوات الملك من جمع ١٥ الفاً قذفوا العرب بالنفط ووابل من سهامهم وبقطع الصخر، لكن ذلك لم يجد شيئاً، عندئذ اثرت النساء أن يلقين بأنفسهن في النار ولايقعن في أيدى العرب، انظر:

تاريخ المسلمين... ص ٤٧، ٤٨ وما بهما من مصادر وانظر ايضاً:

.Ishwari prasad: a short hisoty of muslim rule in India, p. 45

القتال ولم يضمنهم رسالته التى سبق وبعث بها إليه(١)

ويذكر «البلازرى» عن منصور بن حاتم النحوى الذى أقام بالسند بعد فتحها - أنه شاهد مصورين -تمثالين- أحدهما لداهر والآخر لقاتله فى مدينة بروص (بهروج)، كما شاهد مصوراً (تمثالاً) للقائد بديل بن طهفة فى مدينة «قند» وأنه زار قبره في مدينة «الديبل» حيث استشهد(٢) .

ويرجع نجاح المسلمين فى فتح تلك البلاد الواسعة إلى إيمانهم واطمئنانهم إلى ما أعد للمجاهدين عند ربهم وإلى نوعية القوات وكفاءة القيادة العسكرية والتفوق فى فن التكتيك العسكرى، ثم إلى سياسة المصالحة التى تبناها محمد ابن القاسم إزاء كل من استسلم ، فكان الفتح الإسلامى حريصاً على رغبات السكان المشروعة أكثر منه معارك عسكرية، لقد رحب رجال الدين البوذيين بالمسلمين فى «نيرون» وثار شعب «سيهوان» على حاكمه الهندى وسلّم للقائد المسلم، وهكذا ساعدت كراهية الشعب لحكامه على نجاح المسلمين، فقطاع كبير من سكان السند والملتان كان بوذيا .

وفى سنة ٦٢٢م كان قد اغتصب العرش وزير برهمى اسمه شاش chach ولم تلق حركته استجابة لأى طائفة كبيرة من الشعب، خاصة وأن هذا الملك عامل قبائل الزط والميد معاملة سيئة، وحرم عليهم حمل السلاح ولبس الحرير وركوب الخيل وفرض عليهم أن يمشوا حفاة وأن يرافقهم كلب، وجاء من بعده ابنه داهر ٤٩-٩٤ / ٦٦٩-٧١٢هـ الذى لم يصل للحكم إلا قبل الفتح الإسلامى

---

(١) انظر نص الرسالة في فتحنامه سند ص ١٤٢-١٤٣ ، ص ٧٣ من الترجمة الانجليزية

(٢) انظر: فتوح البلدان ص ٦١٦

وبروص (بهربرج) كما سبق مدينة وميناء قديم بالهند شمال «سورت» الآن. أما «قند» فلعلها احدى المدن القريبة من الديبل. انظر: الطرزي: موسوعة التاريخ ج١ ص ١٩٩

بفترة وجيزة - واتبع نفس السياسة، فأصبحت سيطرته على جنوب السند - ومعظم سكانه من البوذيين - واهية، ولم يلق استجابة من جانب قطاعات كبيرة في الشعب، بل إن كثيراً من الضباط والجنود تحولوا بسرعة إلى المسلمين أثناء حربهم ضد هذا الملك كما كان دعم وتأييد قبائل الزط والميد من أكبر أسباب انتصارات المسلمين، وقد أخذ ابن القاسم فى تجنيدهم تحت قيادته واعتمد عليهم فى التخفيف من شعور العداء للمسلمين عند بعض الطوائف باعتبارهم عدواً أجنبياً، وبهم وصل إلى الانسجام الداخلى وحقق تقدماً لايقدر فى بلد شاسع يقطعه العديد من الأنهار والقنوات والمستنقعات[1] .

مواصلة الفتوحات :

علم الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بتفصيلات معارك المسلمين فى بلاد السند ونجاحهم فى إزاحة عقبة كبرى كانت تقف حجراً عثرة تعوقهم عن أداء واجبهم فى تبليغ كلمة الله وتوصيلها لكل الشعوب، فسرّ الخليفة بما تحقق من نتائج وخلع على ابن القاسم وعلي القادة وأمره أن يواصل فتوحاته فى باقى بلاد السند .

استجاب القائد لأمر الخليفة وأخذ يواصل فتوحاته فى بلاد السند فتسقط بين يديه المدن واحدة تلو الأخرى فقد توجه إلى مدينة «بهرور» على بعد.

---

(١) انظر

- S.M. Ikmam: History of mislim civilisation in India and Pakislan, P. 7.
- Majumdar: the Arabe invasion of India Journal of the Indian History , Vol x (1931) supplemenet p. 48.
- Tara chand: A short history of Indian people, p. 121.
- K. Ali and. A. S. Bukhari: Anew history of Inda-pakistan. P.146.
- J. Hussain: An illustrated history of Pakistan. P.7 Karachi. 1985.

فرسخ من «برهمان أباد» وكان يتحصن بها كما قدمنا - نحو ١٥ ألف جندى، وقد قام المسلمون بقذف المدينة بالأحجار والنيران حتى تهدمت أسوارها وقتل عدد كبير ممن فيها واستولت عليها القوات الإسلامية وعلى ما كان بها من أموال وسلاح[١] .

بعد ذلك توجه ابن القاسم نحو مدينة صغيرة بجوار بهرور تسمى «دهليله»، وكان يتحصن بها حوالى ١٦ ألفًا من الجنود، فحاربها الجيش المسلم وضيق الخناق عليها حتى اضطر حاكمها ومعظم سكانها وتجارها إلى مغادرتها ليلاً فى اتجاه الهند فاستولى عليها المسلمون فى الصباح، وعين ابن القاسم عليها واليًا جعله مشرفًا على موانى سواحل تلك المنطقة من الضفة الشرقية لنهر السند .

بعد ذلك عمل القائد المسلم على فتح مدينة «برهمان أباد» لكنه قبل ذلك أراد أن يوجه نداءً عامًا معتذرة إلى ربه -عز وجل- علّ الناس يتقون، فبعث برسائل إلى كل الحكام والأمراء فى كافة مناطق السند دعاهم فيها إلى الإسلام أو الطاعة للمسلمين، وعرض الأمان لمن رغب فيه، فحضر عنده الوزير «سيساكر» Sisakar وطلب تأمينه، فاكرمه ابن القاسم وأهدى إليه وولاه وزارته، واستفاد بكثير من آرائه وخبراته فى مسائل الدولة وفى العمليات العسكرية، وكان الوزير من ناحيته مخلصًا معجبًا بالإسلام ومبادئه وقيمه الاجتماعية والأخلاقية، وقد تنبأ بأن كل السند والهند ستخضع له قريبًا وستنعم كل البلاد بعدله وسماحته، وقد مات ذلك الوزير بعد سنتين من إسلامه[٢] .

---

(١) انظر: فتحنامه سند ١٤٩-١٥٠ ص٧٧ من الترجمة الإنجليزية.

Majumdar: the arabe invasion of India. ch. 4 p. 201

(٢) انظر فتحنامه سند ص ١٥١ص ٧٨ من الترجمة الانجليزية

وتقع مدينة برهمان اباد (برهمناباد) على بعد ثمانية اميال جنوب شرقى محطة السكك =

أما ابن «داهر» «جيسيه» Jaisiya فقد وصل إلى برهمان اباد، وتحصن بحصنها الكبير -وهى تبعد بفرسخ واحد فقط عن مدينة «دهليله»- ومن موقع حصنه الجديد(١) ، كتب ذلك الابن إلى الأمراء والحكام يحثهم على معاونته وأن يستعدوا معه لمحاربة المسلمين، فتمكن من جمع ستة عشر ألفًا من المحاربين، وعشرات آلاف الجنود من مناطق السند المختلفة، وحصن المدينة تحصينًا قويًا وجعل على كل باب من أبوابها واحدًا من كبار قادته .

أما ابن القاسم فسار إلى نفس المدينة ونزل على حافة نهر صغير بضواحيها اسمه نهر «حلواني» ومن هناك أرسل لابن داهر يدعوه إلى قبول الإسلام أو الطاعة ودفع الجزية وإلا فالحرب، وقد مال الزعيم السندى إلى الخيار الأخير، عندئذ استعد محمد بن القاسم وحفر الخنادق ووزع الوحدات العسكرية، ثم بدأت المعركة، فكانت تخرج فرقة من أربعين ألف جندى تقاتل المسلمين من الصباح إلى المساء ثم يعود من سلم منها إلى الحصن بعد أن تتعرض للهزيمة، واستمر الحال هكذا مدة شهرين، ثم توقف القتال فى ٣٠ ذى الحجة سنة ٩٣هـ= ٧١٢م.

ذلك أن حال الجيش المسلم كانت قد ساءت بسبب استمرار القتال وقلة المواد الغذائية، وقد عمل محمد بن القاسم بنصيحة بعض الأمراء فطلب قوات

= الحديثة بمدينة «ادبور» الحالية، وعلى بعد ٤٣ ميلاً شمال شرقى «حيدر أباد» الحالية، انظر:

- الطرزي: موسوعة التاريخ الإسلامى.. ج١ ص ٢٠٢.

Lal.. early muslims.. p. 24.

(١) وموقعة الآن الاقليم الحديث من مدينة «حيدر اباد» حيث لاتزال توجد آثاره فى منطقة شداد بورتسهيل Shadad pun tehsil من هذه المقاطعة، انظر:

Ishwari prasad: A short history.... P. 45

إضافية أخرى وكون جيشًا من الفرسان جعل عليه الأمير «موكه بن بساية» حاكم منطقة «بت» الذي دخل قبلاً فى الإسلام، كما كون فرقًا من المشاة فيها كثير من أفراد القبائل السندية وزحف بكل ذلك على مدينة «برهمان اباد»[١] .

علم زعيم السند بوجهة واستعداد المسلمين، فسار نحو «جيبور» بحيث يستطيع الهرب منها إلى حدود الهند، بينما تركه «محمد العلافى» واتجه نحو بلاد كشمير خارج حدود السند[٢] .

عند ذلك طلب أعيان «برهمان اباد» وسكانها الأمان، فعقد لهم ابن القاسم عهداً والتزموا بالطاعة وفرض عليهم الجزية، ثم دخل المدينة ولم يقاتل إلا من رفض التسليم، وأسر نحو عشرين ألفًا بينهم زوجة ثانية لداهر وابنتان، واستولى على مغانم وزعها وبعث بالخمس إلى بلاد العراق، وفى اليوم التالى جاءه ألف من البراهمة ممن اتخذوا مظاهر الحزن لهزيمتهم وقتل ملكهم البرهمى، فأمنهم ابن القاسم بناء على رغبتهم .

أكثر من هذا أصدر قائد المسلمين أمرًا باحترام رجال الدين البراهمة، وعهد إليهم بعدد من مناصب ووظائف الإدارة وجمع الخراج من المنطقة وقراها، وعين حراسًا على أبواب المدينة منهم وتعهد بمنحهم كافة التسهيلات اللازمة كى يعيشوا معيشة كريمة فى ظل قيم الإسلام ومبادئه، وسمح لهم

---

(١) انظر : البلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٦   فتحنامه سند ص ١٥٠-١٥٤ ص ٨٢-٨٨ من الترجمة الانجليزية.

(٢) انظر: فتحنامه سند ص ١٥٣-١٥٤ ، ص ٨٦-٨٨ من الترجمة الانجليزية

- تاريخ المعصومى ص ٢٧.

الساداتى: تاريخ المسلمين ..... ص ٤٨

Fazl ahmad: Muhmmad bin Kasim, P. 68, 69.
K. S. Lal: Early muslims... p. 20, 21.

بترميم بيوت العبادة وإقامة طقوسهم البرهمية، نصحهم بأن يتعاونوا مع المسلمين فى المسائل التجارية والإدارية، وعين كلاً من «تميم ابن زيد القيسى، وحكم بن عوانة الكلبى» لتنظيم المسائل التجارية والإدارية وديوان الخراج والجزية، وعين للمدينة حاكماً عسكرياً مؤقتاً، ثم كتب يخبر الحجاج بفتح تلك المدينة الحصينة والخطوات التى اتخذت لتنظيم إداراتها والتى يمثل سقوطها نهاية المعارضة الجادة والعداء للإسلام[١] .

وقد أجابه الحجاج بقوله: ابن أخى محمد بن القاسم، إن سلوكك العسكرى يستحق الثناء والإطراء، والآن لا ينبغى أن تمكث فترة أطول فى تلك المدينة، إن عمدة بلاد السند هى آلور Alor والملتان Multan ، وينبغى أن تتأكد لك السيادة على كل الهند والسند، وإذا رفض بعض الناس الخضوع للحكم الإسلامى فلتقتله، لعل الله العظيم يقضى لك بالنصر، فتخضع لك البلاد من الهند إلى تخوم الصين[٢] .

وهكذا نرى أنفسنا أمام مثال واضح على سماحة الإسلام، وتعاون حكام المسلمين مع غير المسلمين فى المجتمع المسلم والاستعانة بهم فى المسائل الإدارية والمالية والاستفادة بما عندهم من خبرات والسماح لهم بممارسة شعائر دينهم حتى لو كانوا مجوساً دون شعور بحساسية أو حرج، «فقد أكرم القائد المسلم رؤساء الهنادكة من رجال الدين وأطلق للناس حرية العبادة على أن

---

(١) المراجع والمواضع السابقة.

(٢) Chach nama, cited en Henry, Elliot's appendix entitled "The ad- vance of the Arabes towrds sind en Eand HIND 1, pp. 414, 483, 188

نقلاً عن:

Lal: early muslims... p. 21, 50.

يوالوا المسلمين ويدفعوا الجزية عن طيب نفس»[١] .

لقد كانت بلاد السند أول بلاد يتعامل فيها المسلمون مع أمة تعبد الأوثان بأكملها، لكن ابن القاسم كان سمحاً منهم، ومنحهم نفس الحقوق التى يقدمها الإسلام لليهود والنصارى من حيث حرية العقيدة والعبادة ونظر إليهم باعتبارهم بشراً وفتح بذلك قلوب العباد[٢] .

ويقول K. S. Lal أن أفراد الشعب توسلوا إلى «محمد ابن القاسم» بعد فتح «برهمان اباد» إن يضمن لهم حرية العبادة، فرفع الأمر للحجاج وجاءه الرد منه يقول:

«ما داموا قد استسلموا ووافقوا على دفع الجزية للخليفة، فإنه ليس لدينا ما نطالبهم به، ولقد تعهدنا بحمايتهم، ولا يمكننا بأى حال أن نستولى على حياتهم أو ممتلكاتهم، فلتسمح لهم بعبادة آلهتهم»[٣] .

وقد تبنى غير المسلمين من التجار والصناع والفلاحين ورجال الدين الذين لم يكونوا مستعدين للاستسلام فقط، بل وقدموا مساعداتهم للفاتح حيث منحوه كل المعلومات التى طلبها، مما جعل مهمته سهلة. إن كثيراً من التسامح كان فى

---

(١) - Passad: Medivral muslim rule in India, p. 29

وكذلك:

- Ishtiaq Husain qureshi: the muslim community.. p 34,35 K. S. Lal: ear Ly muslims in India, p. 22, 23

شلبى: موسوعة التاريخ.. جـ٨ ص ٢٦٥.

(٢) انظر: - Fazl Ahmad: Muhammad Bin Kasim P. 50, 51.

د. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ١٨٦، ١٩٤، ١٩٥.

(٣) نقلاً عن - Early muslims in India, p. 21.

- Chach nama, pp. 185 - 186.

- Ishwri prasada: Ashort history .... p. 45.

الحقيقة رداً على عدم المقاومة من جانب الشعب، وحيثما وجدت المقاومة -فى بعض المناطق- فإن انتقام ابن القاسم لم يكن يعرف الرحمة[١] .

ولكن «اشوارى براصاد» يزعم أن المسلمين لم يقوموا بذلك، بسبب احترامهم لعقائد الآخرين، بل لأنهم اقتنعوا أنه من المستحيل القضاء على عقائد سكان البلاد المفتوحة، ويواصل نفس المؤلف تحامله فيزعم أن القاضى كان يحكم بين المسلمين وغيرهم من الهندوس بنفس القانون الذى يقضى به بين المسلمين بعضهم ضد البعض الآخر، وتعرض الهندوس لظلم كبير نتيجة لذلك، ويقول أن اللصوص من بعض العناصر كانت تتعرض لعقوبة شديدة حيث كان يصدر الحكم بحرق زوجة وأطفال السارق؟!! وأن الحكام المسلمين فرضوا ضرائب عديدة على المحاصيل المختلفة، كما فرضوا الجزية على غير المسلمين، وفرضت مظاهر التميز العنصرى على بعض رجالات القبائل[٢] .

ولسنا ندرى من أين أتى المؤلف بذلك كله .

ومهما يكن من أمر فقد أراد محمد بن القاسم أن يخضع القبائل المختلفة التى تسكن اقليم «برهمان اباد» حتى يتأتى له التحرك نحو عاصمة السند فى أمان، وكان لا بد له من معرفة طباعهم وأخلاقهم قبل أن يتجه نحوهم وقد أخبره الوزير سياكر والأمير موكه حاكم بت -وكانا ضمن من أسلم من قبل- أن بعض أفراد قبيلة الزط ومثلها قبيلة السيابجة، وكلاهما مجهول الأصل وتعمل الأولى بالرعى كما يعمل أسراها كجند مرتزقة فى جيش الفرس.[٣] ويعرف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢ K. S. Lal:

(٢) Ishwari prasad: Ashort history of... p. 48, 49.

(٣) انظر : ماجد . د . عبد المنعم .. التاريخ السياسى للدولة العربية جـ٢ ص ٢٢٨، ٢٢٩، القاهرة ١٩٥٧

افردها بالوحشية والقسوة وبالطباع الشريرة ولديهم رغبة في التمرد وممارسة أعمال القرصنة واللصوصية ومهاجمة القوافل والمسافرين ونهب امتعتهم وسرقة أموالهم ، وعلى هذا تعتمد حياتهم .

وهذا هو السبب في أن ملوك الهند من البراهمة وضعوا قيوداً عليهم وأمروهم بلبس الملابس الخشنة ، وأن يمشوا حفاة حاسري الرءوس وكانوا يلزمون بأن يصحبهم كلب حتى يتعرف الناس عليهم ولم يكن يسمح لزعمائهم بركوب الخيل في الغالب ، وكانوا يسألون عن أية حوادث نهب أو سرقة تقع في الطريق ، وإذا ثبتت السرقة قضى على المتلبس وعلى أفراد أسرته بالحرق وكان على قبيلة الزط هذه ارشاد المسافرين في الصحاري وبين مدن السند وجمع ما يلزم المطابخ الملكية من أحطاب .

ولم يكن امام « محمد بن القاسم » بد من معاملتهم بنفس الطريقة لتستقر الأوضاع في البلاد ، ومع ذلك فقد أراد تهذيب أخلاقهم فعهد إليهم بالكثير من الخدمات ، وتأثر بعضهم بسلوك المسلمين وقيم الدين فدخلوا في الإسلام ، فالحق ابن القاسم العديدين منهم في الجيش الإسلامي وحتى من لم يصبحوا مسلمين تهذب سلوكهم بسبب معاشرتهم للمسلمين ولم يبق على أصله من التوحش إلا من عاشوا منعزلين في موطنهم القبلية ، وهنا لا بد من التنويه بالدور الرئيسي الذي قامت به قبائل الزط ـ سكان البلاد الأصليين ـ في نشر الاسلام والتعريف به في هذه المناطق فمجهوداتهم ودورهم السياسي والحضاري في خدمة الاسلام ودولته وإذاعة قيمه ومبادئه أمر ينبغي إبرازه والاعتداد به والثناء عليه .

أما قبيلتا السمة والسهنة Sammas and Sahnas فكانتا على العكس من بعض زفراد قبيلة الزط Jats فقد استقبلت الأولي محمد بن القاسم بالطبل والمزامير والرقصات القبلية تعبيرا عن قبولهم حكم المسلمين وترحيبهم به ، فحمد القائد المسلم موقفهم وعين أحد ساسة العرب ودهاتهم وهو خريم بن

---

(١) فتحنامه سند ١٦٣ - ١٦٤ ص ٩٠ من الترجمة الانجليزية

عمرو المدنى» حاكماً عليهم، فمنحهم عشرين ديناراً ذهبية هدية لهم، ورضى أولئك حكم المسلمين[١] وفعلت قبيلة سهته نفس الشئ، فقد احتفى زعماؤها بالمسلمين ورحبوا بهم، وقابلوهم مكشوفى الرؤوس حفاة الأقدام، فرضى ابن القاسم منهم بذلك وأمنهم وحدد الخراج على أراضيهم، فقد كانوا مشتغلين بالزراعة، كما استعان بمرشدين منهم ليدلوا المسلمين على الطرق في المناطق الصحراوية من برهمان اباد إلى العاصمة «أرور»، وقد أسلم كثيرمن أفراد هذه القبيلةوحسن إسلامهم[٢] .

بعد ذلك بقى محمد بن القاسم فترة في برهمان أباد، ينظم أمورها ويعين على كل منطقة حاكم يناسبها من حيث الخبرة والمعرفة بأحوالها، وترك المسائل المالية بيد أربعة من كبار الاعيان وتجار البلاد الأصليين، وأجرى بعض التنقلات بين القواد ونوابهم فى مناطق السند لدوا ع إجتماعية وسياسية، كذلك وزع أفراد القبائل العربية وأسكنهم فى مناطق عدة ودخلت الآلاف المؤلفة دين الله عن رضى واختيار[٣] .

كل هذه الجهود علم بها الحجاج من خلال تقرير مفصل جاء من ابن القاسم، وقد أثنى الحجاج عليه، وأمره بالسير نحو مدينتى أرور ثم الملتان، لأن

---

(١) نفسه وايضاً

Lane Peole: Medieval India... p. 10

(٢) انظر: فتحنامه سند ص ١٦٦-١٦٧، ص ٩٤ من الترجمة الإنجليزية ، تاريخ المعصومى ص ٢٧ ويذكر أنه بعد فتح المسلمين ليوستان وتسليم أهلها، خرج أفراد قبيلة السمة ورحبوا بابن القاسم، فمنحهم مقاطعة يمارسون فيها حرفتهم من زراعة ورعى. وانظر الطرزى موسوعة التاريخ ج١ ص ٢٠٨ هامش ٢.

(٣) انظر: فتحنامه سند ص ١٦٤-١٦٥ ، ص ٩٢ من الترجمة الانجليزية

- الطرزى موسوعة التاريخ جـ١ ص ٢٠٨ - ٢١٠

كلا منهما تمثل قاعدة قوية لملوك السند وبهما حصون عسكرية هامة وخزائن وكنوز مدفونة فوق مالهما من أهمية استراتيجية[١] .

وفى محرم سنة ٩٤هـ تحرك ابن القاسم وفتح مدينتين قريبتين من العاصمة فى الطريق إليها - هما منهل وهراور، وكان فتحهما عن طريق الصلح، كما فتح مدينتين صغيرتين أخريتين هما «بسمة» و«ساوندرى» ، وفرضت الجزية على السكان من البوذيين بعد منحهم الأمان، واشترط عليهم ضيافة المسلمين عندما يمرون بمناطقهم، وقد دخل هؤلاء السكان فى الإسلام بعد ذلك ، ونعموا بعدل وحماية الولاة المسلمين[٢] .

بعد هذا اتجه محمد بن القاسم نحو ألور (أرور) عاصمة بلاد السند[٣] .

وعسكر على بعد ميل من قلعتها الحصينة، وأقام شهراً للراحة والاستعداد، وكان يحكم العاصمة أحد أبناء «داهر» الملك القتيل، وقد اهتم بتحصين المدينة بقوة ورغب فى المقاومة، وأوهم الناس بأن أباه قد اختفى وأنه سيرجع عما قريب بجند وسلاح كثير، وبالفعل بدأت الحرب واستمرت أياماً، ولكن ابن القاسم فطن إلى حيلة وهى إرسال أرملة داهر التى كان قد أسرها من قبل وبنى بها، ومعها بعض الزعماء الآخرين، وقد أبانت عن هويتها، وبينت لأعداء المسلمين أن زوجها قد قتل، وأن قادته قد استسلموا، وأنه يحسن بهم

---

(١) نفسه ص ١٦٥ ، ص ٩١، ٩٢ من الترجمة الانجليزية.

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦١٦، ٦١٧، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٨٩هـ جـ٤ ص ٥٢٨.

(٣) تسمى العاصمة أيضاً «الولى» وهى تبعد عن مدينة «روهرى» Rohri الحديثة حوالى ثمانين ميلاً فى اتجاه جنوبها الشرقى، وكانت تلك العاصمة مدينة كبيرة تقع على شاطىء نهر مهران Mihran، وتزينها ألوان القصور والفيلات والحدائق والبساتين، وانظر:

K. S. Lal : Early muslims ... p. 25.

وفتحنامه سند ، ص ١٦٧ ، ص ٣٨ من الترجمة الانجليزية

الاستسلام كذلك، والأولى بهم أن يعيشوا مع المسلمين فى أمان.

وقد رفض الناس تصديق المرأة أول الامر[١] ، ولكنهم تأكدوا من صدق روايتها بعد فترة، واطمأنوا إلى عدل وسماحة المسلمين، ولذلك قرروا تسليم المدينة، بينما تمكن حاكمهم أو ملكهم من الهرب فى جنح الظلام واتجه ناحية مدينة «جيبور» قرب الحدود الهندية مثلما فعل أخوه وغيره من قبل، وقد فتحت أبواب المدينة ودخلها المسلمون دون قتال.

وقد شاهد ابن القاسم «بيت الصنم» بالعاصمة، وهو معبد بوذى كبير، يضم تمثالاً رخامياً مكللاً بالياقوت والجواهر، يقوم على خدمته كبار رجال الدين، فلم يعرض له بأذى ولم يسمع سدنته كلمة نابية، مع يقينه بأن لايزيد عن أن يكون صنماً لايضر ولاينفع.

وكالعادة نظم ابن القاسم أمور المدينة وعين حاكماً عليها، وبنى بهامسجداً جامعاً، وأسند أمور القضاء والخطابة فيها للشيخ موسى بن يعقوب الثقفى، أحد كبار علماء الإسلام، ووضع عليها الخراج، وطلب من سكانها أن يتعاونوا جميعاً على ما فيه خيرهم ورفاهيتهم وقد تأثر سكانها من البوذيين خاصة بما رأوه من حسن معاملة المسلمين فدخلوا دين الله[٢] .

بعد هذا توجه محمد بن القاسم نحو مدينة «باتية» القديمة على الشاطئ

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٢٨٩، تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٠، البلاذرى فتوح البلدان ص٦١٧، فتحنامه سند ١٧٠ ص ١٦٩، ص ٩٦ من الترجمة الانجليزية

- تاريخ المعصومى ص ٢٨

- الساداتى تاريخ المسلمين ... ص ٤٨، ٤٩.

Fazl Ahmad: Muhammad bin Kasim , p 70, 71.

(٢) فتحنامه سند ١٧٠ . ص ١٠٥ من الترجمة الانجليزية

الجنوبي لنهر «بياس» وكانت تحت حكم ابن عم للملك «داهر» اسمه ككسا Kaksa وكان قد اشترك معه في معركته الأخيرة، ثم عاد إلى مقر حكمه بعد هزيمة الملك، ولما علم بمقدم ابن القاسم أرسل له هدايا ورهائن وعرض طاعته، فقبل القائد المسلم عرضه، وزاد فعينه مستشاراً له، وفوض إليه كل الأمور المالية ومنحه خاتم خزينة المنطقة، وقدمه على غيره من القادة، وأما الرجل فقد أخلص النصح لمحمد بن القاسم فاعتمد عليه الأخير كثيراً في تنفيذ مشروعاته فيما بعد، وأعتنق الرجل الإسلام وحمل لقب «المستشار المبارك»[١] .

وكان على محمد بن القاسم أن يفتح مدينة اسكلنده (اسكندراه) قبل فتح الملتان، وكانت مدينة حصينة للغاية ومهيأة للقتال، وبالفعل خرج أهلها لحرب المسلمين واشتدت المعركة بين الطرفين، ثم اضطر أهل «اسكلنده» إلى الاعتصام داخل قلعتهم، فقذفهم المسلمون بنيران المنجنيقات ورموهم بالسهام النارية، واستمر الحال هكذا لمدة أيام سبعة اضطر بعدها حاكم المدينة للهرب واحتمى في حصن اسمه «حصن سكة» على الشاطئ الجنوبي لنهر «راوى» بالقرب من الملتان وأتيح لابن القاسم أن يدخل المدينة، وأن تدور معركة بينه وبين جنود السند قتل فيها الكثيرون، ووقع عدد كبير في أسر المسلمين، واستشهد من المسلمين ٢٥ كما استشهد من جنودهم مائتان وخمسون، ثم منح ابن القاسم أماناً للتجار والصناع والزراع وعامة الناس وولى حاكماً على المدينة[٢].

كان على ابن القاسم أن يذهب إلى مدينة «سكه» وحصنها المنيع المعد للمراقبة والدفاع، وهناك حدث قتال بين المسلمين والسند دام سبعة عشر يوماً

(١) نفسه ص١٨١.. ص ١٠٦ من الترجمة الانجليزية، وانظر أيضاً:
K. S. Lal: Early muslims... p. 25.

(٢) فتحنامه سند ص ١٨١-١٨٢ . ص ١٠٦ من الترجمة الانجليزية
- الساداتي : تاريخ المسلمين ... ص ٤٩

استشهد فيه عشرون من قادة المسلمين، ومائتان وخمسة عشر فارساً من أهل الشام، الشيء الذى آلم ابن القاسم وجعله يقسم ليهدمن القلعة على من فيها، وقد هرب زعيمها السندى، وعبر نهر «راوى» نحو الضفة الشمالية وانضم إلى حاكم الملتان، فتقدم ابن القاسم نحو القلعة واستولى عليها وعلى سكانها من الجنود وأمر بهدمها، وقتل المقاتلين بها، وجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى والأخيرة التى حدث فيها هذا الأمر أو اتخذ فيها ذلك الإجراء[١] .

فتح الملتان :

الآن أصبح الطريق «مهداً» أمام القوات الإسلامية لفتح مدينة الملتان ونواحيها فى اقليم البنجاب الذي كان يكون جزءاً من مملكة «داهر».

زحف جيش المسلمين فى إعداد غفيرة وصلت إلى خمسين الفاً من الجنود والفرسان عشرهم فقط من الجيش الأصلى الفاتح، ومعظمهم ممن انضم إلى المسلمين بعد نجاحهم فى المعارك السابقة، وقد اتجه الجميع نحو مدينة «الملتان» عاصمة البنجاب، وهناك حدث قتال بينهم وبين حاكمها ومن فرّ إليه من زعماء السند وأمرائهم راح الكثيرون ضحية له، ثم استخدم المسلمون المنجنيقات والقذائف النارية لمدة شهرين على فترات متقطعة، وواجهوا مشكلة نقص المواد الغذائية واضطروا لأكل الميتة التى ارتفعت أثمانها، ومع ذلك فقد خشى زعيم وقائد الجيش الملتانى من العواقب، فعبرا الحدود السندية ووصلا إلى منطقة كشمير، ولم تكن قد فتحت بعد.

---

(١) فتحنامه سند نفس الموضع

- البلاذرى فتوح البلدان ص ٦١٧
- أما «سكا» فهى منطقة عسكرية قريبة من الملتان على الشاطىء الجنوبى لنهر «راوى» انظر
- فتحنامه سند ص ١٨٠-١٨١ ، ص ١٠٧ من الترجمة الانجليزية.

الطبرى موسوعة التاريخ جـ ١ ص ٢١٤، ٢١٥

Fazl ahmad Muhammad bin Qasim, p 74, 75
Lal: early muslims p. 25

وأخيراً تمكن المسلمون من هدم أسوار المدينة بعد رميها بالقذائف والمنجنيقات ودخلوها وقاتلوا جندها، فقتلوا منهم ٦٠٠٠ جندى وأسروا الكثيرين ومنح ابن القاسم الأمان للتجار والصناع والزراع على أساس أنهم لم يشتركوا فى القتال، وفرض على السكان جزءاً من خسائر ونفقات فتح المدينة بلغت قيمته ستين الف درهم غير ما فرض عليهم من الجزية والخراج، وتلك هى المرة الأولى التى يكلف فيها السكان الأصليون بتحمل قسم من نفقات الفتح[١].

وهناك رواية أخرى تتعلق باستسلام أهل الملتان تقول إن هؤلاء قاتلوا المسلمين بضراوة، ولكن المسلمين حاصروا المدينة أياماً شديدة لاقوا خلالها الأهوال حتى نفد زادهم واضطروا لأكل الحمير، ثم جاء رجل مستأمن فدلهم على مدخل الماء الذي يشرب منه أهل المدينة وكان ذلك الماء يأتى من نهر اسمه «بسمه» فيصير فى مجتمع له يشبه البركة أو الحوض داخل المدينة، عندئذ أمر ابن القاسم بتغوير (بتعميق) مجرى ذلك الماء وإقامة خزان يتجمع فيه كيلا يصل إلى سكان المدينة، فعطش المحاصرون بشدة ونزلوا - لهذا - على حكم ابن القاسم فقتل من رفضوا الاستسلام من حملة السلاح، وحصل المسلمون على ذهب ومغانم كثيرة جمعت فى بيت حجمه عشرة أذرع فى ثمانية يلقى إليه من كوة فى وسطه وهذا هو السر وراء تسمية الملتان باسم «بيت أو ثغر الذهب»[٢] .

---

(١) فتحنامه سند ص ١٨٢ ، ص ١٠٨ من الترجمة الانجليزية، وايضاً :
K.S. lal: early muslims in India. p. 25

وعن أحداث فتح السند انظر ايضاً:

K. Ali and A. S. Bukhari: A. new history of Indo - Pakistan, P.143, 144.

(٢) انظر: البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦١٧، تاريخ ابن الأثير: حوادث ٨٩ هـ جـ٤ ص ٥٣٩، ابن خلدون ج٣ ص ٦١

=

ومن طريف ما يروى أن رجلاً برهمياً أتى محمد بن القاسم وذكر له أن أحد حكام الملتان فى القديم بنى حوضاً شرقى المدينة مساحته مائة متر، وبنى فى وسطه بيتاً لصنم يعبد، مساحة ذلك البيت خمسين متراً مربعاً، والصنم نفسه عبارة عن تمثال من الذهب الخالص يمثل رجلاً له عينان من الياقوت الأحمر، وأضاف الرجل أن هناك حجراً عند موضع الصنم تحته كنز، فدخل ابن القاسم المكان وأمر برفع التمثال فوجد تحته ثلاثة عشر الف ومائتين مَنّاً من الذهب، أضيفت إلى ما حصل عليه المسلمون من أموال ومجوهرات[١] .

وتذكر بعض المصادر العربية أن صنم الملتان هذا كانت تقدم له النذور، وكان طائفة البراهمة فى السند والهند يقصدونه للحج، فيطوفون به ويحلقون لحاهم ورؤوسهم عنده ويزعمون أن ذلك الصنم هو النبى أيوب وكان على صورة إنسان كبير متربع طوله مائة ذراع، يلبس جلداً أحمر لايظهر منه إلا عينين عبارة عن جوهرتين وعلى رأسه تاج أو اكليل ذهب مرتفع على كرسى وتحيط بيده قبة عظمى وحوله بيوت سدنته البالغين ستة آلاف[٢] .

وكان الصنم نفسه بعد فتح الملتان ورقة رابحة فى أيدى المسلمين من الناحية السياسية ، فكان كلما رغب ملك هندى فى الهجوم على هذه المنطقة، =

- Fazl ahmad : muhammad bin Kasim pp: 76-79.
- Lal: Early muslims... p. 25.
- Muhammad Zaki: Arab accounts of India. p. 33, Delhi 1981.

ويضيف أن الملتان أو بيت الذهب واحد من أهم الثغور والحصون الإسلامية وأنه يتبعه ١٢٠ ألف قرية وضيعه ، وسكانهعرب بصفة أساسية ، انظر : الموضع السابق وكذلك:

الساداتى : تاريخ المسلمين... ص ٤٩ ، ٥٠ ، المسعودى: مروج الذهب جـ١ ص٧١٩.

(١) فتحنامه سند ص ١٨٢-١٨٤ ، ص ١٠٩ من الترجمة الانجليزية.

(٢) انظر: ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ٢ ص ٢٣٢

الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٠٣ ، ١٠٤.

هدده المسلمون بكسر ذلك الصنم، فيرجع من حيث أتى إجلالاً لهذا التمثال المقدس الذي لايقيم العسكر فى بلده لما له من قداسه[١] . فالملتان كما رأينا لم تكن مدينة عادية، بل كانتعاصمة كبرى يحج الناس إليها، ولهذا فقد فتحت عنوه لأن المقاومة فيها كانت مقاومة البوذية المتمسكة بتقاليدها وأمجادها[٢] .

ومهما يكن من أمر فقد اتبع ابن القاسم فى هذه المدينة ما اتبعه فى المدن الأخرى من حيث التنظيمات المالية والإدارية والعسكرية، فعين الحكام على كورها المختلفة، وترك بها حامية من الجنود وبنى بها مسجداً جامعاً، وأخذ العهود والمواثيق على أعيان المدينة بأن يعملوا على أمر واستقرار ورفاهية شعبها، ثم ارسل ما حصل عليه من مغانم وأموال على متن سفن فى حراسة مسلحة إلى الحجاج عن طريق ميناء الديبل، مع رسالة تفصيلية تشرح ما تم من فتح الملتان وتنظيم أمورها[٣] .

وكان والى العراق والإمارات الشرقية قد كتب لابن القاسم وهو بمدينة الملتان يقول:

«إنى قد كتبت إلى أمير المؤمنين الوليد أضمن له ردّ ضعف نظير ما أنفقت من بيت المال، فأخرجتى من ضمانى»[٤] .

وكانت نفقات جيش فتح السند والملتان قد وصلت إلى ٦٠ الف الف (٦٠مليون) درهم، ولما أحصى الحجاج ما وصل اليه من القائد الفاتح وجده ١٢٠ ألف الف (١٢٠ مليون) درهم، فقال: شفينا غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وزدنا

---

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ٦١.
- ابن الأثير حوادث سنة ٨٩ هـ جـ٤ ص ٥٣٩.
- البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦١٧، ٦١٨.
(٢) د. حسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى ص ١٨٦
(٣) انظر فتحنامه سند ص ١٨٤-١٨٥، ص ١١٠ من الترجمة الانجليزية
(٤) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٢٨٩
K. S. Lal: Early muslimas... p. 25.

ستين الف الف (٦٠ مليون) ورأس داهر»[١] كل ذلك دون أن يغرم الأهالي شيئاً أو تفرض عليهم ضرائب جديدة.

يعلق بعض الباحثين على ذلك فيقول:

إنه ليس مستغرباً أن يحرص الحجاج على جمع الثروة ما أمكنه، مثله في ذلك مثل أي فاتح آخر، وفي هذه الحالة خاصة فإن والي العراق كان عليه أن يحترم وعده للخليفة، برد نفقات هذه الحملة لخزينة الدولة، وكان ما منحه من حرية العبادة كفيلاً بجلب الجزية والضرائب الأخرى، ولهذا فإن الحياة الدينية في الهند بقيت على نهجها القديم تقريباً، بل إن معابد البراهمة أعيد بناؤها، وأضحت العادات القديمة مسموحاً بها، وقد وثق المسلمون في الكثيرين من غير المسلمين، وعهدوا إليهم بالأعمال الإدارية، وأصدر إليهم ابن القاسم تعليماته بأن يتعاملوا مع الشعب في احترام وأمانة وأن يكونوا صلة طيبة بينه وبين الحاكم، وعليهم تحديد مقدار الجزية وفقاً لمقدرة الشخص، ولتكن من الغني ٤٨ درهماً ومن متوسطي الحال ٢٤ درهما، و١٢ درهماً من الطبقات الدنيا، أما النظام الإداري فقد استمر معمولاً به دون تغيير[٢] . كما سيأتي .

وكان في نية ابن القاسم أن يواصل مسيرته نحو بلاد «كشمير» موطن

---

(١) انظر :

- تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٦١.

- تاريخ ابن الأثير حوادث ٨٩هـ جـ ٤ الموضع المشار إليه آنفاً.

- البلاذري : فتوح البلدان ص ٦١٨.

(٢) انظر:

- Early muslims ... p. 24.

والترجمة الإنجليزية لفتحنامه سند : pp. 86-88

Ishwari Prasad: A short history p. 46.

البقية الباقية من أمراء السند وأعوانهم من المتمردين، وبؤرة الخطر بالنسبة للبلاد حديثة العهد بالإسلام، وربما رغب في نشر الدعوة الإسلامية في الهند أيضاً، لولا خير وصله، وكان سبباً في قلب مخططاته كلها، إلا وهو خبر وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ. الشيء الذي جعله يرجع إلى العاصمة «أرور» لمتابعة الأحداث في ظل الظروف الجديدة من هناك، خاصة وقد تلقى أمراً من الخليفة الوليد بن عبد الملك بأن يوقف تقدمه، لأن الخليفة كان يعتمد في هذا الجانب على الحجاج وما كان يقوم به من متابعة واعية(١) .

ومع ذلك فإن الأوضاع الجديدة لم تمنع ابن القاسم من العناية بالمناطق المفتوحة والنظر فيما يصلحها، ولم تحل وفاة الحجاج بينه وبين أداء مهمته ، فبعد أيام قضاها في الراحة واستقبال وفود العزاء، أرسل واحداً من قواده لإخضاع مدينة «البيلمان» وهي من المدن الصغيرة التابعة لإقليم «أرور» فاستسلمت بدون قتال، ثم أرسل آخر إلى مدينة صغيرة بنفس المنطقة اسمها «سرست» حيث يقيم قبائل «الميد» المعروفين بقطع الطرق البرية ونهب السفن، فتعهد هؤلاء بالطاعة والعمل على سلامة الطرق البرية والبحرية، وقبل المسلمون ذلك منهم(٢) .

فتح الكرج :

ثم قام ابن القاسم بحملة على الكيرج(٣) (الكورج) على الحدود السندية

---

(١) انظر :

Fazl ahmad; Muhammad bin Kasim, p. 83.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٩ ويسمي المدينة الأخيرة «سُرسنت» ، تاريخ ابن الأثير : حوادث سنة ٩٥ جـ٤ ص ٥٨٨ ، تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ٦٦

(٣) الكرج هي «كيرا» في النصوص الهندية، وتتبع القسم الشمالي الشرقي من الهند على حدودها مع السند، انظر: المذكرة الجغرافية الملحقة بكتاب الغزو العربي للهند ص ٥٧ ب وكذلك: الطرزي: موسوعة التاريخ ... جـ ١ ص ٢٢٠

الهندية، وكان يحكمها «دوهر» أحد أقرباً الملك «داهر» وقد خرج على رأس جيش كثيف لمقاتلة المسلمين، ولكنه قتل وانهزم جيشه، وأمر ابن القاسم بقتل المسلحين وضرب الرق على الباقين، وقال أحد الشعراء في قتل «دوهر» :

نحن قتلنا داهراً ودوهرا ❊ والخيل تردى مُنسرا فمنسرا(١)

وكان الأمير «جيسيه» قد فر إلى الكرج آخر الأمر، ثم لجأ إلى كشمير بعد أن دب الخلاف بينه وبين حاكمها «دوهر»، وبقى هناك يتحين الفرص، وقد تمكن من العودة إلى السند واستولى على اقليم «برهمناباد» وحكمه عدة سنوات بعد مقتل محمد بن القاسم، وظل يتولى أمر ذلك الإقليم إلى أن تم إخراجه منه والقضاء عليه سنة ١١١هـ = ٧٢٩م.

وبفتح المسلمين لإقليم الكيرج، أصبحت لهم السيادة على المناطق الواسعة بين الملتان وبلاد كشمير، وقد توجه ابن القاسم إلي كشمير وعين عليها حاكماً وترك بها حامية عسكرية ورغب في مطاردة الأمير جيسيه ومحمد العلافي وبعض أمراء السند الذين لجئوا إلى هذه البلاد، وكونوا بها جبهة قوية تعادى الدولة الإسلامية، ولكنه قرر صرف النظر عن منطقة كشمير مؤقتاً حتى يتم له فتح اقليم «قنوج» الذي يتبع السند سياسياً ويقع على حدودها مع بلاد كشمير.

فتح قنوج:

ذلك أنه عندما كان قائد المسلمين في مدينة الكيرج أرسل من هناك جيشاً من عشرة آلاف فارس بقيادة أبا حكيم الشيباني إلى مدينة قنوج Kanyj في

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦١٨.

- تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٩٥ هـ جـ ٤ ص ٥٨٨.

- تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦

أقصى حدود الملتان - لفتحها ودعوة أميرها إلى قبول الإسلام أو الدخول فى طاعة المسلمين ودفع الجزية، ولما وصل الجيش الإسلامى إلى موضع يقال له «أودهاير» بالقرب من العاصمة أرسل قائده مبعوثاً إلى الأمير يبلغه مضمون رسالة ابن القاسم إليه ويبلغه بأن كل بلاد السند وحكامها قد خضعوا للحكم الإسلامى ، وإن بعضهم قد أسلم وبعضهم وافق على دفع الجزية، ولكن حاكم «قنوج» أبى الاستسلام بزعم أن آباءه وأجداده يحكمون هذه البلاد منذ حوالى الف وستمائة سنة وأن علاقاته بجيرانه قوية وأنه يرفض الخضوع للغير، إزاء هذا الموقف لم يكن بدٌ من القتال[1] .

وقد تحرك محمد بن القاسم بنفسه إلى الكيرج ووصل إلى «أودهاير» وعزم على فتحها وأستعد لدخولها و بينما هو على أتم الاستعداد لذلك كخطوة أولى نحو الوصول إلى كشمير واتمام فتح كل السند والهند، وصله أمر الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك بعزله عن بلاد السند، لأسباب شخصية، بل والقاء القبض عليه وارساله مصفداً إلى بلاد العراق فلم يتمكن بسبب ذلك من فتح «قنوج» لذلك لم يذكر «البلاذرى» عنها شيئاً، و اعتبر أن «الكرج» هى آخرمدينة فتحها ابن القاسم على الحدود السندية الهندية. وقد وصل الإسلام إلى «قنوج» بعد ذلك، يشير إلى ذلك المسعودى - الذى زار الهند فى مطلع القرن الرابع الهجرى - حين يقول: «وليس من ملوك السند والهند من يعز المسلمين فى ملكه مثل البلهرى (أمير قنوج) فالإسلام فى ملكه عزيز مصون وله مساجد مبنية وجوامع معمورة للصلوات الخمس، ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين

---

(١) انظر : فتحنامه سند ص ١٨٨، ص ١١١، ١١٢ من الترجمة الانجليزية.

Fazl ahmad; Muhammad bin qasim, p. 84, 85

ويذكر د. الساداتى أن ابن القاسم قد طلب من الحجاج - بعد فتح الملتان - الإذن له بفتح مملكة قنوج - أعظم امارات الهند - وكانت تمتد من السند إلى البنغال - وقد أذن والى العراق وشجع القائد الشاب، لكن لم يكد ينتهى من اعداد الحملة بعد أن عرف رغبة الحاكم فى القتال، حتى جاءه الخبر بموت الحجاج والوليد، انظر: تاريخ المسلمين ... ص ٥٠.

فصاعدا، وأهل مملكته يزعمون أنه إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين(١)

نهاية ابن القاسم :

ونعود مرة أخرى لنتابع تطور الأحداث ونتعرف على ماجرى لابن القاسم.

أشرنا إلى أن الحجاج مات سنة ٩٥هـ = ٧١٣م بعد أن حكم العراق والولايات الشرقية باسم الدولة الأموية حوالى عشرين عاماً، وبعد وفاته بستة أشهر توفى الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦هـ = ٧١٤م وتولى الأمر من بعده أخوه سليمان، فولى على العراق والامارات الشرقية واحداً من أشد أعداء الحجاج وهو صالح بن عبد الرحمن، وكل هذا كان كارثة بالنسبة لمحمد بن اقاسم أثرت على جهوده فى شبه القارة الهندية مثلما كان الحال بالنسبة لآخرين فى مناطق الفتح الإسلامى الأخرى.

ولنوجز هنا مبررات ماحدث :

أراد الوليد بن عبد الملك أثناخلافته نقل ولاية مالعهد من أخيه سليمان ابن عبد الملك إلى ابنه، وقد أيد الحجاج فكرة الخليفة عن عزل سليمان وحرمانه، واستطاع أن يحصل على موافقة الولاة والقواد فى المناطق الشرقية التابعة له. وابن القاسم واحد منهم، ولم يكن فى وسعه إلا الموافقة، لأنه لم يزد عن أن يكون تابعاً وأحد رجالات الحجاج، وما كان يعنيه بالدرجة الأولى هو أن يتفرغ لمهمته ويتمكن من تبليغ رسالة الإسلام للسكان فى منطقة شبه القارة الهندية، وقد شاءت إرادة الله أن يموت الحجاج والخليفة الوليد قبل أن يتم لهما ماأرادا من نقل ولاية العهد إلى ابن الخليفة وحجبها عن أخيه سليمان، وقد تولى سليمان رسمياً أمر الدولة، وكان أول شيء فعله هو عزل الولاة والقواد

---

(١) انظر مروج الذهب ج١ ص ٣٨٢، أرنولد (سيرتوماس . و) : الدعوة إلى الإسلام ص ٣٠٧ من الترجمة العربية لحسن إبراهيم حسن وآخرين، القاهرة ١٩٧٠

الذين عينهم الوليد والحجاج ، وتسليط والى العراق الجديد ضد من يمتون إلى الحجاج بصلة بصفة خاصة لقد كان عليه أن يلقى بهم فى غياهب السجون ويعذبهم أشد العذاب برغم ما قدموه للدولة من خدمات[١] .

ينقل الطبرى -فى نفس حوادث سنة٩٦هـ -عن الهلواث الكلبى قال: كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله «داهراً» وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان، فلما ولى سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا وأحرثوا فلا شأم لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فاقفلنا .

لقد كان الوالى الجديد موتوراً من الحجاج، لأنه قتل أخاه آدم ابن عبد الرحمن بسبب إيمانه بمبادئ وآراء الخوارج، فأراد صالح بن عبد الرحمن الإنتقام من الحجاج فى شخص قائده وأتباعه خاصة صهره وابن أخيه محمد بن القاسم، وقد ولى على بلاد السند يزيد بن أبي كبشة السكسى، فقام هذا بالقاء القبض على ابن القاسم بناء على أمر الخليفة وواليه، وصفده فى الأغلال وبعث به ليسجنه صالح بن عبد الرحمن فى مدينة واسط، فتمثل ابن القاسم بقول القائل:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر[٢]

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى حوادث سنة ٩٦ هـ ، ج٦ ، ص٤٩٩ ، والبلازرى : فتوح البلدان : ص٦١٨ ، ميور الخلافة : ص٣٥٤ - ٣٦٢، ٣٦٤ ، طبع سنة ١٩٢٤م .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦.

- تاريخ ابن الأثير حوادث ٩٥ هـ ج٤ ص ٥٨٨.

- البلازري : المرجع السابق ص ٦١٨.

أما «اشولرى برصاد» فيزعم أن الخليفة الوليد بن عبد الملك هو الذي استدعى ابن القاسم، لأن بنتين لداهر قد اعترفتا أمام الخليفة بأنه اعتدى على شرفهما، فأمر الخليفة بإحضاره وقتله، فتم قتله وارساله فى صندوق لدار الخلافة، ولما أمر الخليفة بفتح الصندوق أمام البنتين، تأثرتا واعترفتا بأنه برىء مما رمى به، فأمر الخليفة بربطهما فى ذيل فرس، وجال بهما الفرس حتى ماتتا.

وهذه القصة لاأساس لها والهدف منها التشهير والإساءة إلى ذلك القائد المظفر فلم يرد لها ذكر فى المصادر المعتمدة وأول من ذكرها صاحب «فتحنامه سند» ص١٨٩ وما بعدها ، ص١١٣-١١٥ من الترجمة الانجليزية ثم تبعه بعض من كتب تاريخ هذه الفترة بالفارسية والأوردية والانجليزية.

وكان ابن القاسم قد استولى على قلوب الناس فى شبه القارة، مسلمين وغير مسلمين، لما تميز به من خلق قويم وسلوك ممتاز، وقد نصحه البعض بالاّ يرحل إلى بلاد العراق، ولكنه أبى، لأنه لايستطيع مخالفة أمر الخليفة الواجبة طاعته، وقد يشفع له عنده ما قدمه من خدمات جليلة للدولة الأموية ولدين الله، ولكن والى العراق غدر به وألقاه فى غياهب السجن المظلم الرطب مكبلاً بالحديد، فتألم ابن القاسم وأثر فى نفسه أن يلقى جزاء «سنمار» وقد عبر عن ذلك فى شعر قاله أثناء وجوده بالسجن منه قوله:

فلئن ثويت بواسط وبأرضها • رهن الحديد مكبلاً مغلولا

فلرب قينة فارس قد رعتها • ولرب قرن قد تركت قتيلا

ومنه :

لو كنت أجمعت الفرار لوطئت • إناث أعدت للوغى وذكور

وما دخلت خيل السكاسك أرضنا • ولا كان من عك على أمير

ولا كنت للعبد المزونى تابعاً • فيالك دهر بالكرام عثور

وقد واصل الوالى تعذيبه، ضمن رجال من آل أبي عقيل، إلى أن قتله تحت وطأة التعذيب الشنيع، ثم بعث برأسه إلى دمشق(١) .

وقد رفضها البعض وذكرها البعض دون تطيق، والواقع أن المنطق وحقائق التاريخ تجزم برفضها خاصة وقد وقع لول رواتها فى أخطاء تاريخية عديدة منها مثلاً ما نكره من أن جثة ابن القاسم قد أرسلت إلى الخليفة الوليد فى بغداد، ولم تكن بغداد عاصمة الأمويين، كذلك الذي أمر بعزل محمد بن القاسم هو الخليفة سليمان بن عبد الملك لأسباب سياسية ، وقد القى به فى سجن «واسط» حتى مات هناك.

انظر مثلاً K. Ali A. S. Bukhary A new history p. 145.

Ishwari prased A short history p. 47

وانظر رداً لهذه الرواية عند - الطرزى موسوعة التاريخ جـ٢ ص ٣٠٩-٣١٢

ماجد التاريخ السياسى جـ٢ ص ٢٤

(١) انظر البلاذرى فتوح البلدان ص ٦١٩

وكما ودعته جموع أهل السند، شاعرة بالأسف الشديد، لمغادرته بلادهم عائداً إلى العراق، فإن دموعهم تساقطت بغزارة عندما وصل إليهم خبر مقتله، وبكوا فيه الرجولة والشهامة والخلق الإسلامي الأصيل والشباب المتألق، وتخليداً لذكراه أقاموا له تمثالاً في مدينة الكيرج، لما قدمه من خدمات جليلة لهذا البلاد(١) .

وإن المرء ليعجب ما ينقضي له عجب، كيف تنتهي حياة ذلك الشاب بهذه الصورة المريرة، وهو الذي فتح كل بلاد السند، ونشر الإسلام في كافة أرجائها في فترة قياسية لم تتجاوز السنوات الثلاث؟ كيف يواجه محمد بن القاسم هذا المصير المؤلم ويجزى ذلك الجزاء المهين؟!!!

لقد تضاءلت أمام أعماله الحربية والسياسة عظمة الاسكندر وشهرته، إذ بينما عجز الاستكندر قبل الف عام عن الإستيلاء على قسم ضئيل من الهند، كان سكانه أقل من ربع السكان زمن ابن القاسم، استطاع هذا الفتى أن يخضعها ويلحقها بالامبراطورية الإسلامية من غير كبير عناء وقد قال مؤرخ انجليزي «لو أراد ابن القاسم أن يستمر بفتوحاته حتى الصين لما عاقه عائق» «ولم يتجاوز أحد من الغزاة فتوحاته إلى أيام الغزنويين»(٢) لقد كان واحداً من

---

(١) انظر البلاذري: نفسه ص ٦١٩.
- الساداتي: تاريخ المسلمين ص ٥٠، ٥١.

(٢) انظر : احسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ٤٨ وكذلك:
- ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ٢ ص ٢٣٧ .
وانظر ترجمة لمحمد بن القاسم عند صاحب العقد الثمين... ص ١٤١-١٤٥ وفيه يشير إلى أمرمهم هو أن ابن القاسم كان عمره ٢٧ سنة عندما عهد إليه بقيادة الجيوش المتجهة لفتح السند. أما ماجاء في قول القائل:

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة   ياقرب ذلك سؤددا من مولد

«فالمراد بهذا ولاية فارس لا ولاية الهند، ولكن عامة المؤرخين يعدونها ولاية السند ومن هنا وقعوا في الاشتباه» انظر: المرجع السابق ص ١٤٥ نقلاً عن جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٧، المعارف لابن قتيبة ص ٤١، انساب الأشراف للبلاذري : جـ٢ ص ١٥٢.

كذلك قام المؤلف نفسه بترجمة لعدد كبيرمن القادة الذين شهدوا فتح السند مع ابن القاسم، انظر

عظماء الرجال فى كل العصور(١) .

إن رجلاً قدم عشر معشار ما قدم ابن القاسم لابد وأن يكرم ويمنح خلع التشريف والإكبار ويرتفع إلى أعلى عليين، ولكن المؤلم حقاً أن يسجن ويعذب لدرجة إزهاق الروح وهو الذي مهد السبيل أمام الدعوة الإسلامية، وحملها فى إخلاص وتفان إلى الناس فى شبه القارة الهندية، تماماً مثلما حدث مع من عرف القارة الأوروبية بالإسلام ونشره فى نواحي الأندلس، اعنى القائد المسلم موسى بن نصير بل يقال إن ابن القاسم وضع فى أديم بقرة، ثم خيط عليه الأديم وحمل إلى دمشق، وأن روحه فاضت فى الطريق(٢) .

إن نهاية الأبطال ما كان ينبغى أن تكون هكذا دون جريرة أو ذنب اللهم إلا حب الإسلام والإخلاص له والتفانى فى سبيله، والولاء لأصحاب السلطان الشرعى من خلفاء بنى أمية.

ومهما يكن من أمر فقد توقفت الفتوحات فى جبهة السند بمجرد مغادرة ابن القاسم للبلاد، وانكمش المسلمون فى المناطق التى تم فتحها من قبل وتركت الأوضاع السياسية السيئة فى عاصمة الخلافة تأثيرها على الاستقرار والأمن فى شبه القارة الهندية فقامت الثورات والفتن فى بعض المناطق التى خضعت للمسلمين، وحاول بعض أمراء السند الذين كانوا قد فروا إلى كشمير وغيرها العودة إلى البلاد، ونجح بعضهم فى استعادة سلطانه ونفوذه، مستفيداً من الاضطرابات الداخلية فى العالم الإسلام، فتمكن جيسيه ابن داهر مثلاً من العودة إلى برهمان أباد حسبما يرى البعض.

ص ١٦٨-١٧٥ من العقد الثمين.

(١) K. Ali A. S. bukhary: A. new historh... p. 146

(٢) ماجد : التاريخ السياسى ... جـ ٢ ص ٢٣٩، ٢٤٠.

بل إنه بعد موت ابن القاسم، لم يبق تحت سيطرة السملمين إلا المنطقة من ديبال بور DEBALPUR إلى بحر السلت «الملح» Saltsea[١] .

وهذا سمح لباحث مثل «إشوارى براصاد» أن يقول:

انه كان من المستحيل أن يجد المسلمون حكماً مستقراً فى الهند، ذلك أن الملوك كانوا لايزالون يسيطرون على ممالك هامة فى الشمال والشرق ولم يكن هؤلاء مستعدين لترك بوصة واحدة من الأرض لأى أجنبى يحاول غزو أراضيهم، ولهذا فإن المحافظات المختلفة بدأت تترك الإسلام تدريجياً، وكانت محافظة السند تنقسم إلى عدة دول تعتبر مستقلة من الناحية العملية[٢] .

كذلك ساعد بروز العصبية القبلية ، وانشغال العرب فى الخلاف فيما بينهم، على توقف حركة الفتح الإسلامى بتلك المناطق، مثلما حدث من خلاف وعصبية في مناطق الدول الإسلامية الأخرى.

كذلك دخل العرب البلاد من اتجاه خاطىء، فالسند لم تمنحهم المصادر اللازمة لفتح بقية بلاد الهند أضف إلى ذلك أن ولايات السند كانت مجدبة وضعيفة الخراج نسبياً إذا قورنت بغيرها، وكانت لاتزال تحيط بها من الشمال والشرق إمارات قوية يحكمها الهنادكة، كذلك تمكن رجال الفرق الإسلامية من خوارج وشيعة وقرامطة وإسماعيلية من الوصول إلى تلك البلاد - فيما بعد - لهذا كله انكمشت أملاك المسلمين، ولم يبق لهم إلا الملتان والمنصورة...[٣] ولابد من الإشارة إلي أن الفتح العربى للسند لم يكن عسكرياً فحسب ، بل - كما حدث فى الجبهات الأخرى-تنقلت العشائر العربية إلى هناك، وحمل العرب الى البلاد نفس أسلوبهم فى الحياة ونفس نزاعهم القبلى التقليدى، كما انتشرت

(١) انظر k. S. Lal: Early muslims ... p. 26

(٢) انظر A Short hisoty p. 50

(٣) انظر الساداتى . تاريخ المسلمين ص ٥١، ٥٢ وكذلك
K. Ali A. S. Bukhari: Anwe history of indo- Pakistan, p. 150 Lahore Pakistan 1980

الثقافة العربية من المدن التى ستؤسس فيما بعد - مما ساعد على نشر العربية والإسلام-بل هاجرت الى الهند نفس الصور الفكرية التى طبعت العالم الإسلامى فى القرن الأول الهجرى كما انتقلت إليها فرق ودعايات الخوارج والشيعة كما أشرنا انفاً(١)

والآن نحاول التعرف على الولاة الذين وفدوا إلى هذه المنطقة فى عهد الدولة الأموية .



الفصل الثالث

السند والبنجاب تحت السيادة الإسلامية
فى عهدى الأمويين والعباسيين

* * *

١ - ولاة السند والبنجاب في عهد الدولة الأموية

جاء والياً على هذه البلاد التى كانت تابعة لإقليم العراق فى عهد بنى أمية كل من :

عبد الرحمن بن سمرة سنة ٤٢ هـ = ٦٦٢م

عبد الله بن سوار العبدى سنة ٤٣هـ = ٦٦٣م

سنان بن سلمة الهزلى - فاتح مكران - سنة ٤٨هـ = ٦٦٨م

راشد بن عمر الجديدى الأزدى سنة ٤٩هـ = ٦٦٩م

أبو الأشعث المنذر بن الجارود العبدى سنة ٥١هـ = ٦٧١م

ابن حرى الباهلى سنة ٦١ هـ = ٦٨٠م

سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابى سنة ٧٥ هـ = ٦٩٤م

عبيد الله بن أبي بكرة سنة ٧٩ هـ = ٦٩٨م

محمد بن القاسم الثقفى ٨٩ (أو ٩٢هـ) = ٧١٠م

يزيد السكسكى ٩٦هـ = ٧١٤م

حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ٩٦هـ[١] = ٧١٤م

ونود أن نخص كل من وفدوا بعد محمد بن القاسم بكلمة موجزة.

فى عهد الخليفة **سليمان بن عبد الملك** - تولى كل من :

- يزيد السكسكى، عهد اليه بالإمارة سنة ٩٦هـ = ٧١٤م ، ولم يلبث فى عمله إلا ثمانية عشر يوماً توفى بعدها[٢] .

- حبيب بن المهلب بن أبي صفرة وهو أخ ليزيد بن المهلب والى العراق وخراسان، وقد حاول القضاء على الفتن والاضطرابات ونجح فى إعادة

---

(١) انظر : زامباور .

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى مجلدان جـ ٢ ص ٤١٥، ٤١٦ .

(٢) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦١٩، ٦٢٠ .

الاستقرار إلى كثيرمن البلاد، بيد أنه لم يتمكن من التوجه إلى برهمان أباد، وقد عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد سنتين من امارته يعنى سنة ٩٩هـ، وكان السبب اتهامه مع أخيه بالاشتراك فى مؤامرة ضد الخلافة[١] .

وفي عهد خلافة عمر بن عبد العزيز، تولى على السند والبنجاب عمرو بن مسلم الباهلى أخو قتيبة ٩٩-١٠١هـ = ٧١٧-٧١٩م، وقد تمكن من القضاء على الفتن ونشر الأمن والاستقرار فى أرجاء البلاد.

ومعروف عن خامس الخلفاء الراشدين، اشتهاره بالعدل والإنصاف، وقد كتب سنة ١٠٠ هـ = ٧١٨م رسائل إلى الأمراء والأعيان والقادة فى السند، يدعوهم إلى الإسلام، على أن يقرهم فى مناصبهم الحكومية ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكانت سيرة الخليفة الحسنة قد بلغت هؤلاء واقتدى به واليه، فنجحت هذه السياسة ودخل كثير من الأمراء والزعماء فى الإسلام وتسموا بأسماء إسلامية، وكان بين هؤلاء الأمير «جيسيه بن داهر» الذي حكم برهمان أباد، كما قبل البعض الآخر الاعتراف بسلطة الدولة الإسلامية مع الاحتفاظ بديانته ودفع الخراج والجزية، وهكذا عم الاستقرار وساد الأمن بفضل سياسة وحكمة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وكياسة وحسن معاملة واليه عمرو بن مسلم الباهلى[٢] .

ولما آلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك، عين واليا على السند :

- هلال بن احوز التميمي ١٠١ - ١٠٦هـ = ٧١٩-٧٢٤م

وفى بداية عهده تمكن يزيد بن المهلب، أحد زعماء اليمانية من الهروب من

---

(١) انظر : تاريخ ابن الأثير، حوادث سنة ٩٥، جـ ٤ ص ٥٨٩، تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦، البلازرى: فتوح البلدان ص ٦١٩.

(٢) البلازرى فتوح البلدان ص ٦٢٠، وكذلك:
Muhammad Zaki: Arab [illegible] of India, p. 54, Delhi, India 1981.

- حسن أحمد محمد الإسلام والحضارة العربية فى [illegible] ١٩٩

السجن، واستطاع الوصول إلى المناطق الشرقية التابعة للخلافة الأموية، وأخضعها لسيطرته، وأرسل واحداً من كبار اتباعه وهو وادع بن حميد الأزدى إلى مكران فى بلاد السند، ومنها اجتاز إلى مدينة «قندابيل» واتخذها حصناً يلجأ إليه آل المهلب إذا حملتهم الظروف على ذلك، لكن يزيد بن المهلب قتل، وانهزم أعوانه فى حروبه ضد الخلافة، وفر ابنه معاوية إلى «قندابيل» حيث أقام هناك، ولهذا كانت الأوامر صريحة للوالى هلال بأن يعمل للقضاء على خطر آل المهلب، وقد كون جيشاً تمكن به من الانتصار على أعدائه، وأزال خطرهم من بلاد السند، وبقى يمارس مهام الولاية إلى أن عزله الخليفة هشام بن عبد الملك(١) .

وقد عين الخليفة الجديد هشام على بلاد السند :

الجنيد بن عبد الرحمن المرى ١٠٧-١١١هـ = ٧٢٥-٧٢٩م

فسار على رأس جيش وصل إلى تلك البلاد، ونزل فى مدينة «الديبل» وقرر أن يتفقد أخبار ذلك الاقليم بنفسه فسار على شاطئ نهر السند إلى أن وصل مدينة «برهمان أباد». وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أقر عليها الأمير «جيسيه بن داهر» بعد إسلامه، فرفض لذلك دخول الوالى الجديد للمدينة قائلاً: «إنى قد أسلمت وولانى الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بلادى، ولست أمنك»(٢) .

وكان الجنيد داهية فطناً فلم يبد غضبه، وحاول حل المشكلة بالوسائل السلمية، خاصة وهذا القائد يتبعه حكام وقواد فى مناطق السند المختلفة وفى منطقة حدودها مع الهند، ومن هنا طلب من الأمير رهناً مكتفياً بذلك وبأن يتعهد ذلك الأمير بأداء ما على ولايته من الخراج والجزية.

وبقى كل منهما يراقب الآخر ويستعد له ولايطمئن أو يأمن جانبه، بل أخذ كل منهما يجهز الاسلحة والمراكب الحربية، وتطورت الأحداث بصورة أدت إلى

---

(١) انظر : تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٠٢ هـ، جـ٥ ، ص ٨٤ ، وما بعدها.

حسن إبرهيم حسن: تاريخ الإسلام ج٢ ص ٩. البلازرى، فتوح البلدان ص ٦٢٠

(٢) البلازري : نفس المصدر والموضع.

نشوب معركة بحرية بين الطرفين فى منطقة «بطيحة الشرقية» أسر فيها الأمير «جيسيه» Jaisiuha ثم قام الجنيد بقتله فى الحال(١) .

ويذكر «البلازري» أن كفر «جيسيه» وردته كان وراء قتل الجنيد له، ونص عبارته «كفر جيسيه بن داهر أغضب الجنيد، وقيل إنه لم يحارب، ولكن الجنيد تجنى عليه» ، ويبدو أن ذلك غير صحيح، فلم ترد هذه الإشارة إلا عند البلازري، وقد رغب أخ للأمير اسمه «صصه بن داهر» فى الذهاب إلى دار الخلافة لتقديم شكوى للخليفة ، ولبيان أن أخاه كان مسلماً وأنه قتل ظلماً ، فسبب القتل ليس دينياً ولكنه سبب سياسى، مرجعه ما يمثله «ابن داهر» من خطورة على امن واستقرار السند وما قد يقوم به من فتن خاصة وأ نه كانت له علاقات بقواد آخرين وبامارات مجاورة لبلاد الهند(٢) .

بعد ذلك قام الجنيد بفتح مدينة «الكيرج» التى عصى أهلها وثاروا بعد أن فتحها محمد بن القاسم عندما غادر الأخير البلاد، وقد جمع حاكمها جيشاً وخرج لمحاربة الجنيد، ولكن الحاكم انهزم وفر إلى داخل المدينة، فاستخدم المسلمون النيران والحجارة والمنجنيقات وقذفوا المدينة، كما استخدمت آلة جديدة تُسمى «كباش»(٣) فى دك سور المدينة حتى تمكن المسلمون من دخولها

---

(١) ابن خلدون : التاريخ جـ ٣ ص ٦٦، ابن الأثير: الكامل حوادث سنة ١٠٧ جـ٥ ص١٢٥ ، البلازرى: فتوح البلدان ص ٦٢١، ويرى ماجمدار الهندى أن بطيحة الشرقية هى بحيرة ساركى، انظر كتابه الغزو العربى للهند الفصل الرابع ص٢٧ والطرزى: موسوعة التاريخ جـ١ ص ٢٣٣ ، وكذلك

S.M. Ikram. History of muslim sivilisation, p. 14

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٦٢١، وابن خلدون . . تاريخ .جـ٣ ص٦٦، ابن الأثير: الكامل حوادث سنة ١٠٧هـ الموضع السابق ويذكر أن الجنيد خدع «صصه» وقتله...

(٣) المراد بالكباش هنا آلهة حربية من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل، فيدق بها الحائط فيهدم انظر تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦، وانظر كذلك: البلازرى. فتوح البلدان ص ٦٢١ ونص عبارته «فاتخذ كباشًا نطاحة، فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه، ودخلها عنوة »

وقاتلوا أهلها ودارت معركة ضارية انتصر فيها المسلمون وإن تمكن حاكم المدينة من الهرب .

ويبدو أن سمعة الجنيد قد انتشرت فى أرجاء البلاد بعد سيطرته على المدينتين المذكورتين، فساد الهدوء والأمر كل الأرجاء، ولذلك نرى الجنيد يترك الاهتمام بداخل السند، ويتجه ناحية حدود السند الجنوبية الشرقية المتصلة باقليم الكجرات فى بلاد الهند.

وكان هذا الاقليم مصدر مشاكل كثيرة، وكانت بمثابة مصدر للأسلحة والقوات والمساعدات العسكرية أثناء فتن الأمير «جيسيه» ضد الوالى الأموى، فكان لابد من القضاء على بؤرة المشاكل والأخطار.

وقد جهز الجنيد جيشاً صخماً وزحف به نحو مدينة الكيرج من الطريق الصحراوى وتمكن من فتح مرمد (ما رواد) ثم من فتح مدينة المندل (ماندل) بعد قتال ثم مدينة دهنج (وهنج) ثم استولى على مدينة «بنجاسر» عاصمة الكجرات الشماليه[1] ثم توجه إلى مدينة بهروج (بروص) وفتحها ثم مدينة الماكية وهى اقليم مالوه الشرقية الغربية ثم حارب أهل مدينة ارنين (أجين) عندما عرف أنهم يستعدون للقتال وفتحها ومنها اتجه جيشه ناحية «بهرمد» وأشعل النيران فى ضواحيها وقضى على المعاندين بها.

فى هذه الأونة سمع الجنيد بوجود فتن فى سرست والبيلمان والجرز من بلاد السند فعاد إلى هذه البلاد وقاتل أهلها ونشر الأمن فى ربوعها وأعاد الاستقرار إليها، ثم رجع إلى عاصمة الحكومة الإسلامية برهمناباد[2] ويمكن القول إذن انه انتصر خارج السند فى «راجبوتانا» Rajputana وكاثى وار»

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦٢١ ابن خلدون : تاريخ ... جـ٣ ص ٦٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٢١، ويقول ماجمدار أن كلمة الجرز. تحريف عربى لكلمة «جورجاراً» انظر: الطرزى: موسوعة التاريخ جـ١ ص ٢٣٦

Kathiawarوشمال جوخارات Gujarat وأرسل حملات أبعد من ذلك عند «أوجاين» Ujain ومالو Malwa ، وقد بلغ من صدى انتصاراته أن خشيه ملك «كشمير» Kashmir وطلب نجدة امبراطور الصين ووضع نفسه تحت حمايته(١) .

وكان الجنيد موفقاً فى كل فتوحاته، أعاد إلى الذاكرة أعمال محمد بن القاسم، وكان من الممكن أن يحقق نجاحاً اكبر لولا الفتن والاضطرابات، وقد جمع العديد من المغانم وترك فى خزينة الدولة أربعين الف الف (مليون) درهم ومنح الكثيرمن العطايا حتى أثنى جرير عليه وامتدح جوده فى قوله :

أصبح زوار الجنيد وصحبه ٭ يحيون صلت الوجه جماً مواهبه

كما تمكن خلال السنوات التى قضاها فى السند من تنظيم أمور تلك البلاد سياسياً واقتصادياً وإدارياً . لقد كان صنو ابن القاسم وامتدت فتوحاته إلى بعض الأقاليم والمدن الهندية(٢) وفى بحر سنتين استولى على شمال غرب الهند بكامله، ولعله لو بقى فى ولايته لفتح الهند كلها(٣) ..

وقد ذكر واحد من المؤرخين الهنود أن هناك إشارات فى لوحات «توازارى» المؤرخة سنة ١٢١هـ = ٧٣٨م تدل على أن العرب - المسلمين - قد قاموا بحملات استطاعوا خلالها هزيمة بعض ملوك الهند المشهورين، ويغلب على الظن أن المقصود بهذه الحملات قوات الجنيد أو قواده الذين توجهوا ناحية

---

(١) Majumdar: of. cit, P. 50.

S.M. Ikram. History of muslim civilisation. .. p. 14.

(٢) البلازري نفسه ص ٦٢١ واليعقوبى: تاريخ جـ٢ ص ٣١٧.

(٣) احسان حقى: تاريخ شبه الجزيرة ص٤٩

هذه المناطق[١] .

وكان نجاح الجنيد سبباً فى نقله إلى منطقة أخرى تحتاج لجهوده وكانت قد كثرت فيها الحركات المعادية للدولة الأموية وانتشر بها دعاة بنى العباس وهى منطقة الولايات الشرقية وخراسان بصفة خاصة، وكان هذا مبرر نقل الجنيد إلى بلاد خراسان، وقد بقى الجنيد بخراسان حتى مات سنة ١١٦هـ=٧٣٤م[٢] .

تميم بن زيد العتبى (١١١-١١٢هـ) = ٧٢٩-٧٣٠ م

تولى على بلاد السند بأمر خالد بن عبد الله القسرى - والى العراق - ولم تكن له كفاءة ولا مقدرة الجنيد ولم يستطيع استغلال ما خلفه الوالى السابق من ازدهار واستقرار، ولم يحظ باحترام القادة والأعوان. وتفاقمت الخلافات القبلية لوقوف الوالى مع اليمانية ضد النزارية (المضرية) ولما كثر اعداؤه اضطر للهرب من مكان إلى أخر، ورفع اعداء المسلمين روسهم بالثورات واضطربت الأمور فى بعض مناطق السند، وساعد الوضع الجديد على قيام أهل الكجرات بثورات عنيفة اضطرت المسلمين للإنسحاب وترك هذا الاقليم الهام.

إزاء هذا السوء وكثرة المشاحنات والاضطرابات والمنازعات، اضطر الوالى إلى ترك البلاد ومغادرتها إلى العراق، وقد مات عند الديبل فى طريقه

---

(١) ماجمدار: مجلة قسم الأداب بجامعة كلكتا بالهند، المجلد العاشر ص ٢٠ وما بعدها نقلاً عن الطرزى : موسوعة التاريخ .. جـ١ ص ٢٣٧

(٢) الطبرى: تاريخ.. حوادث سنة ١١١ هـ، ١١٦هـ جـ٧ ص ٦٧-٦٩، ٩٢ ويقول د س م اكرام، إن الجنيد تعرض لسلسلة من الهزائم بعد الانتصارات العظيمة . فتقرر استدعاؤه وعزله سنة ١٢٢ = ٧٤٠م انظر: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الهند وباكستان. بالانجليزية ص ١٥

إلى العاصمة[١] وأسرع الخليفة فولى على بلاد السند.

الحكم بن عوانة الكلبى (١١٢-١٢١هـ) = ٧٣٠م-٧٣٨ م

وهو من الشبان الذين صحبوا ابن القاسم أثناء فتوحاته فى بلاد السند وكانت تربطه صداقة بقواد الفتح والجهاد فيها وقد عزله الخليفة هشام عن خراسان سنة ١١١هـ ٧٢٩م بسبب فشل سياسته وعدم تمكنه من القضاء على اعداء الدولة الأموية من دعاة العباسيين وغيرهم.

وعندما وصل إلى السند، تذكر فشله فى خراسان، وتذكر الفوضى التى خلفها النزاع القبلى كما تذكر سياسة الجنيد بتلك البلاد، وقد أراد أن يستغل مكانة محمد بن القاسم واستيلاءه على قلوب الناس فى هذا الاقليم، فعهد الى ابنه عمرو بن محمد بن القاسم بالأمور الإدارية وحل المشكلات المعضلة والنزاع بين القبائل، وقد ساعد على قبول التعيين أن نائب الوالى حجازى بينما الوالى نفسه من اليمنيين، وبذلك رضى أطراف النزاع .

وكان على الوالى الجديد أن يعمل على انفاذ القوات العربية التى تحاصرها تجمعات الأعداء، فلجأ إلى أمرهام حين قرر القيام ببناء مدينة فى مكان حصين تكون موطناً للمسلمين ومقراً لقيادتهم العسكرية، ويمكن أن تكون موئلاً للمسلمين فى أوقات الفتن والأزمات وقد انتهى من تشييد هذه المدينة على الشاطىء الشرقى لنهر السند بالقرب من مدينة «برهمان اباد» على بعد ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقى من حيدر اباد الحديثة وأسماها «المحفوظة» لتكون فى حفظ الله، وقد نزلها وأنزل الجيش الإسلامى فيها كما جعل المسلمين

---

(١) انظر اليعقوبى تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣١٧، والبلاذرى: فتوح البلدان ص ٦٢٢، ويقول ان الوالى مات بماء يقال له الجواميس، وإنما سمى ماء الجواميس، لأنه يهرب بها إليه من ذباب زرق تكون بشاطئ مهران (نفسه)

يقيمون بها وبنى بها مسجداً واهتم بعمارتها واتخذها عاصمة السند الإسلامية بدلاً من مدينة «برهمناباد» التى غلب عليها سكنى غير المسلمين.

وقد اهتم أيضاً بالجيش تدريباً واعداداً وتسليحاً، وكلف عمرو بن محمد ابن القاسم أن يتوجه إلى مناطق الفتن، وأن يقضى على ثورات بعض المدن ويعيدها للحكم الإسلامى، وقد نجح نائب الوالى فى اداء مهمته بمقدرة وبراعة أعادت إلى الأذهان ما قام به أبوه من قبل،وكان نجاح السياسة الجديدة باعثاً على دهشة وتعجب والى العراق خالد بن عبد الله القسرى الذي قال:

واعجباً وليت فتى العرب فرفض (يعنى تميماً) ووليت أبخل الناس فرضى به (يعنى الحكم)(١)

وقد استمر الحكم والياً لمده ثمانى سنوات ثم عزله والى العراق لأسباب لها علاقة بالنزاع القبلى، وما لبث خالد والى العراق أن قتل نفسه بأمر الخليفة هشام، الشىء الذي احنق اليمانية، وجعلهم ينضمون لأعداء بنى أمية، مما عجل بسقوط دولتهم، وهكذا أضعفت العصبية القبلية بنى أمية فى الأمصار وأهلكت الجيش وأذنت بزوال سلطانهم ولا غرو فقد كان ذلك العصر محزناً ملأ قلوب الصالحين من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل»(٢) .

وكما هو معروف فإن الاضطرابات فى موطن الخلافة، تترك أثارها على الأقاليم ومنها بلاد السند، فقد انتهز بعض الزعماء الفرصة وقاموا بفتن وحركات معادية للدولة فقرر الوالى الحكم بن عوانه أن يخرج بنفسه وتوغل فى

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦٢٣، واليعقوبى: تاريخ جـ٣ ص ٣١٧ وانظر كذلك...

S. M. Ikram: History of Muslim civilisation... p. 15.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام.. جـ٢ ص ٩، ١٠ من الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٦٤، الساداتى: تاريخ المسلمين.. ص ٥٣

البلاد حتى وصل إلى القيقان وقندابيل، وحارب الثائرين هناك قائلاً «اما فتح يرضى عنه يوسف الثقفى والى العراق - بعد خالد بن عبد الله القسرى - واما شهادة استريح بها منه» وقد أمكنه القضاء على كل الحركات الثائرة في المناطق المجاورة لبلاد الهند، واستشهد في المعركة الأخيرة سنة ١٢١هـ برغم انتصار جيشه(١) . وتولى على بلاد السند من بعده.

عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى (١٢١-١٢٥)=٧٣٨-٧٤٢ م

كتب يوسف الثقفى والى العراق إلى هشام بن عبد الملك، يستشيره فيمن يتولى أمر السند بعد مقتل واليها الحكم بن عوانه، فجاء رده يقول:

«إن كان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى قد اكتهل فوله» فتمت توليته وكان قد بلغ من العمر ٢٦ عاماً، وعندما تولى كانت الخلافات القبلية على أشدها فى السند وفي غيرها من بلاد الدولة الأموية، وكان خطر ثورات سكان البلاد قائماً، وهذا هو السبب وراء تفكير الوالى فى إقامة مدينة حصينة أخرى تكون ملجأ للعرب والمسلمين إذا استفحلت الأمور، فبنى مدينة جديدة فى الجهة المقابلة «للمحفوظة» على جانب بحيرة تقع شرقى نهر السند، وجعلها مركزاً للحكم بسبب موقعها الجغرافى الهام وقربها من مدينة المحفوظة حيث كانت على بعد كيلو مترات قليلة إلى الشمال الشرقى من برهمان أباد واطلق على المدينة الجديدة اسم «المنصورة» وموقعها الآن مشارف حيدر أباد السند، وكان ذلك سنة ١٢١هـ(٢) وقد استمرت هذه المدينة عاصمة على امتداد فترة الحكم

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ... جـ ٢ ص ٣٢٤

(٢) نفسه جـ٢ ص ٣٢٤ ، الساداتى: تاريخ المسلمين... ص ٥٢، لال ص٢٦

ويقول: إحسان حقى : أن عمرو بن محمد بن القاسم هو الذي وضع اساس مدينتى المحفوظة والمنصورة وربما كان اخر والى اموى على بلاد السند، فالمؤرخون يختلفون فى ذلك، انظر تاريخ

العربي أي على مدى حوالى ثلاثة قرون تقريباً. وقد جاء بناء هذه المدينة -كغيرها- متفقاً مع النهج الذى سارت عليه الحكومة فى كل الأمصار الإسلامية من اختطاط المدن لتكون معسكراً وأساساً لتجمع العنصر العربى المقاتل، فى هذا الإقليم كما فى غيره (١) .

وقد تكالب زعماء السند على عمرو بن محمد بن القاسم وولوا على أنفسهم ملكاً وزحفوا جميعاً نحو مدينة المنصورة وحاصروا المسلمين بها، وقد كتب الوالى يطلب النجدة من العراق فجاءه جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل، فاضطر ملك السند الجديد إلى رفع الحصار(٢) .

وقد لفت هذا الأمر نظر محمد بن القاسم إلى ضرورة تكوين جيش قوى يحمى العاصمة ويتمركز فيها، وجيش آخر للقضاء على المناوئين، وإعادة المناطق التى أضاعها العرب بسبب خلافاتهم القبلية، وجعل معن بن زائدة الشيبانى - حاكم سجستان فيما بعد - قائداً على ذلك الجيش الأخير، فقام

= شبه الجزيرة ... ص٤٩، ولكن هذا يخالف ماجاء في المصادر الأخرى: كذلك ليس صحيحاً ما ذكره البعض من أن المنصورة سميت بذلك الاسم بعد الخليفة العباسى المنصور، ولا ما ذكره المسعودى من أنها تنسب إلى الوالى منصور بن جمهور. لقد اسست تلك المدينة فى العقد الثالث أو الرابع من القرن الثامن الميلادى، وكانت تقع على بعد ثمانية اميال من مدينة «شهداء بوره -Shah dad pur» الحالية، وكانت عاصمة حتى لبعض الامارات المستقلة فى هذه المنطقة، كما اصبحت مركزاً ثقافياً يزدان بالمؤلفين ورجال الدين. وقبل ان يفتحها محمود الغزنوي كانت قد أصبحت مركزاً اسماعيلياً. انظر:

Ishtiaq Husain qureshi: the muslim community... p. 39

وما عنده من مصادر (من بينها ابن الاثير) ايضاً ما ذكره «س. م إكرام» من ان الحكم بين عوانه هو الذي بنى مدينة المنصورة، يخالف ما ذكره المؤرخون : انظر تاريخ الحضارة الإسلامية بالانجليزية ص ١٥، أخيراً ليس صحيحاً ما ذكره عبد المنعم النمر من أن بانى المحفوظة والمنصورة هو الحكم بن عوانة الكلبى، انظر : تاريخ الإسلام فى الهند ص ٧٧

(١) انظر : د. حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية فى اسيا الوسطى ص ١٩، وفيه تجد تركيزاً على أوجه التشابه بين الفتح الإسلامى فى جبهة السند وبينه على الجبهات الأخرى من حيث العوامل والأسباب والخطط ومظاهر نجاح الحركة الإسلامية والنتائج التى حققتها سياساً واجتماعياً واقتصادياً. انظر مثلاً ص ١٨، ١٧٧ وما بعدها ، ١٩١ وما بعدها .

(٢) انظر حقى والساداتى ولال: المراجع والمواضع السابقة.

بغارة ليلية على معسكر ملك السند الجديد وقتل عدداً كبيراً من جنوده واضطره نفسه للهرب وسلم أهل السند خشية من عواقب عدائهم للعرب، وربما كان الملك المذكور من منطقة «راجبوتانه» الواقعة علي الحدود الهندية، فقد كان لقبائل هذه المنطقة صلة بالقبائل المقيمة فى بلاد السند[١] .

لكن النزاع القبلى لايترك الأمور تمضى في طريقها، ذلك أن مروان بن يزيد بن المهلب - وهو من اليمانية - انتهز فرصة انشغال عمرو بن محمد بن القاسم بالقضاء على الفتنة فى مكان ما، وقام بحملة على معسكره وآل بيته واستولى على بعض الأسلحة والدواب، وعلم بذلك "عمرو" فعاد إلى المنصورة معه كبار قادته لمحاربة خصمه، وتمكن من الحاق الهزيمة بقواته واضطر مروان إلى الهرب، فأعلن عمرو «أن الناس كلهم أمنون إلا ابن المهلب»، يعنى عفا عن اليمانية حسما للفتنة، وقرر فقط القضاء على رأس المعاندين، وقد أمكنه القاء القبض عليه وقتله، وبذلك انتهت حركة التمرد هذه .

وبقى عمرو فى ولاية السند إلى أن مات الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ وقد كان صورة أبيه حزماً وعزماً وحكمة وسياسة، وقد نهج سيرة ابيه فى التسامح والعدل وإطلاق حرية العبادة وتولى الأمر بعد هشام اخوه

يزيد بن عبد الملك

اتبع الخليفة الجديد سياسة تعارض سياسة سلفه وتبنى اليمانية وعزل جميع من ولاهم «هشام» على الولايات وبينهم عمرو بن محمد بن القاسم حيث عزله من بلاد السند، وولى عليها والياً من أشد خصوم عمرو بن محمد بن القاسم الألداء، وهو «يزيد بن عرار الكلبى» وكان عمرو قد القى القبض عليه

---

(١) اليعقوبى تاريخ جـ ٢ ص ٣٢٤، ص ٣٢٥

قبل فترة وأرسل به إلى بلاد العراق حيث سجن هناك، وقد وصل الوالى الجديد إلى المنصورة وقام بالقاء القبض على عمرو بن محمد وسجنه، وخشى الأخير بشاعة التعذيب فتخلص من حياته بنفسه وكان ذلك سنة ١٢٥هـ .

يزيد بن عرار الكلبى (١٢٥-١٢٧)هـ=٧٤٢-٧٤٤ م

قام الخليفة يزيد بن عبد الملك فور تولية الخلافة بترك جميع الولاة ما عدا يوسف الثقفى مسئول العراق والإمارات الشرقية، فقد ثبت عنده انهم كانوا جميعاً باستثناء يوسف - يؤيدون عزله من ولاية العهد، ومال الخليفة الجديد إلى اليمانية فى نزاعهم مع المضرية أو النزارية، لأن الأولين ايدوا فكرة هشام الخاصة بعزل يزيد عن ولاية العهد، ولذلك نرى أن اليمانية تولوا المناصب العالية وكانوا أصحاب الحظوه والنفوذ عند الخليفة.

وقد عين منصور بن جمهور الكلبى - زعيم اليمانية - والياً على بلاد العراق، وجعل هذا قريبه يزيد بن عرار الكلبى والياً على بلاد السند.

ولم تطل فترة الخليفة يزيد أكثر من سنتين ، وتولى الخلافه من بعده.

مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية (١٢٧-١٣٢هـ) = ٧٤٤-٧٤٩م

وفى عهده كثر نشاط دعاة العباسيين وقويت حركتهم وامتلأت البلاد بالفتن بصورة قضت على الدولة الأموية كلها(١) وقد تولى على بلاد السند فى عهد مروان بن محمد.

منصور بن جمهور الكلبى (١٢٩-١٣٢هـ) = ٧٤٦-٧٤٩ م

وهو من زعماء اليمانية، اشترك فى مؤامرة قتل الخليفة يزيد سنة ١٢٦ رغم أنه ولاه على بلاد العراق وساند قومه، كما اشترك فى مؤامرة سليمان بن

---

(١) انظر: ابن خلدون : تاريخ ... جـ٣ ص١٦٥ وما بعدها

هشام الذي رغب في الوصول إلى الحكم وهزم وفرّ إلي بلاد السند، وقد بقى منصور هذا مختفياً في بلاد العراق ينتظر الفرصة المواتية وقد عمل مع الخوارج سراً سنة ١٢٩هـ كما عمل مع عبد الله بن معاوية عندما قام هذا بالثورة في بلاد فارس وانضم إليه وأصبح واحداً من قادته، وقد تمكن الخليفة الأموى من القضاء على جيش عبد الله وأسره وقتله، عندئذ خشى منصور بن جمهور من العواقب ففر بنفسه إلى بلاد السند[1] على أمل أن يحظى برعاية قريبه والى هذه البلاد يزيد بن عرار الكلبى، خاصة وإليه يرجع فضل تعيينه في منصبه، ولكن حدث العكس يعنى أن يزيد خشى أن يستولى الوافد الجديد على أعنة الحكم أو يكون سبباً في غضب الخليفة الأموى عليه وطرده، ولهذا حاول يزيد القبض على منصور، ولكنه سار بحذاء الضفة الغربية لنهر السند بينماكان يزيد على الضفة الشرقية ، واستطاع منصور أن يستولى على «سوستان» حيث قام بتجهيز المراكب وألقى بها في نهر السند بعد حملها على ظهور الإبل، أما يزيد فقد ترك المنصورة على رأس جيش متوجهاً نحو نهر السند، ودخل الفريقان في معركة حارب منصور فيها حرب اليائس وقاتل بشجاعة حتى هزم قوات يزيد وطارده إلى المنصورة وحاصره بها، وضيق منصور على يزيد حتى طلب الأمان، فوافق منصور وسلم المنصورة إليه وقبل حكمه فأمر القائد المنتصر ببناء اسطوانه عليه وهو حى ليطفىء نار غيظه[2] ثم استولى على مقاليد الحكم في تلك البلاد وأقام بالمنصورة وأرسل أخاه منظور بن جمهور الكلبى على رأس جيش اخضع الجهات الغربية ببلاد السند من مدينة الديبل إلى مدينة قندابيل، وجعله نائباً عنه في حكمها وتولى تنظيم النواحي الشرقية بالإضافة إلى داخل بلاد السند، واستمر هناك مستقلاً عن الخلافة الأموية التي ثار عليها[2] .

---

(١) انظر ابن الأثير. الكامل حوادث ١٣٤هـ جـ٥ ص ٤٥٣، ابن خلدون: تاريخ. جـ٣ ص١٢١

(٢) اليعقوبى جـ ٢ ص ٣٤٠.

وبعد قيام الخلافة العباسية ١٣٢ هـ ٧٤٩م أرسل أبو مسلم الخرسانى عبد الرحمن بن أبي مسلم العبدى والياً على بلاد السند، بيد أنه فشل فى طرد الوالى منصور منها، بل لقى حتفه على يديه، فأرسل الخليفة العباسي موسى ابن كعب التميمي، ليكون أول ولاة بنى العباس - بعد قيام الخلافة العباسية - على مناطق السند والبنجاب[١] ، وقد تمكن الوالى الجديد من قتل منصور بن جمهور الكلبى ١٣٤هـ = ٧٥١م ودخلت البلاد فى طور جديد من أطوار التاريخ.

---

(١) نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٥٨، الساداتي: تاريخ المسلمين... ص ٥٢

- ابن الأثير: الكامل حوادث ١٣٤هـ، الموضع السابق.

وهناك تراجم لهؤلاء الولاه وغيرهم فى مواضع مختلفة من العقد الثمين

ب - ولاة السند والبنجاب فى عهد الدولة العباسية

منصور بن جمهور الكلبى (آخر عمال بنى أمية) ؟

عبد الرحمن بن مسلم العبدى ١٣٤هـ

المسيب بن زهير ١٣٤هـ

موسى بن كعب التميمي ١٣٤ - ١٤١

أبوجعفر عمر بن حفص بن عثمان الهلبى ١٤١-١٤٢

عمرو بن حفص العتكى ١٤٢-١٥١

هشام بن عمرو التغلبي ١٥١-١٥٧

روح بن حاتم ١٥٩

بسطام بن عمرو التغلبى ١٥٩-١٦٠

روح بن حاتم - للمرة الثانية ١٦١هـ

نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعى ١٦١هـ

محمد بن سليمان الهاشمى وعبد الملك المسمعى ١٦١هـ

زبير بن عباس ١٦٢هـ

مصبح بن عمرو التغلبي ١٦٢

نصر بن محمد الخزاعى للمرة الثانية ١٦٢-١٦٤هـ

سطيح بن عمرو التغلبى ١٦٤

الليث بن طريف ١٦٤-١٧٠

سالم التونسى ١٧١-١٧٤

اسحاق بن سليمان الهاشمى ١٧٤

طيفور بن عبد الله الحميرى ١٧٤ ١٧٥.

جابر بن الأشعث الطائى ١٧٥ ١٧٦.

كثير بن مسلم بن قتيبة ١٧٦ ١٧٩

محمد بن عدى التغلبى ١٧٩-١٨١هـ

ولاية عبد الرحمن ١٨١-١٨٢هـ

أيوب بن جعفر ١٨٢-١٨٤ هـ

المغيرة بن يزيد المهلبى ١٨٤-١٨٥هـ

داود بن يزيد المهلبى ١٨٥-٢٠٥هـ

بشر بن داود المهلبى ٢٠٥-٢١٢هـ

حاجب بن صالح ٢١٣هـ

غسان بن عباد المهلبى ٢١٣-٢١٦ هـ

موسى بن يحى البرمكى ٢١٦-٢٢١هـ

عمران بن موسى البرمكى ٢٢١-٢٢٦هـ

عنبه بن إسحاق الضبى ٢٢٦-٢٣٥هـ

هارون بن خالد المروزى ٢٣٥-٢٤٠هـ

عمر بن عبد العزيز الهبارى ٢٧٠ هـ

الدولة الهبارية العربية فى المنصورة بالسند

عبد الله بن عمر الهبارى ٢٧٠ - ٣٠١.

عمر بن عبد الله بن عمر الهبارى ٣٠٢-٣٣٠

دولة الشيعة فى المنصورة ٤٠٢ - ٤١٦هـ

حملة السلطان محمود الغزنوى على السند ٤١٦هـ

الولاة فى الملتان باقليم البنجاب ٩٤ - ٣٧٥

حكومة الشيعة فى الملتان ٣٧٥-٤٠١هـ

ويقتضى الموقف إيجاز القول عن هذه الفترة.

عندما قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ = ٧٤٩م عين الخليفة العباسى الأول **أبو العباس السفاح** - أبا مسلم الخراسانى - والياً على خراسان والمناطق الشرقية بما فيها بلاد السند، وبذلك أصبحت الولاياتالشرقية تابعة لخراسان بعد أن كانت تتبع بلاد العراق، وقد أرسل الوالى الجديد جيشاً يقوده مفلس العبدى إلى بلاد السند لإخضاعها للحكم العباسى، وكان منصور بن جمهور الكلبى الثائر على الأمويين لايزال يسيطر على هذه المناطق وقد وصل مفلس العبدى إلى «الديبل» عن طريق طخارستان وقاتل جنداً يقوده منظور بن جمهور، شقيق منصور بن جمهور، وكان النصر لمفلس الذي واصل تقدمه نحو مدينة المنصورة العاصمة، وقد تألم الوالى منصور لمقتل أخيه، وجهز جيشاً كبيراً خرج به من العاصمة ووقع قتال عنيف بين الطرفين، انهزم فيه الجيش العباسى، وأسر قائده مفلس فأمر الوالى منصور بقتله فى الحال[1] .

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٣٥٨

البلاذرى فتوح البلدان ص ٦٢٤

اختار أبو مسلم الخراساني موسى بن كعب التميمي وولاه قيادة جيش كبير بلغ عشرين ألفاً وفرض لثلاثة رجال من العرب والموالي ولألف من بني تميم خاصة وجعله والياً على بلاد السند، وكان الوالي الجديد رئيساً للشرطة وله خبرة إدارية وعسكرية ، ولذلك نراه لايتوجه مباشرة إلى العاصمة المنصورة، بل يتجه نحو مدينة «قندابيل» المحصنة البعيدة عن العاصمة ، ويبقى بها مدة يجمع المعلومات عن عدوه وعن أحوال البلاد ويعمل على تقويه جنده، ويتصل بالقادة والزعماء في المنصورة ليجعل ولاءهم له، وقد نجح في مهمته وأقنع هؤلاء بأنه لاجدوى من معارضه الخليفة العباسي وجيوشه الجرارة(١) .

بعد ذلك عبر نهر السند إلى ناحيته الشرقية، والتقى مع جيش منصور ابن جمهور في معركة حامية، انهزم فيها منصور وحاول الفرار إلى الهند، ولكنه ضل طريقه في الصحراء ووقع في الأسر وقتل سنة ١٣٤هـ = ٧٥١م وقيل مات عطشاً في الرمال(٢) .

دخل موسى بن كعب العاصمة منتصراً وأسس بها أول حكومة عباسية، ووسع مسجدها الجامع الذي بناه عمرو بن محمد بن القاسم ونظم الأمور الإدارية والسياسية في اقليم السند وأخذ البيعة للعباسيين(٣) ، وأرسل وفداً إلى دار الخلافة سنة ١٣٦هـ = ٧٥٣م يشرح أحوال السند وأوضاعها

---

(١) تاريخ اليعقوبي الجزء والموضع نفسه.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص ٣٥٨.

ابن الأثير حوادث ١٣٤هـ جـ٥ ص ٤٥٣ .

البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٢٤.

الطبري : تاريخ... حوادث ١٣٤هـ جـ٧ ص ٤٦٤.

(٣) البلاذري: نفسه.

السياسية والمذهبية والفكرية[١] وبقى هناك حتى سنة ١٤٠هـ = ٧٥٧م وقد نجح خلال فترة ولايته فى محو كل آثار الأمويين، وثبت دعائم الحكم العباسى، ثم مات فى بغداد ودفن بها سنة ١٤١هـ= ٧٥٨م[٢] .

وتولى أبو جعفر المنصور الخلافة من ١٣٦-١٥٨هـ = ٧٥٣-٧٧٥م وفى عهده خف الصراع القبلى وبدت بشائر النهضة العلمية والاستفادة بمنجزات الحضارات الأخرى، وكان لابد أن يترك ذلك تأثيره على بلاد السند.

وقد عين والياً على السند فى زمنه كل من :

عيينة بن موسى بن كعب التميمى ١٤١-١٤٢= ٧٥٨-٧٦٩م

كان نائباً عن والده فى بلاد السند، وقد أصبح والياً بعد وفاة أبيه، فتجدد الصراع القبلى فى زمنه وانحاز هو للنزاريين أو الحجازيين وقتل كثيراً من اليمنيين[٣] ، ولهذا أمر الخليفة المنصور بعزله وولى على بلاد السند[٤] .

عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتيكى ١٤٢-١٥٢هـ - ٧٥٩-٧٦٩م

وقد توجه لبلاد السند على رأس جيش كبير، ولما وصل إلى المنصورة رفض عيينه بن موسى السماح له بدخولها وفشل فى فتح العاصمة، واضطر إلى العودة نحو مدينة «الديبل» ليعد خطة تضمن له فتح المدينة[٥] ، وهناك انضم إليه القادة والزعماء ممن ضايقتهم سياسة عيينة ونزعته القبلية من بين

(١) تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٣٦١

(٢) تاريخ ابن الأثير حوادث ١٤٢ هـ جـ٥ص ٥٠٩

(٣) نفسه

(٤) انظر تاريخ الطبرى حوادث سنة ١٤١هـ ١٤٢هـ جـ٧ ص٥١١، ٥١٢

- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ١٨٧

- تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣٧٢

(٥) انظر تاريخ ابن الأثير حوادث ١٤٢هـ جـ٥ ص ٥٠٩

هؤلاء الذين كان يظن عينه أنهم أصدقاؤه، وإزاء تخلى الأصحاب عنه لم ير بداً من طلب الصلح وسلم العاصمة لعمر بن حفص الذي القى القبض عليه وبعث به إلى بغداد، وفى طريقه إلى مركز الخلافة غافل حراسه وحاول الهرب، ولكن واحداً من اليمانية تمكن من قتله وأرسل رأسه للخليفة المنصور سنة ١٤٢هـ=٧٥٩م(١) .

وقد استقرت أمور السند وتحسنت أحوال الدولة واختفت العصبية القبلية على مدار سنوات تسع حكم خلالها الوالى عمر بن حفص، لكن الخليفة المنصور عزله ونقله إلى أفريقيا بسبب بروز النشاط السياسى الشيعى وتأييد ذلك الوالى للعلويين(٢) .

ظهور التشيع فى بلاد السند :

ظهرت حركة محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية أثناء ولاية عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة وقد بايعه بالخلافة سراً، وأرسل النفس الزكية ابنه عبد الله بن الأشتر الحسنى ليدعو له فى البصرة ثم فى بلاد السند، وقد اشترى من البصرة خيلاً وسار حتى وصل بلاد السند وقابل ابن حفص على أنه تاجر خيل، ثم كشف عن شخصيته فرحب به الوالى وبايعه وأخفاه عنده، ودعا أهل بيته وخواصه لمبايعته وجهز علماً أبيض وثياباً بيضاء، وفى اليوم المحدد للمبايعه جاء الخبر بمقتل محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، فتوجه ابن حفص لعبد الله بن الاشتر وقدم له التعزية وهدأ نفسه اليائسة، وبعث به إلى ملك من ملوك السند وأخذ عليه العهد بالا يتعرض لأذى، وقد أكرمه ذلك الملك واستقبل نحو اربعمائة من شيعته، وعلم بذلك كله الخليفة المنصور

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير حوادث ١٥١هـ جـ٥ ص٥٩٥-٥٩٨

فغضب وكتب إلى ابن حفص رسالة شديدة اللهجة، ثم زعم أحد أقرباء الوالى أنه مسئول عما حدث من ظهور للشيعة فى بلاد السند، وحمل إلى الخليفة فضرب عنقه، وعزل عمر بن حفص عن اقليم السند وولى مكانه[١]

هشام بن عمرو التغلبى ١٥١ - ١٥٧هـ = ٧٦٨ - ٧٧٣م

ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور على السند، وطلب منه أن يكاتب ملك السند ويطلب منه تسليم عبد الله بن الأشتر وإلا حاربه.

وقد وصل هشام إلى بلاد السند، وكره أن يؤذى ابن الأشتر، لأنه كان ممن يميلون سراً للعلويين، وإن تظاهر بانه يراسل ملك السند ارضاء للخليفة، وعلم الخليفة بحقيقة موقف واليه، فأرسل إليه يستحثه ويستعجله، وتصادف أن حدثت اضطرابات بالقرب من العاصمة «المنصورة» فوجه هشام أخاه «سفنجا» للقضاء عليها، وبينما كان يسير مع جيشه حول مملكة ذلك الملك السندى، رأى غبرة فاتجه نحوها، ثم عرف أنها جماعة من عشرة عليها عبد الله بن الأشتر وأنها مضت تتنزه على شاطىء نهر السند، فقصد «سفنج» ناحيتهم، وتقاتل الفريقان حتى قضى على ابن الاشتر وكل من كان معه[٢] .

ورغم أن الوالى لم يكن يريد ذلك إلا انه كتب للخليفة بمقتل عبد الله بن الأشتر، فأرسل المنصور يشكره ويطلب منه محاربة ملك السند، وكان الخليفة يريد - فيما يبدو - قطع دابر الاربعمائة: أصحاب بن الاشتر، والقضاء على

---

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الطبرى حوادث ١٥١هـ جـ٨ ص٣٣.
- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ١٩٨، ١٩٩.
- تاريخ ابن الأثير حوادث ١٥١هـ الجزء والموضع السابق
- اليعقوبى جـ٢ ص٣٧٣.

(٢) انظر: تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٥١هـ جـ٥ ص٥٩٧، ٥٩٨.

محاولات شيعته من الزيدية فى إحلال ابنه محله زعيماً عليهم.

وفى سنة ١٥١هـ = ٧٦٨ قام الوالى هشام بحملة على الملك السندى وقتله واستولى على ملكه، وهرب أصحاب عبد الله بن الاشتر وتفرقوا فى أنحاء البلاد وأسر ابنه محمد وبعث به إلى الخليفة المنصور الذي أرسله بدوره إلى المدينة المنورة وأمر عامله بها أن يسلمه لأهله[١] .

بعد ذلك قام هشام بن عمرو بحملات على بعض المناطق ومواطن الفتن فى النواحى الشرقية والغربية، وقضى على العرب المتغلبة من الأمويين فى مدينة الديبل وما حولها ثم رجع إلى العاصمة المنصورة ثم تقدم نحو جبال «كابل» وسير حملة بحرية استولت على شواطىء كجرات على ثغر بردا[٢] .

وهكذا استقرت الأمور من الناحية الداخلية، فدفع ذلك الاستقرار هشاماً إلى التفكير فى مد النفوذ الإسلامى إلى بلاد الهند، وإعادة فتح المناطق التى كان الوالى الجنيد بن عبد الرحمن المرى قد فتحها، ولذلك الهدف أعد السفن اللازمة وحملها فى نهر السند وسار إلى منطقة قندهار (كندهاوه) وفتحها وهدم بيت الصنم بها وبنى مكانه مسجداً[٣] ، كذلك وجه هشام جيشاً بقيادة «عمرو

---

(١) نفس المصدر والموضع.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص٣٧٢، وكذلك:

حقي: تاريخ شبه الجزيرة ص ٤٩.

(٣) انظر: البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦٢٤.

أما بارند (فارند) فقد ذكر صاحب تاريخ السند ص ٥٧ انها ميناء (بهار عبرت) فى بهروج (بروض) بالهند، وانظر:

- الطرزى : موسوعة التاريخ... جـ١ ص٢٦٠.

ويقول فى موضع اخر أن «باريد» أصلها «بهاربهوت» وهى ميناء صغير، يقع على بعد سبعة أميال من ميناء بهروج (بروض) ببلاد الهند، انظر. موسوعة التاريخ جـ١ ص٢٦٥، نقلاً عن تاريخ السند ص ١٦١.

ابن جبل » ومعه بوارج إلى «تارند» بهدف الاستكشاف وجمع المعلومات تمهيداً لفتح بعض مناطق الهند المجاورة للسند، وبعث بقوات أخرى إلى بلاد كشمير وفتح بعض مناطقها وأصاب منها سبايا[١] .

وكان الهدف من ذلك كله هو تأديب هذه المناطق والانتقام من حكامها الذين كانوا يساعدون المتمردين على الحكم العربي ويشجعونهم على الفتن والقيام بثورات فى بعض الجهات، ولذلك نرى الوالى يعود مرة أخرى إلى المنصورة ويقيم فيها، ويحرص على القيام ببعض الاصلاحات وتحسين الخدمات الحكومية.

وكان عهد هشام فى جملته عصر ازدهار، ففى عهده اصبحت بلاد السند اسلامية بحته يعمها الهناء والإخاء والرخاء فى ظل الخلافة العباسية، وقد اطمأن الناس إليه وزاره الكبار والشعراء، ونظراً لبراعته فى التنظيم الإدارى، فوض إليه الخليفة الاشراف على منطقة كرمان فى إيران سنة ١٥٦هـ= ٧٧٢م[٢] ، فأصبح مشرفاً على حكومة العرب فى الملتان وعلى حكام السند فى المناطق المختلفة، بالإضافة إلى كرمان، وشهدت البلاد استقراراً وطمأنينه وأمناً ولم يسمع عن اضطرابات تذكر طوال مدة ولايته، كما بدأت الاتصالات والعلاقات العلمية بين بلاد السند ومركز الخلافة فى زمنه.

وقد توفى ذلك الوالى ودفن ببغداد سنة ١٥٧هـ = ٧٧٣م بعد ست سنوات من الحكم الناجح فى بلاد السند[٣] .

---

(١) نفسه ص ٦٢٤.

(٢) انظر: تاريخ ابن الأثير جـ٦ ص ٦، وكذلك:

حقى شبه الجزيرة . ص ٤٩

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣٧٣

تاريخ الطبرى حوادث ١٥٧ هـ جـ٨ ص٥٣

- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص٢٠٢

وخلفه فى عمله ببلاد السند

معبد بن الخليل التميمي ١٥٧-١٥٩هـ = ٧٧٣ - ٧٧٥م

وكان حسن المعاملة محمود السيرة بين الرعية، حازماً فى حكمه، وشهدت البلاد أمنا واستقراراً فى فترة ولايته، التى لم تطل أكثر من سنتين حيث مات بالمنصورة فى أوائل خلافة المهدى سنة ١٥٩هـ= ٧٧٥م .

ويذكر للخليفة المنصور قضاؤه على الفتن والمنازعات القبلية على امتداد رقعة الدولة الإسلامية بما فى ذلك بلاد السند، كما شهدت البلاد بدء النهضة العلمية والفنية التى ازدهرت فيما بعد وأسهم فيها علماء من بلاد السند[1] .

أما **الخليفة المهدى** (١٥٨-١٦٩هـ= ٧٧٤-٧٨٥م) فقد حرص على تبليغ كلمة الله وأرسل رسائل ووفوداً إلى البلدان المختلفة، من بينها رسائل إلى ملوك وامراء الهند، تدعوهم إلى الدخول فى الإسلام. فاستجاب لدعوته خمسة عشر ملكاً وأميراً.

وفى سنة ١٥٩هـ ٧٧٥م توجهت حمله بحرية إلى بلاد الهند يقودها عبد الملك ابن شهاب المسمعى، وكانت تتكون من جند متطوعة ومرابطين من الأقاليم المختلفة، بلغ عددهم تسعة آلاف ومائتين.

وبعد أن انقسم هؤلاء إلى فرق، توجهوا إلى بلاد فارس ومنها استقلوا سفناً حربية إلى بلاد الهند، فوصلوا إلي ميناء باربد« بهاربهوت»، حيث دار قتال عنيف بين المسلمين وبين الكفار انتصر فيها المسلمون وفتحوا المدينة،

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣٧٢، ٣٧٣.

- تاريخ الطبرى حوادث ١٥٩هـ جـ٨ ص١١٧ وعن سيرة الخليفة المنصور وسياسته انظر حوادث ١٥٨هـ جـ٨ ص٦٢ وما بعدها.

وكذلك ابن الأثير: الكامل... حوادث ١٥٨ هـ جـ٦ ص٢٣ وما بعدها

وأشعلوا النار فى معبد بوذى ضخم ظانين أنه قلعة عسكرية، لأنه كان على شكل برج[١] واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون.

ويبدو أنه قد حدثت اضطرابات سياسية فى منطقة «كجرات» ترتبت عليها مضايقات للتجار المسلمين وأسر لبعضهم، ولحقت أضرار بالمسلمين، ولذلك قامت هذه الحملة لإنقاذهم[٢] وقد نجحت فى مهمتها وانتشر الأمر والاستقرار فى المنطقة، ولكن الى حين، فقد اشتدت درجة الحرارة وهبت رياح سامة وانتشرت الأوبئة فى المنطقة وساعدت على مقتل كثير من المسلمين، الشيء الذى دفعهم إلى ركوب السفن والتوجه إلي بلاد فارس، وما أن وصلوا خليج العرب حتى اشتدت الرياح مرة أخرى وارتطمت السفن واصطدمت ببعضها فتكسرت وغرق معظم من بها ولم ينج إلا القليل[٣] .

وهكذا شهد عصر المهدى فتناً فى بلاد السند، وعادت الخلافات بين العرب تطل برأسها من جديد ويشتد النزاع بين القبائل وكان الولاة من الضعف بحيث لم يستطيعوا عمل شيء، حتى انه توالى على هذه البلاد أحد عشر والياً على مدار احدى عشرة سنة حتى نهاية فترة خلافة المهدى أي بمعدل وال كل سنة، بل وصل عدد الولاة فى سنة واحدة ثلاثة فى بعض الأحيان، وهؤلاء الولاة هــم:

روح بن حاتم ١٥٩ هـ = ٧٧٥م

وقد قام الزط بفتن فى الأجزاء القريبة من بلاد السند خلال فترة ولايته،

---

(١) تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) تاريخ السند بالاردية لأبي ظفر ندوى ص ١٦١، نقلاً عن كتاب راجين اتهاس الكجراتى، وانظر: - الطرزى : موسوعة التاريخ ... جـ١ ص ٢٦٥.

(٣) انظر: تاريخ الطبرى حوادث ١٥٩هـ، ١٦٠هـ جـ٨ ص١١٦، ١١٧، ١٢٨.

- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص٢٠٨، ٢٠٩

ولم يتمكن من القضاء عليهم، فنقله الخليفة إلى أفريقية وحل محله[١]

بسطام بن عمرو التغلبى ١٥٩-١٦١هـ= ٧٧٥-٧٧٧م

وكان نائباً عن أخيه هشام بن عمرو التغلبى الذي كان والياً على السند فى خلافة أبي جعفر المنصور، وكان قد اكتسب خبرة ومعرفة بأحوال البلاد، تمكن بفضلهما من القضاء على الفتن والإضطرابات الداخلية وفل من شوكة قبائل الزط، ورغم نجاحه فى إدارة البلاد، فقد عزل لسبب غير معلوم بعد سنتين من الحكم[٢] .

ولاية روح بن حاتم للمرة الثانية سنة ١٦١هـ = ٧٧٧م

عاد ذلك الوالى إلى السند من بلاد افريقية، لكنه لم ينجح فى تدبير الأمور فقدتجددت فتن الزط وطالبوا بتطبيق معاهداتهم مع المسلمين ، ولم يستطع الوالى مواجهتها بسبب ضعف شخصيته، فقرر الخليفة إرجاعه إلى حيث كان يعنى إلى افريقية مرة أخرى[٣] وولى على السند

نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعى ١٦١هـ = ٧٧٧م

ولم يكن حظه بأحسن من حظ سابقة حيث استمر الزط فى شدة مقاومتهم وتمادوا في عدائهم للحكم العربى، تدعمهم قوى خارجية وتمدهم فيما يبدو

---

(١) انظر: تاريخ ابن الأثير حوادث ١٥٩ هـ جـ٦ ص ٤٠، ٤١.
- تاريخ الطبرى جـ٣ ص٤٦١.
- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص٢٠٧.

(٢) انظر: تاريخ الطبرى حوادث ١٥٩ هـ جـ٨ ص١٢٣
- تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٦٠ هـ جـ٦ ص٤٨.
- تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص٢٠٧.

(٣) تاريخ الطبرى حوادث ١٦١هـ جـ٨ ص١٤٠
- تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٦١هـ جـ٦ ص ٥٥

بالسلاح والمال ليستمر عداؤهم للإدارة العربية، ولفشل الوالى وعجزه عن القضاء عليهم ، عزله الخليفة فى نفس السنة وعين مكانه[١] .

محمد بن سليمان بن على الهاشمى ١٦١-١٦٢هـ=٧٧٧-٧٧٨م

وقد فوض إليه الخليفة أمر بلاد السند، وعهد إليه بالعمل على حل أزمتها، فاختار ذلك الرجل قائداً مشهوراً جعله نائباً عنه على تلك البلاد وهو عبد الملك ابن شهاب المسمعى، وقد وصل جيشه إلى هذه المناطق وأصبح على بعد ستة فراسخ فقط من المنصورة العاصمة وفجأة جاء أمر بالعودة إلى البصرة لحاجة الخليفة إليه فى مهمة عاجلة على أن يعود نصر الخزاعى إلى المنصورة.

وقد وصل نصر الخزاعى، وبدأ يضع خططه لتنظيم أمور البلاد والقضاء على الفتن بها، وأعد جيشاً يقوم بهذه المهمة، ولكن جاء الأمر بعزله هو الآخر باسرع مما كان يتصور ولأسباب غير معلومة[٢] .

وهكذا لم يكن يتح للوالى أن يبقى فى منصبه إلا لأيام معدودات لاتمكنة من فهم المشكلات فضلاً عن حلها وإدارة البلاد بصورة حاسمة.

ولاية الزبير بن العباس الهاشمى ١٦٢هـ=٧٧٨م

وقد أهمل هذا الوالى بلاد السند ولم يهتم بها أو يحاول حل مشاكلها، وترك الفتن يشتد أوارها، ولهذا فقد عزله الخليفة بعد أشهر من ولايته بل يقال أنه لم يبلغ البلد[٣] .

---

(١) تاريخ الطبرى . الموضع السابق.

(٢) انظر: تاريخ الطبرى حوادث ١٦١هـ جـ٨ ص ١٤٠

(٣) انظر: تاريخ السند بالاوردية ص١٦٤ نقلاً عن
- الطرزى. موسوعة التاريخ.. جـ١ ص٢٧٠ وكذلك
المباركبورى . الهند فى عهد العباسيين ص ٣٠

مصبح بن عمرو التغلبي ١٦٢هـ = ٧٧٨م

هو الأخ الاصغر للوالي هشام بن عمرو، وقد رافقه اثناء فترة ولايته واكتسب خبرة بأحوال هذه البلاد، ولهذا فقد تمكن بفضل مهارته لعسكرية والسياسية من القضاء على الفتن والاضطرابات في مناطق الزط، ولكن العصبية القبلية للأسف برزت من جديد ونشبت الحرب بين النزارية واليمانية، وبلغت أحوال العرب درجة من السوء لم يتمكن الوالي معها من فعل شيء وتعذر عليه الإصلاح والقيام بواجباته، ولذا قرر ترك البلاد[١] .

ولاية نصر بن محمد الاشعث الخزاعي للمرة الثانية ١٦٢-١٦٤هـ = ٧٧٨-٧٨٠م

وقد فشل هذه المرة وأخفق في حل المشاكل كما حدث من قبل في المرتين السابقتين، وبقى ببلاد السند حتى توفى بها بعد سنتين[٢] ثم عهد لسطيح بن عمرو التغلبي بإدارة شئون البلاد بصورة مؤقته إلى أن اختير لها بعد شهور[٣] والى جديد هو:

الليث بن طريف ١٦٤ - ١٧٠ هـ = ٧٨٠ - ٧٨٦م

وقد اختاره الخليفة بنفسه لما يتمتع به من حنكة سياسية وقدرة عسكرية عله ينجح في إعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي في بلاد السند، وقد وصل الوالي الجديد إلى العاصمة، وبدأ بداية موفقة حيث عمل على دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية دراسة دقيقة ووضع خطط الإصلاح في ضوء ما توصلت إليه تلك الدراسة، فجمع زعماء العرب وعقد صلحاً بينهم بشكل أرضى

(١) انظر : تاريخ ابن الأثير حوادث ١٦٣ هـ جـ ٦ ص٦٢.

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير جـ ٦ ص٤٢.

(٣) انظر تاريخ الطبري حوادث ١٦٤هـ جـ٨ ص١٥٠، ١٥١

كل الأطراف وحقق لها أهدافها، ونجح فى تكتيل هؤلاء معه ضد الزط، وكان هؤلاء قد قاموا باضطرابات عنيفة استعدوا لها، وجمعوا السلاح على مدار سنوات، وكانوا من الخطورة بصورة جعلت الوالى لايستطع حل مشكلتهم سواء بالأساليب العسكرية أو السياسة، وكتب للخليفة المهدى بحقيقة الوضع فوجه رسلاً إلى الملوك فى المناطق المختلفة يدعوهم إلى الطاعة وأمد والى السند بجيش ضخم وجند كثير، وفى الحال قضى على كل المفسدين والمشاغبين بالقتل فى كل أنحاء البلاد، وخاصة فى مناطق قبائل الزط، وبذلك عاد الأمن وعرفت البلاد الاستقرار والطمأنينة من جديد، وتقدمت الزراعة والصناعة وازدهرت العلوم، وظل ذلك الوالى يخدم البلاد إلى أن عزله الخليفة الجديد مع غيره من الولاة سنة ١٧٠هـ=٧٨٦م(١) .

وفى فترة خلافة هارون الرشيد ، تولى أمر بلاد السند :

سالم اليونسى (البونسى) ١٧١-١٧٤هـ=٧٨٧-٧٩٠م

وقد استفاد من جهود سلفه وعرفت البلاد الهدوء وا لطمأنينة فى زمنه وكان حسن السيرة، رضى عنه كل فئات الشعب وساسهم بلا مشاكل على مدار سنوات أربع، بعدها نقلها لخليفة لمنصب أعلى سنة ١٧٤هـ-٧٩٠م(٢) وولى مكانه:

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص٣٩٨.

- المباركبورى : الهند فى عهدا لعباسيين ص٣٠.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص٤٠٩.

- تاريخ الطبرى حوادث سنة ١٧٤هـ جـ٨ ص٢٣٩.

يقول ابن الأثير ان الرشيد ولى اسحاق بن سليمان على السند ومكران سنة ١٧٤هـ انظر: حوادث سنة ١٧٤هـ جـ٦ ص١٢١.

وانظر تعليقاً عند الطرزى: موسوعة التاريخ الإسلامى جـ١ ص٢٧٤

إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله العباسى الهاشمى ١٧٤هـ= ٧٩٠م

وكان رجلاً فاضلاً محباً للعلماء، وقد أحاط نفسه بالأطباء ورجال الرياضيات والفلك، وحرص على الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية، ولكن القدر لم يمهله فتوفى بعد أشهر قليلة من ولايته على السند، وحل محله[١] .

طيفور بن عبد الله الحميري ١٧٤-١٧٥هـ= ٧٩٠-٧٩٢م

وقد أيدته اليمانية لأنه منهم، ووقف معهم وحارب النزارية وتجددت الفتن الطائفية واشتدت الخصومات بين القبائل العربية، وعلم الخليفة بسياسته وما جرته من مشكلات فأمر بعزله بعد ولاية استمرت عاماً[٢] وحل محله:

جابر بن الأشعث الطائى ١٧٥-١٧٦هـ= ٧٩٠-٧٩١م

وقد عزل بعد عام واحد لفشله فى إدارة البلاد أيضاً[٣] ، وجاء بعده والياً على السند.

كثير بن مسلم بن قتيبة ١٧٦-١٧٩هـ

كان الخليفة هارون الرشيد قد فوض حاكم العراق سعيد بن مسلم ابن قتيبة فى أمر بلاد السند، فولى أخاه كثير عليها، وبعد أن تسلم أعنة الحكم فى المنصورة العاصمة، اشتغل بمصالحه الخاصة وأساء السيرة وضاق الناس به، ووصل أمره للخليفة هارون الرشيد، فأمر بعزله[٤] .

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص٤٠٩.

- تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص ٢١٨.

(٢) تاريخ اليعقوبى، الجزء والموضع السابق.

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

محمد بن عدى التغلبى ١٧٩-١٨١هـ=٧٩٥-٧٩٧م

فوض الخليفة هارون الرشيد عيسى بن جعفر بن منصور العباسى فى أمور بلاد السند، فعين الأخير محمد بن عدى التغلبى نائباً عنه، فقدمها ونيران العصبية مشتعلة، ولما لم يستطع اطفاءها حاول ترك المنصورة والتوجه إلى الملتان فى اقليم البنجاب، بيد أن أهلها خافوا أن تنتقل إليهم مساوىء العصبية وويلاتها فمنعوه من دخول مدينتهم، وقاتلوه على أبوابها، واستولوا على كل مامعه من أسلحة وأمتعة، واضطروه للعودة من حيث أتى، فحدث نزاع بين اليمانيين والنزاريين فى المنصورة، وعلم الخليفة بذلك كله فعزله عن السند سنة١٨١هـ(١).

ولاية عبد الرحمن ١٨١-١٨٢هـ = ٧٩٧-٧٩٨م

اختار الخليفة رجلاً، لايعرف عنه أكثر من اسمه، ويبدو أن المشاكل كانت أكبر من طاقاته، فلم يستطع له حلاً، ولذلك نحاه هارون الرشيد بعد سنة واحدة(٢) .

أيوب بن جعفر بن سليمان الهاشمى ١٨٢-١٨٤هـ= ٧٩٨-٨٠٠م

وقد وصل إلى السند ، وفى ذهنه أن حل مشكلة العصبية القبلية التى اهلكت البلاد، وحطمت البيوت جميعاً، فيه أنهاء لكل مشكلات البلاد ، فبذل قصارى جهده، ولكنه لم يوفق فى عقد صلح بين الاطراف المتناحرة، وأراد

---

(١) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٠٩

(٢) انظر : نفسه

ويذكر صاحب « الهند فى عهد العباسيين أن اسمه بالكامل عبد الرحمن بن سليمان الهاشمى ، انظر ص٣٥

الخليفة اختيار شخصية لها مقدرة وخبرة، فكانت شخصيته .

داود بن يزيد بن حاتم المهلبى ١٨٤-٢٠٥هـ = ٨٠٠-٨١٠م

خشى «داود» ان يذهب بنفسه أول الأمر ، فيفقد مكانه ومنزلته فى خضم المعارك القبلية بالسند، لذلك عين أخاه المغيرة نائباً عنه وأمده بجيش وبعث به إلى المنصورةوتلك سنة ابتدعها كبار الحكام وراجت فى فترة ضعف السلطة المركزية، لكن النزارية أغلقوا أبواب المنصورة فى وجه الوالى الجديد واشترطوا عليه اخراج اليمانية منها إن اراد دخولها مع تقسيم البلاد بين قريش وقيس وربيعة ، فلم يقبل ، فقد كان يمانياً، فعرضوا عليه أن يخرجوا جميعاً وأن يدخلها هو ويعدل بينهم فلم يوافق أيضاً ودخل المدينة واشتد على النزارية بصورة أدت إلى نشوب القتال، وانهزم المغيرة وفر إلى غرب السند حيث كتب إلى أخيه داود بما جرى[١] .

لما علم «داود» بالوضع فى بلاد السند، جهز جيشاً كبيراً، وتوجه بنفسه إليها بهدف القضاء على النزارية، ووصل إلى أبواب المنصورة واستمر يقاتل عشرين يوماً، وفنى خلق كثير، ومع ذلك لم تفتح أمامه الأبواب، واستمرت الحرب شهوراً، ثم تمكن الوالى من الدخول بالقوة وسجن وطارد كثيراً من النزارية وحرق متاجرهم وخرب بيوتهم وساد المدينة هدوء، وتوفر الأمن والاستقرار لسنوات نتيجة لذلك[٢] .

ومما يذكر أن الفضل بن ماهان نجح فى دخول منطقة السندان سنة

---

(١) انظر : تاريخ ابن الأثير ، حوادث ١٨٤ هـ ج٦ ص١٦٦ .

تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٠٩ . الساداتى : تاريخ المسلمين ص٥٦

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ، الجزء والموضع السابق .

المباركبورى : الهند فى عهد العباسيين ص٣٦ .

١٩٨هـ، وهى منطقة بعيدة تقع فى اقليم «كجرات» وسيطر عليها واستقل بأمورها مع الاعتراف بالخلافة العباسية، وقد بعث للخليفة المأمون بفيل وبعض الهدايا ودعا له فى المسجد الجامع ثم توارث الحكم أبناء الفضل حتى قضى عليها الغزنويون أوائل القرن الخامس الهجرى[١] .

وقد اهتم الوالى «داود» بالاصلاحات الداخلية وتنظيم أحوال البلاد، فحسبها ما لحقها من أضرار وخسائر جسيمة فى الماضى وقد نجح فى تحقيق ذلك إلى حد كبير، فازدهرت البلاد على امتداد فترة ولايته الطويلة فى ميادين الثقافة والعلوم والتجارة وتحسنت العلاقات العربية السندية كثيراً، وتبودلت الهدايا والتحف النادرة بين الخليفة هارون الرشيد وبعض ملوك وأمراء السند والهند، وتوفى ذلك الوالى بالمنصورة سنة ٢٠٥هـ بعد عشرين عاماً قضاها فى العمل على نهضة بلاد السند والارتقاء بها فى مختلف الميادين وكان على رأس الدولة العباسية أنئذ الخليفة المأمون، الذي ولى على بلاد السند بعد وفاة داود ابنه[٢].

بشر بن داود المهلبى ٢٠٥-٢١٢هـ=٨٢٠-٨٢٧م

واشترط عليه أن يدفع للخلافة سنوياً عشرة ملايين درهم - أو مليون درهم وفقاً للطبرى وابن الأثير- وهو ماكان يدفعه أبوه من قبل، وقد واصل سياسة أبيه لعدة سنوات ولكنه ما لبث أن تغير وامتنع عن ارسال مبلغ الخراج

---

(١) البلازرى : فتوح البلدان ص ٦٢٦، شلبى:موسوعة التاريخ ٨ ص ٢٦٩.

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير حوادث ٢٠٥ هـ ، ج٦ ص٣٦٢ .

البلازرى : فتوح البلدان ص٦٢٤

ابن أبى أصبيعة

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج٢ ص٣٢، ٣٤

للعاصمة، وربما اغتر بماله من قوة ونفوذ وباستقرار وازدهار البلاد في عهده وعهد أبيه، ولذا فقد عزله الخليفة وولى مكانه(١) .

حاجب بن صالح ٢١٢هـ=٨٢٧م

وصل الوالى الجديد إلى منطقة مكران، ولقى المسئول عنها - وهو أخ لبشر بن داود - وطلب تسليم البلدة إليه، ولكن المسئول رفض بحجة أنه تابع للوالى المقيم فى المنصورة، وأن على المعين أن يتسلم العاصمة أولاً ثم الاقاليم التابعة لها.

ولكن «حاجب بن صالح» خشى من مواجهة بشر، خاصة وفى الامكان حصره بين المنصورة ومكران والقضاء عليه، فجبن وتردد، وعلم الخليفة المأمون بقصته ، فولى على البلاد(٢) :

غسان بن عباد المهلبى ٢١٣-٢١٦هـ=٨٢٨-٨٣١م

وقد اختاره الخليفة لما يتميز به من قوة وجرأة ، ولأنه من آل المهلب، نفس قبيلة بشر، ولجأ الخليفة إلى اجراء آخر هو دعوة محمد أخو غسان وتكليفه باعداد جيش قوى يذهب على رأسه إلى بلاد السند، ويعمل للقضاء على الفتنة

---

(١) انظر : تاريخ الطبرى حوادث ٢٠٥ هـ ج٨ ، ص٥٨٠ .

البلاذرى : فتوح البلدان ص٦٢٥ .

تاريخ ابن الأثير : حوادث ٢٠٥ هـ ، ج٦ ص٣٦٢

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٥٨ .

تاريخ الطبرى : حوادث ٢١٣ هـ ج٨ ص٦٢٠

تاريخ ابن خلدون ج٣ ص٢٥٤

ابن الأثير حوادث سنة ٢١١ هـ ج٦ ص٤٠٦ ويذكر أن حاجب بن صالح ولى السند ، فهزمه بشر بن داود ، فانحاز إلي كرمان

هناك وإحضار الوالى المعزول إلى مقر الخلافة، ويبقى الكل هناك إلى استقرار الأحوال تماماً ثم يسلم الحكم بعد ذلك لموسى بن يحيى بن خالد البرمكى.

وتم تنفيذ ما أراده الخليفة، ووصل غسان بالقرب من المنصورة فخرج إليه «بشر» معتذراً وسلم ما عليه من خراج متأخر وترك له مقاليد الحكم، بل وسمح بوضع القيد فى يده تمهيداً للتحقيق معه، وقضى «غسان» مدة ينظم أمور البلاد ثم سلم الحكم لموسى بن يحى البرمكى بناء على تعليمات الخليفة(١) .

وفى سنة ٢١٦هـ وصل غسان برفقة بشر إلى دار الخلافة، وقد عفا عنه الخليفة وقبل شفاعة آله، كما قبل المبررات التى قدمها بين يدى اعتذاره، وأطلق سراح اسرته وأكرمهم وأنعم عليهم، وأقام حفل تكريم لغسان لنجاحه فى مهمته، وأنشد الشعراء شعراً فى هذه المناسبة(٢) .

---

(١) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٥٨ .

تاريخ ابن الأثير حوادث ٢١٣ ج٦ ص٤٠٥ ، ٤١٠ .

تاريخ الطبرى حوادث سنة ٢١٦ هـ ، ج٨ ص٦٢٦ .

تاريخ ابن خلدون ج٣ ص٢٥٥ .

المباركبورى : الهند فى عهد العباسيين ص٣٩ - ٤١ .

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٥٨ ، ٤٥٩ .

من هذا الشعر قول القائل :

سيف غسان رونق الحرب فيه ... وسمامُ الحتوف فى ظبتيه

فإذا جره إلى بلد السنـ ... ـد فالقى المقاد بشر إليه

مقسماً لايعود ما حج للـ ... ـه مصل وما رمى جمرتيه

غادراً يخلع الملوك ويغتا ... ل جنوداً تلوى إلى نزوتيه

(تاريخ الطبرى حوادث سنة ٢١٦ هـ جـ٨ ص ٦٢٦).

ويذكر ابن الأثير ان غسان بن عباد قدم من السند ومعه بشر بن داود مستأمناً ، واستعمل على السند عمران بن موسى العتكى انظر حوادث ٢١٦ هـ جـ٦ ص ٤٢٠.

موسى بن يحيى البرمكى ٢١٦-٢٢١هـ=٨٣١-٨٣٥م

كان أحد أمراء السند قد أقام حفلاً دعا إليه كل أمراء وحكام المناطق المختلفة، بهدف التفاخر وإظهار العظمة، وكان «غسان» الوالى السابق قد دعى إلى ذلك الحفل، واعتبر ذلك اهانة له ولكن ظروف عودته السريعة إلى بغداد، لم تمكنه من رد تلك الاهانة وكان ذلك من نصيب الوالى الجديد الذي ارسل حملة إلى منطقة ذلك الأمير السندى (باله ملك الشرقي) ونشبت معركة حامية انتصر فيها المسلمون وأسر الأمير الذي جاء عند الوالى موسى ورفض دفع فدية مقابل الحفاظ على حياته، فنفذ فيه حكم الاعدام[1] .

وقد انخفض الخراج فى عهد ذلك الوالى إلى مليون درهم فقط رغم تحسن العلاقات التجارية بين البلاد العربية والبلاد السندية[2] وإن كان ذلك الوالى قد نجح فى ترك بصماته على العلاقات العلمية ومات فى سنة ٢٢١ ليخلفه على بلاد السند ابنه عمران بن موسى البرمكى .

فتح سندان وقالى ببلاد الهند[3]

فى سنة ٢١٧هـ = ٨٣٢ قام الفضل بن ما هان - وكان حاكماً عربياً على منطقة سندية-بحملة على مدينة سندان الهندية وفتحها وحكمها بصورة مستقلة، وإن ذكر اسم الخليفة العباسى فى خطبة الجمعة بالمسجد الجامع،

---

(١) انظر : البلاذرى . فتوح البلدان ص٦٢٥

(٢) انظر : ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص٥٧

(٣) سندان : مدينة تقع بين بروس (بهروج) ومدينة سوبارا وهى أقرب إلى الأخيرة . كما يقرر رشيد الدين .

وقالى : يغلب على الظن أنها مدينة هندية قريبة من سندان

انظر : الطرزى : موسوعة التاريخ ج١ ص٢٨٦

وقدم إليه بعض الهدايا القيمة ، فرضى المأمون عنه، وسرّ لأن قائداً عربياً امكنه اقامة امارة صغيرة مسلمة فى بلاد الهند، ولكن الفضل بن ماهان توفى بعاصمة امارته الجديدة، ومات الخليفة المأمون أيضاً، وانتقلت الخلافة إلى :

المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ) = ٨٣٣-٨٤١م

كان محمد بن الفضل قد خلف أباه، وأراد توسيع دولته الصغيرة عن طريق فتح بعض المدن الهندية المجاورة، فقام أولاً بحملة على مناطق قبائل الميد القريبة منه، وقتل الكثيرين منهم، وسيطر على مواطنهم ثم اتجه نحو مدينة «قالى» وفتحها، ورغب فى مواصلة الفتوحات لولا خبر وصله عن انقلاب قام به أخوه ماهان بن الفضل، استولى به على الحكم فى «سندان» فقرر العودة إلى العاصمة ولم يستطع دخولها ، لأن أخاه كان قد حصنها جيداً، واضطر محمد بن الفضل إلى مكاتبة الخليفة العباسى وأهدى إليه وطلب عونه.

ولكن ماهان بن الفضل علم بذلك، فجهز جيشاً من اتباعه ومن السند المقيمين في العاصمة، وخرج للقاء أخيه قبل أن يأتيه المدد العباسى وهزمه وأسره بل زاد وقتله بصورة جعلت الشاعر أبا العتاهية يتألم، ويسجل ذلك فى شعره :

ما على ذا كنا افترقنا بسندا ... ن وما كنا هكـــذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهندة البيـ ... ـض على غدرهم وتنسى الوفاء[1]

وانتهز حكام الهند هذا الخلاف المرّ وصعوبة الإتصال بالخليفة العباسى وبوالى السند، وبعد المسافة، وقاموا متحدين بحملة على سندان وقالى وموطن قبائل الميد واستولوا عليها جميعا، وأسروا ماهان نفسه وقتلوه وصلبوه وسقوه

---

(١) انظر أطهر المباركبورى رجال السند والهند إلي القرن السابع الهجرى ص٢٢٣

من نفس الكأس التى أسقى منها أخاه، وأن تركوا مسجد «سندان» يقيم المسلمون فيه الصلوات ويدعون للخليفة العباسى[١] .

وهكذا كانت الأنانية والفرقة والنزاع، وراء ضياع دولة لم يكتب لها الإستمرار إلا لفترة بلغت نحو عشر سنوات، ولو بقيت، ولم تعصف بها العواصف، لتغيرت وجهة التاريخ فى هذه البقاع.

عمران بن موسى البرمكى ٢٢١ ـ ٢٢٦ هـ ٨٣٥ ـ ٨٤٠ م

بقى موسى البرمكى واليا لمدة ثلاث سنوات أثناء خلافة المعتصم بالله، ولما مات سنة ٢٢١ هـ ولى الخليفة ابنه عمران على بلاد السند على أن يدفع خراجا مقداره مليون درهم سنوياً[٢]

وبعد أيام قليلة من ولايته قامت قبائل الزط والميد Meds& Jotsالسندية بالفتن والإضطرابات فى كل البلاد خاصة فى المناطق الغربية لنهر السند، منتهزين فتنا قام بها نظراؤهم فى العراق، وقد تمكن المعتصم من القضاء على حركة هؤلاء ونفاهم إلى أسيا الصغرى وغيرها[٣]

---

(١) انظر : البلازرى : فتوح البلدان ص٦٢٦ .

(٢) انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٥٦ .

تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٥٨ .

ويذكر ابن الأثير ج٦ ص٤٢٠ أن سنة ولايته كانت ٢١٦ هـ ولقبه بالمتكى كما ذكرنا آنفًا ، ويقول «س . م . إكرام» إن الذى عين «عمران» واليًا على السند هو والده موسى بن يحي البرمكى ، وقد أقر الخليفة العباسي ذلك التعيين . وكان ذلك بداية توارث منصب حاكم السند . وعكس ضعف قبضة بغداد على هذه المناطق . انظر تاريخ الحضارة الإسلامية في الهند وباكستان بالانجليزية ص١٥ .

(٣) انظر : البلازرى فتوح البلدان ص٦٢٥ . وابن الأثير حوادث ٢١٩ هـ ج٦ ص٤٤٣ . ٤٤٦ .

أما عمران البرمكى فقد توجه بجيشه إلى منطقة القيقان وقاتل الزط بشدة ونجح فى توفير الأمن والإستقرار بالمنطقة، ونظرا لخطورتهم واشتهارهم بالفساد والنهب، قرر الوالى اقامة مدينة تكون بمثابة مراكز عسكرية، يستطيع الجيش منها مراقبة هؤلاء والقضاء على خطورتهم، فبنى مدينة فى منطقة «بوقان» أسماها «البيضاء»، أسكنها العرب بهدف نشر الإستقرار والأمان[١] .

عاد الوالى إلى العاصمة المنصورة فعلم أن أهل «قندابيل» (كنداوى) قاموا باضطرابات فيها، وهى مدينة حصينة تقع على جبل ويحكمها رجل متغلب من العرب يدعى «محمد بن الخليل» رفض الولاء لحاكم السند، فحاربه البرمكى وفتح المدينة وألقى القبض على قادتها وعين عليها حاكما عسكريا[٢] .

لم يكد الوالى ينتهى من فتنة هؤلاء حتى علم بقيام جماعات الميد باضطرابات وفوضى مماثلة فى منطقتهم، فتوجه إلى مواطن إقامتهم على ضفة نهر السند، وقتل منهم ثلاثة آلاف فى معركة واحدة ثم قطع دابرهم فى منطقتهم المحصنة، وعاد إلى المنصورة العاصمة بعد أن نجح فى فرض الأمن والإستقرار . ولكن لا ليعيش فى اطمئنان بل ليصادف مشكلة أشد خطورة هى مشكلة الصراع بين القبائل العربية نفسها وفى نفس العاصمة[٣] .

لقد فقد زعماء النزارية فى عهد داوود المهلبى الكثير من ممتلكاتهم وأموالهم، ثم جاء عهد موسى البرمكى فعمل النزارية واليمانية على تقوية أوضاع قبائلهم سرا، لأن كليهما كان يتوجس شراً من الآخر، وينتظر لحظ يتفجر فيها الصراع بينهما.

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص٦١١

(٢) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص٦٢٥

(٣) انظر البلاذرى فتوح البلدان ص٦٢٥ ، ٦٢٦

وقدتجددتْ مظاهر النزاع القبلى ببلاد السند فى عهد «عمران البرمكى» رغم أنه كان محايداً . ولكنه مالبث أن مال إلى اليمانية معتقدا أنهم ظلموا هذه المرة وأنهم قلة صبرت، وقد أراد اتباع نفس سياسة داود المهلبى مع النزارية دون أن يضع فى اعتباره أن «داود» جاء بجيش قوى وقواد من بغداد أما هو فمن النزارية ومن سكان المنصورة ومتهم بانه يعمل لصالحهم، وبسبب ميوله مع اليمانية أخذ النزارية يبذلون قصارى جهودهم لإسقاطه، واتحدوا تحت قيادة زعيم إسمه «عمر بن عبد العزيز الهبارى»، سليل أسرة قدمت بلاد السند منذ فترة الحكم بن عوانه الكلبى وسكنت منطقة «باتيه» واكتسب الرجل خبرة بأحوال هذه البلاد، وقد مكنه ذلك كله من القيام بحملة على رأس النزارية ضد عمران البرمكى وقتله٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م واستولى مؤقتا على أزمة الحكم فى العاصمة.

وهكذا بدأت الحرب الأهلية العربية من جديد. وانفرط عقد القبائل العربية. وكالعادة انتهز الزط والميد الفرصة وقاموا باضطرابات وفتن موجهة ضد العرب، كذلك استقل الحكام بكثير من القلاع والمناطق فى السند[١] .

ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى ٢٢٦-٢٣٥هـ = ٨٤٠- ٨٤٩م.

بأمر من والى خراسان وموافقة الخليفة المعتصم تولى عنبسة بن اسحاق الضبى على بلاد خرسان ٢٢٦ هـ ، ولما آل أمر الخلافة العباسية إلى الواثق بالله ٢٢٧ هـ، وافق على بقاء هذا الوالى فى منصبه[٢] .

---

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ص٦٢٦

تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٧٩ .

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى : ج٢ ص٤٧٩

وقد اهتم عنبسة بالقضاء على الخلافات بين اليمانية والنزارية ونجح فى ذلك إلى حدّ كبير، ولكنه لم يعاقب عمر بن عبد العزيز الهبارى على قتله للوالى السابق، مما يشير إلى القوة والنفوذ الذى وصل إليه النزاريون مما جعل الوالى يغض الطرف عما فعله زعيمهم هذا وحتى لا يسبب ثائرتهم، كذلك اهتم بأن يعيد إلى الطاعة الولاة من السند والعرب الذين استقلوا بقلاعهم وأقاليمهم، ونجح فى مهمته، وهكذا عاد الأمن والإستقرار إلى البلاد وقوى الحكم بفضل وحدة الجماعات العربية.

ومن الإصلاحات التى تذكر «للضبى» بناؤه سجنا مركزيًا كبيراً، بعيداً عن المواطن التى ألفت الفوضى والإضطرابات، ليتم فيه التحفظ على المفسدين من المناطق البعيدة؛ لأن المواطنين كانوا يقومون بالهجوم على السجون فى المدن الصغيرة ويطلقون سراح المعتقلين بها.

وقد وقع اختيار «الضبى» على مدينة الديبل وعلى المعبد الكبير الحصين الذى حطم محمد بن القاسم علمه وأبراجه ٩٢ هـ ليكون مقراً لهذا السجن، فقد كان هذا معبداً بوذيًا وأصبح خالياً مهملاً بعد تحول كثير من البوذيين إلى الإسلام، فأمر الوالى بقطع رؤوس الأبراج العالية لهذا الحصن وبنى أسقفًا متينة عليه، واستفاد من الأحجار الفائضة فى ترميم بعض الأماكن المهمة فى الديبل، وكان ذلك ٢٣٢ هـ[١] ، وهكذا تحول المعبد العالى إلى سجن مركزى امتلأت قلوب المفسدين رعبًا منه، وأمنت البلاد واستقرت.

ومما يذكر أنه فى خلافة المأمون العباسى قامت أول دولة عربية فى الهند

---

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ص٦١٤

تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٨٦ .

المباركبورى الهند فى عهد العباسيين ص٥٣

مستقلة عن الخلافة العباسية، لا يربطها بها إلا الدعاء والولاء، وكان اسمها الدولة الماهانية بزعامة الفضل بن ماهان مولى بنى سامه[١] .

لقد تولى **المتوكل على الله** خلافة العباسيين ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ ـ ٨٦١ م.

وعمل على عزل كل ولاة الأقاليم، وعمل والى السند برغبة الخليفة فترك البلاد وتوجه إلى بغداد، وعين المتوكل على بلاد السند.

هارون بن أبى خالد المروزى ٢٣٥ ـ ٢٤٠ هـ ـ ٨٤٩ ـ ٨٥٤م

وصل الوالى الجديد إلى تلك البلاد ولم يسوسها بحكمة كما فعل سلفه وقويت شوكة النزارية فى عهده تحت قيادة زعيمهم عمر بن عبد العزيز الهبارى، وتجددت النزاعات بين هؤلاء المضرية وبين اليمانية ودامت خمسة أعوام إلى أن قتل الوالى ٢٤٠ هـ ـ ٨٥٤ م.

وفى نفس ذلك العام استولى عمر بن عبد العزيز الهبارى على الحكم فى السند وكتب للخليفة يطلب منه التفضل بالموافقة على تعينه، ويتعهد بتنظيم الأمور الداخلية والعناية بالشئون الخارجية، فإن له معرفة واسعة بكل هذه البلاد وخبرة بمشاكلها بحكم نشأته وترعرعه فيها، وأعرب عن إخلاصه وولائه للخلافة، وقد وافق الخليفة على تلك الرغبة[٢] .

ولما أصبح عمر بن عبد العزيز واليًا أخذ فى انتاج سياسة مستقلة، وساعدته الظروف السياسية التى واجهت مركز الخلافة على تبنى ذلك المخطط الإستقلالى ، ولم يكن يربط السند بالخلافة العباسية إلا مجرد الإعتراف من

(١) انظر : الهند فى عهد العباسيين ص ٤٣

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٤٩٠

الناحية الرسمية المذهبية واستمر الحال على ذلك مدة تصل إلى قرن تتابع على الحكم خلاله آل الهبارى.

وفى الوقت الذى استقل فيه «الهبارى» بالمنصورة، قامت دولة فى الملتان بإقليم البنجاب باسم «الدولة العربية» كما سنرى .

الخوارج فى السند

أما عن الخوارج فى بلاد السند فيقال أن العلافيين الذين هاجروا إلى بلاد السند زمن الحجاج ينتمون إلى جماعة الخوارج وإنهم عاونوا منصور ابن جمهور الكلبى الخارجى على الإستقلال بحكم بلاد السند لمدة ست سنوات وإقامة حكومة خارجية مؤقتة بها، وكان كثيرون من زعماء الخوارج يلجأون إلى بلاد السند فرارا من اضطهاد اخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد، وعندما قامت الدولة العباسية قلت من شوكة الخوارج فقد كان حكامها خبراء بمواطنهم وجوانب قوتهم وأساليبهم، ولهذا أمكنهم القضاء عليهم، ومع ذلك فقد تمكن بعض الخوارج من عمان من الوصول إلى بلاد السند لتكوين قوة والدعوة لمذهبهم والعمل ضد العباسيين والتعاون مع خصومهم فى هذه البلاد النائية البعيدة عن نفوذهم.

وفى سنة ١٤٢ هـ = ٧٥٩ م قدم حسان بن مجاهد الهمذانى الخارجى من الرقه إلى بلاد السند بحرا، وجاب أرجاء البلاد علّه يجد مؤيدين وقوى عسكريه تساعده على إقامة دولة ينطلق منها لمحاربة الخلافة العباسية، لكن الوالى العباسى عمر ابن حفص اضطره للعوده إلى الموصل[1] .

وهكذا نرى أن هذه البلاد لم تر نشأة أو إقامة دولة باسم الخوارج تدين

(١) الطبرى ١/٣٧٤ - ٣٧٨

بمذهبهم وتعمل على تحقيق مبادئهم، وكل ماهنالك محاولات قام بها بعض الخارجين على بنى أميه ثم على بنى العباس، استغلالاً لبعد هذه البلاد وكونها نائية عن مركز الخلافة ورغبة منهم فى تكوين الإتباع ونشر المذهب وتكوين القوات والتعاون مع خصوم الحكومة الشرعية فى نشر الفوضى وإشاعة الإضطرابات وعمل كل ما من شأنه إضعاف الخلافة المركزية، ومع ذلك فلم يتمكن هؤلاء من إقامة دولة تحكم باسمهم .

ولكن ما تعرضت له الخلافة العباسية من ضعف فى هذه المنطقة بعد ذلك وانشغالها بالمشاكل الداخلية ساعد على قيام دولتين شبه مستقلتين بإقليمى السند والبنجاب ابتداء من ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م هما الدولة الهبارية والدولة العربية بالملتان كما ذكرنا .

وقد استقرت أمور هاتين الدولتين، بسبب تحسن أحوالهما الإقتصادية وماكان لهما من نشاط تجارى، وازدهرت فيهما العلوم والحضارة، وأوى إليهما الفارون من بطش عاصمة الخلافة[١] . فلنخص كلا منهما بكلمة :

الدولة الهبارية ببلاد السند

٢٤٠ ـ ٤١٦ هـ = ٨٥٤ ـ ١٠٢٥م

تنسب هذه الدولة إلى صحابى جليل دخل فى الإسلام سنة ٨ هـ = ٦٢٩ م واسمه هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد ، من قبيلة أسد القرشيه، وقد قدم واحد من ذرية ذلك الصحابى إلى بلاد السند واسمه المنذر بن زبير مع واليها الحكم بن عوانة الكلبى سنة ١١٢ هـ = ٧٣٠م، واستقر فى هذه البلاد وعين حاكمًا على مدينة «باتية»[1] . حيث تركز نفوذ أسرته، كما شغل أفراد تلك الأسرة مناصب حكومية مهمة سواء على عهد الأمويين أو على عهد العباسيين[2] ، ثم استقلوا بحكمها ابتداء من ٢٤٠ هـ كما سبق القول، وعلى النحو التالى:

عمر عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن بن هباز ٢٤٠ ـ ٢٧٠ هـ = ٨٥٤ ـ ٨٨٣ م

كان إقليم السند تابعًا للخلافة العباسية إسميًا خلال هذه الفترة وقامت بينهما العلاقات التجارية والسياسية والثقافية، والدليل على ذلك أن الخليفة المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩ = ٨٦٩ ـ ٨٩٢ م) عين يعقوب بن الليث الصفارى حاكمًا عامًا على تركستان وسجستان وكرمان، وكانت بلاد السند تخضع لإشرافة رغم

---

(١) تقع مدينة «باتيه» جنوب المنصورة عاصمة السند ، وتنسب الدولة الهبارية إلى هبار بن الأسود، وليست من أسرة «سامة بن لؤى» كما جاء عند اليعقوبى ذلك أن الأسرة المذكورة أخيرًا حكمت الملتان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين . انظر : المسعودى : مروج الذهب ج١ ص١١٤ الطرزى : موسوعة التاريخ ج١ ص٢٩٦ ، ٢٧٩ .

(٢) انظر : تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٣٢٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص٦٢٦ . المسعودى، مروج الذهب ج١ ص١٨٩

سلطة الهبارى ونفوذه الواسع وهذا يعنى اعترافه بالخلافة العباسية ولو من الناحية الشكلية ورضاه بمن عينته مشرفًا أو حاكمًا عامًا. كذلك عين الخليفة المعتمد أخاه الموافق ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م حاكمًا عامًا على الولايات الشرقية وكانت بلاد السند تدخل فى نطاق إشرافه، كما كانت خطبة الجمعة فى بلاد السند باسم الخليفة العباسى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى وذلك مظهر من مظاهر التبعية للخلافة(١) .

ورغم وجود بعض الإضطرابات فى المناطق الشرقية، فقد أحسن ذلك الوالى سياسة ذلك الإقليم، ونشر فيه الأمن والرخاء وتوحدت البلاد فى ظل حكمه، ودخل بعض ملوك الهند فى الإسلام زمن ولايته وقدم هدايا قيمة للخليفة العباسى، كما قدم ياقوتا نادرًا علق على أستار الكعبة(٢) واستمر ذلك الوالى يقود البلاد بحزم وحكمة إلى أن توفى ٢٧٠هـ، وتولى بعده حسب نظام الوراثة ابــنه.

عبد الله بن عمر الهبارى (٢٧٠ - ٣٠١هـ)

وافقت الخلافة على انتقال الحكم إلى عبد الله بعد وفاة والده، وقد ورث عن والده حكمًا مستقرًا، قائمًا على أسس وقواعد متينة، مستندًا إلى تأييد شعبى صنعته سنوات طويلة من حكم ناجح، ولذلك لم تنجح محاولة قام بها «الصمة بن أبى الصمة» لانتزاع الحكم من عبد الله بن عمر، فقد انتهز فرصة غياب الوالى عن المنصورة وتوجه إلى «باتيه» وحاول أن يقوم بانقلاب ضده فجهز عبد الله جيشًا كبيرًا وزحف به على المنصورة وهزم الصمة - وهو مولى لكنده - واسترد مركز حكمه(٣) .

---

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون ج٣ ص٣٤٣ . المباركبورى : الهند فى عهد العباسيين ص٥٥ .

(٢) أعلام بيت الله الحرام : ص٤٢ .

(٣) البلازرى : فتوح البلدان ص٦٢٤

وفى سنة ٢٧٠هـ = ٨٨٣م كتب ملك سندى اسمه «مهروك بن رانك» يطلب من عبد الله بن عمر الهبارى أن يشرح له تعاليم الإسلام باللغة السندية، فأرسل إليه رجلاً من أهل العلم شاعراً مكث عنده ثلاث سنوات يوضح أسس وقيم الإسلام ويترجم له معانى القرآن الكريم باللغة السندية، وكان من ثمار ذلك أن هدى الله ذلك الملك إلى الإسلام. وظهرت أول ترجمة وأول تفسير للقرآن العظيم فى بلاد السند[1]

وفى عهد ذلك الوالى تعرضت مدينة الديبل، وهى حلقة الوصل بين بلاد السند وبلاد العرب، لخسوف شمسى استمر حتى منتصف الليل، ثم حدث زلزال مفاجىء، هز المدينة وقلب عاليها سافلها ولم يسلم من بيوتها إلا القليل، وفقدت المئات، وأصيب منها الآلاف، وضاعت مكانتها الإستراتيجية والتجارية.

وعلم الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ) بما جرى لتلك المدينة، فأمر بمساعدة سكانها بكل مايمكن من وسائل[2] .

وقد استمر عبد الله بن عمر بحكم البلاد بحكمة وكياسة، وبحرص على الأمن والرخاء وتبليغ كلمة الله إلى أن توفى ٣٠١ هـ بعد نحو ثلاثين سنة من الإدارة الناجحة الموفقة.

---

(١) بزرك بن شهريار : عجائب الهند ص٣ ، وقد اعتبره البعض «ملك الور» (انظر : تاريخ السند ص٣٥٧) نقلاً عن : الطرزى : موسوعة التاريخ .. ج١ ص٢٩٩ .

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٢٨٠ هـ ص٤٦٥ .

السيوطى تاريخ الخلفاء ص٣٨٠ .

ولاية ابو المنذر عمر بن عبد الله بن عمر الهبارى ٣٠٢ـ ٣٣٠ هـ = ٩١٤ ـ ٩٤١ م

وفى عـهـد ولاية عـمـر هذه، بدأنا نسمع عن منصب الوزارة وعن أسـمـاء وزراء لأول مـرة فى بلاد السند مـثل الوزير رباح ووجـدنا أن حـاكم المنصـورة أصبح يلقب بالسطان بعد نحو نصف قرن من قيام الدولة الهبـارية، ذكر ذلك المؤرخ المسعودى وتحدث عن بعض من لقيهم من ذرية عمر بن عبد الله وابنيه محمد وعلى وعبد الملك وحمزة وبعض ذرية على بن أبى طالب وآل أبى الشوارب عندما زار المنصورة ٣٠٢ هـ = ٩١٥ م[١]

وقد أتاحت الفرصـة الكبـيـرة التى حكم خـلالها عـمـر أن يقـوم ببـعض الإصـلاحات المفيدة، فوسع مـدينة المنصورة واهتم بضـواحيـها فـأصبح مـا للمنصـورة من البـقـاع والقرى ثلاثمـائة ألف قرية ذات زروع وأشـجـار وعمـائر متصلة.

كما أعاد فتح بعض المدن حولها مثل مدينة «ألور» التى كان يحكمها زمن والده حاكم سندى يخضع لوالى المنصورة، وكانت البلاد مستقرة فى أيامه، ولا يذكر التاريخ شيئًا عن زمن وفاته[٢] ، ويغلب على الظن أن ابنه الأكبر «محمد» تولى من بعده، ثم تبعه أخوه «على» الذى أشار إليه ابن حوقل عندما زار السند ٣٤٠ هـ = ٩٥١م، وكان الأسرة الهبارية لا تزال تسيطر على مقاليد الحكم فى المنصورة[٣] .

---

(١) انظر : المسعودى مروج الذهب ج١ ص١٨٩ .

(راجع نزهة الخواطر ج٢ ص٦٧ - الطرزى ص ٣٠٠) .

(٢) انظر : المسعودى : مروج الذهب ج١ ص١٩٠

(٣) انظر : ابن حوقل : المسالك والممالك - مادة المنصورة

S .M . Ikram : History of muslim civilisation ... p. 16 .

وإن ظهرت في مكران دولة مستقلة تسمى الدولة المعدانية تحت قيادة «عيسى بن معدان» الملقب بالمهراج» ٣٤٠ هـ وتوارث أبناؤه الحكم إلى أن كانت سيادة الغزنويين(١) .

وفى ٣٧٥هـ = ٩٨٥م زار المقدسى البشارى بلاد السند، ويفهم من عبارته أن المنصورة كانت لا تزال تحت حكم أسرة الهبارى وأن الخطبة فيها كانت باسم الخليفة العباسى عضد الدولة وأن أهلها كانوا سنيين ويتبعون فى الفروع مذهب أبى حنيفة النعمان، وأن بدأ مذهب داود الظاهرى ينتشر عند بعض العلماء فى المنصورة(٢) .

الشيعة فى المنصورة بالسند

٤٠٢ ـ ٤١٦ هـ = ١٠١١ ـ ١٠٢٥م

أرسل عبيد الله المهدى الشيعى أول داع إلى بلاد السند ٢٧٠ ـ ٨٨٣م فى عهد عبد الله بن عمر الهبارى وكان اسمه الهيثم رسول عبد الله المهدى وقد بدأ الداعية يجرى اتصالات بالعلماء وأكابر البلاد، ويبشر بالمذهب الشيعى مستغلا بعد المسافة بين هذه البلاد وبين مركز الخلافة العباسية، ولكن جهوده لم تثمر

---

(١) انظر : البيرونى : تحقيق ..... ص ٥٧٤، تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ٤٧٣.

شلبى : موسوعة التاريخ ج٨ ص ٢٧١، ٢٧٢ .

المباركبورى : الهند فى عهدا لعباسيين ص ٦٢

(٢) انظر : المقدسى البشارى: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى . كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، جاء فيه :

« لا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة - رحمه الله- وليس به (الإقليم) مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة . إنه على طريقة مستقيمة ومذاهب محمودة . ورأيت القاضى أبا محمد المنصورى داوديًا إمامًا في مذهبه وله تدريس وتصانيف قد صنف كتبًا عدة حسنة ، انظر ص٤٨١، ٤٨٥ . طبعة ليدن سنة ١٩٠٩ . وانظر إكرام المرجع السابق بالانجليزية ص١٦ .

فآثر الإنتقال إلى الملتان فى إقليم البنجاب، ويبدو أن الداعية الأول حقق نجاحا فى هذه المنطقة فتتابع الدعاة عليها، وقاموا بمهمتهم فى نشاط ودأب ساعد على إقامة دولة باسمهم فى الملتان بعد نحو قرن من الزمان وكان يقودهم داعية قدير اسمه جلم بن شيبان، ومالبث أن التف حوله القرامطة القادمين من البحرين وبلاد فارس، وأقاموا أول دولة اسماعيلية بشبه القارة الهندية، بقيت ردحا من الزمان حتى تمكن الغزنوين من القضاء عليهم(١) .

ومن الخطوات التى اتخذها العباسيون لمواجهة الشيعة فى المنصورة إرسال عالم كبير وهو محمد بن أبى الشوارب وتعيينه قاضياً على بلاد السند، بهدف مواجهة القيادات السياسية والفكرية الغريبة على هذه البلاد، ورغم موت ذلك القاضى بعد أشهر معدودات(٢) . إلاّ أنّه أسرته ظلت تتوارث منصب القضاء، وحين زار المسعودى المنصورة ٣٠٢ هـ = ٩١٥م كان قاضى العاصمة واحداً من هذه الأسرة(٣) .

وقد كتب ابن الأثير عن الحالة فى بلاد السند ٤١٦ هـ = ١٠٢٥م، وذكر أن سكان العاصمة قد اعتنقوا المذهب الشيعى منذ سنوات قليلة، ولا ندرى متى استولى الشيعة على الحكم فى المنصورة؟

وعلى كل حال فليس للشيعة وجود فيما يبدو بين ٣٧٥هـ = ١٩٨٥م التى زار فيها المقدسى السند وبين ٤٠١هـ = ١٠٦٠م التى طرد فيها محمد الغزنوى

---

(١) انظر : تاريخ السند ص٢٠١ نقلاً عن الطرزى : موسوعة التاريخ ج١ ص٣٠٢ . وكذلك الساداتى : تاريخ المسلمين . ص٥٧ ، ٥٨ .

(٢) انظر : تاريخ ابن الأثير ، حوادث سنة ٤١٦ هـ ج٨ ص٣٥٠ .

(٣) انظر : مروج الذهب : ج١ ص١٨٩ .

(٤) انظر : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزى كتاب زين الأخبار ، مجلدان ، عربه من الفارسية محمد بن تاويت ، نشر فاس بالمغرب سنة ١٩٧٢ ، انظر ج٢ ص٧٩

حكام الشيعة من الملتان[٤] ولو كان لهم وجود فى المنصورة، لوجه إليهم الغزنوى قوات قضت عليهم.

والغالب على الظن أن الشيعة الذين هربوا من الملتان، جمعوا صفوفهم وذهبوا متحدين إلى المنصورة واستولوا عليها نحو ٤٠٢هـ منتهزين فرصة ضعف أسرة الهبارى آنئذ[١] .

محمود الغزنوى يستولى على السند

فى ٤١٦ هـ = ١٠٢٥م قام السلطان محمود الغزنوى بحملة على المنصورة للقضاء على سلطة الشيعة فيها، وذلك بعد نجاحه فى فتح سومنات Somnath من بلاد الهند ، ففى طريقه عائداً الى غزنة، توجه نحو المنصورة عاصمة السند ونحو الملتان[٢] .

ورغم أن قبائل الزط Jats والميد Meds قتلت عدداً من جنود السلطان ونهبت امتعته إلا أنه استطاع أن يصل إلى المنصورة، وعلم حاكم البلاد بقدومه، فهرب واختبأ مع اتباعه فى غياض واسعة بالمنطقة، فحاصرهم جيش السلطان، وحمل عليهم من الناحيتين وقتل عدداً كبيراً منهم، وفرّ آخرون فغرقوا فى النهر[٣] وبذلك انتقل الحكم إلى الغزنويين السنيين فى كل من السند والملتان ابتداء من أوائل القرن الخامس الهجرى، وأصبحت لهم السيادة ابتداء من غزنة وحتى دلهى.

---

(١) انظر : الطرزى موسوعة التاريخ ..ج١ ص٣٠٢ .

(٢) انظر : أبو سعيد الكرديزى : كتاب زين الأخبار ج٢ ص٩٦ ، أما «سومنات» فتقع شمالى دلهى ، وبينهما ٧٠ ميلاً ، انظر : المرجع السابق هامش ٤ ص٩٦ .

(٣) انظر : تاريخ ابن الأثير حوادث ٤١٦ هـ ج٩ ، ص٣٤٥ ، ٣٤٦ .

تاريخ فرشته ج١ ص٣٥ ، نقلاً عن الطرزى : موسوعة التاريخ ج١ ص٣٠٤ . وكذلك :

S .M . Ikram : History of muslim civilisation ... p. 16 .

الدولة العربية فى الملتان بإقليم البنجاب

٩٤ ـ ٤٠١ هـ = ٧١٢ ـ ١٠١٠ م

فتح محمد بن القاسم بلاد الملتان ٩٤ هـ أثناء حملته بشبه القارة الهندية، وكان أول حاكم مسلم تولى على هذه البلاد بعد فتحها هو داود بن وليد العمانى، ويبدو أن هذا الحاكم قد استقل بالملتان بعد الإضطرابات التى أعقبت عزل محمد بن القاسم، ولم يعد هناك اتصال مباشر بين هذا الحاكم وبين حكام إقليم السند، وإن بقى يخطب باسم الخليفة الأموى ثم العباسى ويظهر ولاءه لهما(١)

وفى ١٥١ هـ = ٧٦٨م زمن الخليفة المنصور، كان والى السند هو هشام بن عمرو التغلبى، وقد أشار عليه البعض بأن يعمل على توحيد البنجاب مع السند، لأن ذلك ييسر عليه فتح أقاليم جديدة ببلاد الهند، فقام هشام بحملة على الملتان وفتحها، ثم تصالح مع أميرها العربى، وعاد إلى «قندهار» ليقضى على اضطرابات قامت بها ومنها عاد إلى المنصورة دون أن يكمل فكرة فتح مناطق جديدة فى بلاد الهند(٢) ويبدو أن الأحوال كانت مستقرة ولم يجر فى هذه البلاد مايلفت النظر، فقد سكت المؤرخون عن رواية مايحدث بها لمدة ثلاثين سنة.

وفى سنة ١٨١ هـ = ٨٩٧م اشتدت حدة القتال بين القبائل العربية، وخشى والى السند من الحجازيين الذين انحاز ضدهم، فهرب إلى الملتان ولما أوصد أهلها الباب فى وجهه، أراد دخول المدينة بالقوة فجرى قتال انهزم فيه

---

(١) انظر : الطبرى : موسوعة التاريخ .. ج١ ص٢٠٥

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ج٥ ص٣٧٣

والى السند وفرّ تاركًا وراءه سلاحه ومتاعه[١] ، ومرة أخرى يصمت التاريخ عن أخبار الملتان مدة تسعين عامًا إلى أن يخبرنا ابن رسته عن قيام دولة بنى سامه بن لؤى أو الدولة السامية بزعامة محمد بن القاسم السامى بالملتان عندما زار بلاد السند والهند ٢٩٠هـ [٢] .

ثم بدأ يزور الملتان مؤرخون وجغرافيون، ويكتبون معلومات عن الأحوال السياسية والمذهبية والإجتماعية والإقتصادية بتلك البلاد فيقول ابن رسته أن حكام الملتان هم بنو سامة بن لؤى أو بنو منبه من قريش وأنهم من أهل السنة وولاؤهم للخليفة العباسى[٣] وهكذا يتضح أن بنى سامة هم أنفسهم بنو منبه وأن هذين اسمان لأسرة واحدة ويبدو ذلك جليًا مما يلى.

زار المؤرخ السعودى الملتان ٣٠٢هـ = ٩١٥م وكتب عن أخبارها وذكر أن حاكمها العربى من ولد «سامة بن لؤى بن غالب» ويسمى «أبو اللباب منبه بن أسد القرشى»[٤] ، ويظهر من عبارة المسعودى أن أول حاكم لهذه المنطقة كان اسمه منبه وأنه من أسرة «سامة»، وقد نسب بعض المؤرخين تلك الأسرة إلى «منبه» كما نسبها آخرون إلى الأسرة التى ينتمى الحاكم إليها.

كذلك زار الجغرافى الاصطخرى» الملتان أيضا سنة ٣٤٠ وذكر أن حاكمها

---

(١) انظر : نفسه ج٢ ص٤٠٩

(٢) انظر : ابن رسته : أبو على أحمد بن عمر الأعلاق النفيسة : ص١٣٥ ، طبع ليدن ١٨٩١ م
وانظر كذلك :

شلبى : موسوعة التاريخ .. ج٨ ص٢٧٠ .

المباركبورى : الهند فى عهد العباسيين ص٥٨ - ٦٠ .

(٣) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص١٣٦

(٤) انظر : مروج الذهب ج١ ص١١٤ ، ١٨٩ .

رجل قرشي من ولد سامه بن لؤى، وأوضح أنه تغلب عليها ولا يخضع لوالى المنصورة وأنه يدعو للخليفة العباسى فى خطبة الجمعة(١) . فالحاكم إذن هو منبه بن أسد بن لؤى القرشى.

ونفس الشىء نجده عند «ابن حوقل» الذى قدم لزيارة الملتان ٣٦٧ هـ = ٩٧٧م وذكر أن حكامها هو بنو منبه وأنهم على مذهب أهل السنة وأنه سمع الناس فى السند يتحدثون العربية والسندية، ولاحظ صداقة حميمة وسماحة بين السكان المسلمين والهندوس(٢)

ويخبرنا المقدسى بتطور حدث فى بلاد السندحين زارها سنة ٣٧٥هـ، فقد سافر منها إلى الملتان، وذكر أن حكام الملتان قد أصبحوا من الشيعة آنئذ يقول : «وأهل الملتان شيعة يهوعلون ويثنون فى الإقامة»(٣) .

حكومة الشيعة فى الملتان ٣٧٥ ـ ٤٠١هـ = ٩٨٥ ـ ١٠١٠م

ليس معروفًا على وجه التحديد الزمن التاريخى الذى استولى فيه الشيعة على مقاليد الحكم فى الملتان ويمكن أن نقول بصفة عامة أن زعماء الشيعة أدركوا أن الثورات العلنية لن تحقق هدفهم فى حكم الدولة الإسلامية، فلجأوا إلى التقية والتستر والمبالغة فى التمويه والإعتماد على حجة يعهد إليه بأمر

---

(١) انظر : الاصطخرى المسالك والممالك ص١٠٤

K. S. Lal , early musulims in India, p. 27 .

(٢) انظر : ابن حوقل: باب السند

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة الملتان .

(٣) انظر : المقدسى البشارى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٤٨١

شلبى موسوعة التاريخ الإسلامى ج٨ ص٢٧١

تنظيم الدعوة، ونشر الدعاة فى سائر أجزاء الأرض، وقد اتخذ الإمام الحجج وأمرهم أن يتسموا باسم الإمام، «فمن أخذ العهد على مستجيب سمى له أحد أولئك الحجب والحجج حتى يمضى الوهم إليه سترا على صاحب الأمر، وكان الدعاة فى البلاد المختلفة لا يتفقون على اسم الإمام حتى لا ينكشف أمره.

ورغم ذلك فقد ظهر أمر هؤلاء الدعاة فى عهد الخليفة المأمون العباسى، وكان أمامهم الذى يدعون إليه هو «عبيد الله بن محمد بن اسماعيل»، وقد فتك العباسيون بأسرته، واضطر هو للهرب إلى «سلمية» من أعمال حمص بالشام ولم يبح لأحد بأسرار دعوته.

ومنذ ذلك الحين - ويرجع أنه ٢٠٦ = ٨٢١ م وسلمية هى مركز الدعوة الشيعية ومنها يرسل الدعاة إلى البلدان المختلفة ويحرصون على إخفاء اسم الإمام الذين ينشرون الدعوة باسمه[١] .

ومعروف أن هؤلاء الدعاة نجحوا فى مهمتهم، وتوجت جهودهم بقيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ٢٩٦ = ١٩٠٨م ثم انتقلت هذه الدولة إلى مصر وأسست مدينة القاهرة واتخذتها عاصمة لها ٣٥٨هـ = ٩٦٨م. فى عهد المعز لدين الله الفاطمى.

وفى عهد ذلك الخليفة كان قاضيه النعمان بن محمد الفاطمى يتولى منصب داعى الدعاة ويشرف على إرسال الدعاة الى البلدان المختلفة ومن بينها بلاد السند والملتان، وقد ذكر فى كتابه «افتتاح الدعوة أن الداعى الكبير أبا

---

(١) انظر : عبد الله محمد جمال الدين : الجيش فى الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير قدمت إلي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ ص٢٢ ، ٢٣ ، من المخطوطة ثم نشرت بعد ذلك بعنوان الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر مع عناية خاصة بالجيش ، القاهرة ١٩٩٠.

القاسم بن حو شب المعروف باسم منصور اليمنى، قد أرسل ابن عمه المسمى «هيثم» داعية إلى الملتان، وأنه قد نجح فى جذب كثير من سكانها إلى المذاهب الشيعى[١]

وفى نحو ٣٥٢هـ = ٩٦٤م أرسل الخليفة الفاطمى داعية إلى الملتان اسمه «جلم بن شيبان» أخذ يتردد بين مصر والملتان لمدة ١٨ سنة يدعو للمذهب الشيعى، وفى ٣٧٥ أمر العزيز بالله الخليفة الفاطمى الثانى بمصر (٣٧٥ - ٣٨٦هـ) بتجهيز جيش كبير وإرساله إلى الملتان للإستيلاء عليها بالقوة، وقد اتجه ذلك الجيش بقيادة جلم بن شيبان إلى ذلك الإقليم عن طريق خراسان التى كان بها شيعة كثيرون، وفى الوقت الذى وصل فيه هؤلاء الجنود إلى الملتان، قام الشيعة باضطرابات من داخلها، وساعدت الأوضاع الداخلية والهجوم الخارجى على سقوط الدولة العربية بها[٢] .

بعد ذلك تولى «جلم بن شيبان» حكم الملتان باسم الدولة الشيعية بمصر، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمى، ودعا له فى خطبة الجمعة اعتبارا من ٣٧٥هـ = ٩٨٥م، وأمر بكسر صنم المعبد الذى كان موجودا فى الملتان، وابقاه محمد بن القاسم عند فتحه لهذه المنطقة سنة ٩٤ هـ = ٧١٢م بعد أن علق لحم بقر فى عنقه استخفافاً به، وقد بنى جليم بن شيبان مكان المعبد مسجدا جامعا وقتل سدنته....، وأغلق المسجد الذى بناه ابن القاسم لأنه كان رمزاً للأمويين[٣] وأصبحت الملتان مركزاً ثقافياً وموطناً يقصده الشعراء ورجال

---

(١) انظر : القاضى النعمان بن محمد الفاطمى:افتتاح الدعوة وقد ألفه سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) انظر : طبقات ناصرى ص٨ وتاريخ السند لأبى ظفر ندوى ص٢٥٦ نقلاً عن الطرزى موسوعة التاريخ .. ج١ ص٣١٠ .

(٣) انظر : البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد) تحقيق ما الهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ص٨٨ طبعة حيدر أباد ، الدكن بالهند سنة ١٩٥٨ م . وكذلك :

S .M . Ikram . History of muslim civilisation . . p. 16 .

العلم والفكر وأصبحت البلاد منطقة جذب للتجار والكتاب والدعاة(١) .

وقد عمل الوالى على تنظيم أمور الملتان إداريا وسياسيا ونظم الدعوة للمذهب الشيعى، وحرص على إقامة علاقات ومعاهدات صداقة بينه وبين الحكام الهنود، فقد كان يشعر بالعزلة وسط بلاد إسلامية تابعة للخلافة العباسية، ولم يكن من السهل أن ينجده الخليفة الفاطمى من القاهرة إذا ما تعرض لهجمات عليه، نظرا لبعد المسافة بين مصر وبين الملتان.

ولا يُعرف متى انتهى حكم «ابن شيبان» للملتان، ولكنه كان لا يزال حيًا ٣٨١هـ = ٩٩١م وعلى كل حال، فقد تولى الحكم من بعده الشيخ حميد الذى عقد صلحًا مع السلطان سبكتكين، سلطان غزنة ٣٨١هـ = ٩٩١م (٢)

ذلك أنه كان بحكم المعاهدات بين حاكم الملتان الشيعى وبين أمراء الولايات الهندية ، قام حاكم الملتان سراً بمساعدة أمير « لاهور » فى حرب نشبت بينه وبين الغزنويين، وعلم السلطان سبكتين بذلك فقرر التوجه إلى الملتان ومحاربة أميرها ٣٨١هـ = ٩٩١م.. وعلم بذلك الشيخ حميد وخشى العواقب، فعقد صلحا مع السلطان.

ولا نعرف شيئًا عن «حميد» هذا أكثر من اسمه، ولا يذكر التاريخ شيئًا عن صلته بالحاكم السابق ولا عن منزلته فى الدعوة الشيعية ولا عن مدة ولايته، فقط نعرف أن المعاهدة بين حميد الشيعى وبين السلطان سبكتيكين ظلت سارية

---

(١) Ishtiaq Husain qureshi: ... the muslim community.. p 40 - 42.

(٢) انظر تاريخ فرشته ج١ ص٢٠ نقلاً عن الطرزى : موسوعة التاريخ .. ج١ ص٢١١ .

المفعول حتى وفاة ذلك السلطان ٣٨٧هـ = ٩٩٧م وأن الذى تولى الحكم من بعد الوالى حميد حفيده أبو الفتوح داود بن نصر بن حميد ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م.

وقد تولى حكم الغزنويين بعد وفاة السلطان سبكتكين ابنه السلطان محمود الغزنوى، وبعد أن فرغ من مشاكل خراسان، بدأ حملته على بلاد الهند ٣٩٢هـ = ١٠٠١م وفتح منطقة تجاور قندهار كانت تابعة لأمير لاهور(١) . وفى ٣٩٥هـ بدأ أبو الفتوح داود بن نصر الوالى الشيعى على الملتان يسىء إلى معاهدة الصلح بينه وبين الغزنويين(٢) .

فقد كانت هناك قلعة حصينة فى منطقة بهاتيه المتصلة بإقليم الملتان، وكانت هذه القلعة تابعة للاهور، ووقع خلاف بين حاكم تلك القلعة وبين السلطان محمود الغزنوى جعل السلطان يتوجه إليه بجيشه عبر الملتان، وحارب حاكم القلعة وهزمه، فانتحر الرجل نتيجة لذلك، وأخذ السلطان محمود الغزنوى على والى الملتان الشيعى، مساعدته سراً لحاكم تلك القلعة بزعم مابينهما من معاهدات صداقة ومناصرة عسكرية، وكتم ذلك فى نفسه إلى حين(٣) .

وفى ٣٩٦هـ = ١٠٠٥م جهز السلطان محمود جيشاً كبيراً بهدف التوجه إلى الملتان والقضاء على دولة الشيعة التى باتت تمثل خطراً على الوجود الغزنوى، وبعد حصار للمدينة استمر سبعة أيام تم عقد صلح بين الطرفين،

---

(١) انظر : أبو سعيد عبد الحى الكرديزى : زين الأخبار ج٢ ص٧٤ ، ٧٥ .

(٢) تاريخ فرشته ج١ ص٢٤ بالفارسية ، محمد حبيب ص٢٥ ، أما الوالى داودبن نصر فيكنى «أبو الفتوح» فى المصادر العربية و «أبو الفتح» فى المراجع الفارسية ، انظر :

الطرزى : موسوعة التاريخ ج١ ص٣١٢

(٣) تاريخ فرشته بالفارسية ج١ ص٢٤

سبر: محمد جعفر : الهند فى القرون الوسطى تحت حكم الملوك المسلمين ج٢ ص٥٦

يدفع حاكم الملتان بمقتضاه جزية للسلطان مقدارها ٢٠٠ ألف درهم سنوياً، كما تم الإتفاق على أن تكون المنطقة المتصلة بنهر السند عند الملتان تابعة للغزنويين، وبذلك أصبح من اليسير على السلطان محمود أن يقوم بحملة مباشرة على الملتان من هذه الناحية إذا اقتضى الموقف ذلك، وعاد السلطان بعد ذلك إلى غزنة[1] .

حدث بعد ذلك أن تعرضت بلاد خراسان لحملة معادية ودخل السلطان محمود فى حرب ضد أعدائه فى هذه المنطقة، فانتهز حاكم الملتان الشيعى الفرصة وألغى المعاهدة وأعلن استقلال بلاده ورفض دفع الجزية المتفق عليها.

لما انتهى السلطان من اعدائه فى خراسان توجه نحو الملتان وقام بحملة شديدة قتل فيها وأسر كثيراً من الشيعة، وكان الوالى داود نفسه بين الأسرى، فأخذه السلطان مقيداً وألقى به فى سجن «غزنة أو قلعة عورك حتى مات[2] ، وأصبحت الملتان جزءاً من الدولة الغزنوية وسقطت الدولة الشيعية بها وعين فيها السلطان حاكماً سنياً ٤٠١هـ = ١٠١٠م.

---

(١) تاريخ فرشته : ج١ ص٢٥ ، وأبو الفضل علامى ، طبقات أكبرى بالفارسية ج١ ص٧٠
سيد محمد جعفر : المرجع السابق ج٢ ص٥٧
نقلاً عن الطرزى : موسوعة التاريخ .. ج١ ص٣١٣ ، ٣١٤ ، وغ... مما من مصادر وانظر أيضاً .
أبو سعيد عبد الحى الكرديزى : كتاب زين الأخيار ج٢ ص٧٦

(٢) الكرديزى : المرجع السابق ج٢ ص٧٩ ، ويقول :
« إن السلطان استولى على الملتان بتمامه ، وقبض على كثير من القرامطة الذين كانوا هناك ، فقتل بعضهم وقطع أيدى بعضهم ونكل بهم ، وحبس بعضهم بالقلعة حتى ماتوا كلهم بتلك الجهات، وفى هذه السنة (٤٠١ هـ) قبض على داود بن نصر وأتى به إلى غزنين ، ومن هناك وجه به إلي قلعة غورك (فى تاريخ البيهقى «بوزغورك») حتى مات بتلك القلعة .

وقد قدمنا أن الشيعة الذين فروا من الملتان، أمكنهم التوجه إلى المنصورة عاصمة السند، واستولوا على الحكم بها، وظلوا يحكمونها من ٤٠٢ حتى ٤١٦هـ، = ١٠١١ ـ ١٠٢٥م، ففى السنة الأخيرة توجه الغزنويون بقواتهم إلى المنصورة واستولوا على مقاليد الأمور وبذلك عادت بلاد السند والملتان بالبنجاب إلى الحكم السني مرة أخرى تحت قيادة السلطان محمود الغزنوى والدولة الغزنوية، وتلك حقبة أخرى من التاريخ، تمثل مرحلة ثانية من التاريخ الإسلامى لشبه القارة الهندية، لقد انتهت المرحلة الأولى بإتمام فتح السند وشمال غربى البنجاب ٩٦هـ - ٧١٤م، وقد بقى الحال على ذلك على امتداد نحو ثلاثة قرون، حيث لم تكن هناك توسعات أكثر للسيادة الإسلامية، إلى أن كانت المرحلة الثانية التى بدأت بإقامة الدولة الإسلامية التركية فى «غزنة»، والتى سلكت الطرق الجنوبية الغربية التقليدية لفتح شبه القارة الهندوباكستانية[1]، وذلك حديث آخر.

---

(١) انظر :
S.M. Ikram : History of muslim civilisation in India Pakistan ... p. 27.

ثانياً :

التاريخ الحضارى والثقافى

تمهيد يتناول
مفهوم الحضارة والثقافة

* * *

تمهيد

مفهوم الحضارة والثقافة

الحضارة هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان ذلك الجهد مقصودًا أو غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية[١] .

أو هى «كل ما ينشئه الإنسان في كل مايتصل بمختلف جوانب حياته عقلاً وروحًا ودينًا ومادة، أو كل ما أنجزه الإنسان على اختلاف العصور وتقلب الأحوال»[٢] .

ويمكن أن نقول أنها كل جهد يبذله الإنسان لتحسين أحواله المعيشية فى دنياه ماديًا ومعنويًا .

---

(١) أنظر . حسين مؤنس (الأستاذ الدكتور) : الحضارة ص١٢ وهو العدد الأول من سلسلة «عالم المعرفة» التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت، يناير ١٩٧٨م.

(٢) انظر : حكمت عبد الكريم فرحات (الدكتور) وإبراهيم ياسين الخطيب: مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ص ١٥، عمان : الأردن ١٩٨٩، نقلاً عن : نور الدين حاطوم: تاريخ الحضارة ص ٦

ورأى بعض العلماء توحيد مدلول الحضارة والثقافة، بينما مال آخرون إلى التفريق بينهما معرفين الثقافة بأنها كل استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد لدى الفرد أو المجتمع ولكل جيل ثقافته التى استمدها من ماضيه، وأضاف إليها فى حاضره، وهى أشمل من الدين لأن الأخير يمثل عنصراً جوهرياً من عناصرها الضرورية.[١]

وقد يتسع مدلول الثقافة فيشمل المأثورات الشعبية المتوارثة وطرق الصناعة اليدوية التى تقوم على التقاليد، كما تشمل الأغانى الشعبية وما تستخدمه أمة ما من آلات وما تتغنى به من أغنيات شعبية وما تتبناه من فولكلور وما تعزفه من موسيقى ومايجرى فيها من الأمثال نثراً وشعراً.

والإستعمال العربى للثقافة – فى تطوره الحديث – يدل على أنها تعنى مجموع المعلومات والممارسات والقيم الخاصة التى تميز شعباً ما عن غيره من لشعوب، والأداة الأساسية لنقل هذه الثقافة هى الأسرة، وكذلك اللغة باعتبارها وسيلة لنقل التفكير والشعور والإنفعالات التى تميز شعباً عن شعب آخر يتكلم لغة أخرى.

وهذا كله يعنى أن لنا ثقافة تخصنا، وحضارة نشترك فيها مع غيرنا،

---

(١) انظر : توفيق الطويل (الأستاذ الدكتور) : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، دراسة مقارنة، ص ٦ ـ ٨، القاهرة ١٩٩٠.

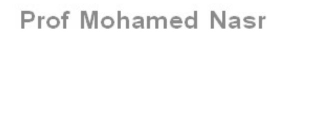
وتدخل العلوم فى نطاق الحضارة باعتبار أن العلوم ذات صبغة عالمية، أما الفنون فمنها المحلى والشخصى والإنسانى، ويعبر الأدب عن فكرة أو شخصية معينة ومثله التصوير والموسيقى ولهذا فإنها تدخل جميعًا فى نطاق الثقافة، وهناك من الفنون ما يندرج فى نطاق الحضارة مثل تخطيط المدن والهندسة المعمارية وهندسة الديكور... الخ[1] .

بعد هذه المقدمة التمهيدية ندخل فى الحديث عن الجوانب الحضارية والثقافية للدولة الإسلامية والعلاقات بينها وبين القارة الهندية خلال الفترة التى نعرض لها .

---

(١) أنظر : حسين مؤنس : الحضارة من ص ٣٦١ إلى ص ٢٩٢، خاصة صفحات : ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٩.

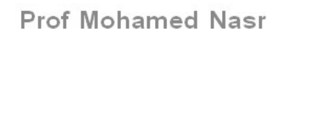
ت. س. اليوت: ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ترجمة شكرى محمد عياد (الأستاذ الدكتور) ومراجعة عثمان نويه، خاصة صفحات: ٣١، ٣٢، ٤٩، ٦٦، ٨٥، ١١٢، ١٤٣، ١٤٥ .القاهرة بدون تاريخ .


Prof Mohamed Nasr

الفصل الأول

الترجمة والتأثير الثقافى

* * *


Prof Mohamed Nasr

الترجمة والتأثير الثقافى

لم يكن المسلمون زمن الحكم الأموى وأوائل الخلافة العباسية على درجة عالية من حيث القوة السياسية فحسب، بل كان لهم نشاط وافر فى الميدان الثقافى أيضاً، لقد بذلوا كل مجهود ممكن لتحصيل المعارف بين مصادرها المختلفة، وكانت بلاد السند والملتان هى المعبر التى انتقلت من خلاله ثمرات الثقافة الهندية إلى العواصم الإسلامية، ثم انتقلت هذه الثقافة من خلال المسلمين إلى كل البلاد التى استفادت من العلوم الإسلامية وسعدت بنعيم الحضارة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن بلاد السند والملتان شهدت اهتماماً بالعلوم الإسلامية والعربية مثل القرآن الكريم والتفسير والحديث النبوى الشريف والفقه واللغة العربية منذ الفترات المبكرة يعنى خلال الأربعين سنة التى خضعت فيها لحكم الأمويين من ٩٢-١٣٢هـ = ٧١٠-٧٤٩م.

ورغم أننا لا نملك بياناً شافياً عن هذه العلوم وانتشارها، إلا أنه من الممكن تكوين فكرة من خلال الإشارات الموجودة فى كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات وغير ذلك مما كتب فى عصور تالية، لقد اهتم المسلمون بإقامة أحياء أشبه بالمعسكرات فى البلاد التي تم فتحها ـ كما أنشأوا المساجد فى المدن وعينوا لها الأئمة والقضاة والدعاة بهدف التعريف بالإسلام وعلومه ونشره بين الناس «فكانت المساجد فى العصر الأموى من أكبر معاهد الدرس والتعليم ..

وكان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية فى تلك المساجد، ويقومون بالتدريس لأولاد المسلمين، ونشر العلوم الإسلامية بين أهالى بلاد السند..» وهناك علماء تولوا منصب القضاء وعهد إليهم بتبليغ الدعوة ونشر

اللغة العربية فى البلاد، فوضع هؤلاء مناهج التعليم الإسلامى، واهتموا ببرامج القلم والثقافة، ونذكر من بين هؤلاء القاضى موسى بن يعقوب الثقفى الذى عينه محمد بن القاسم قاضياً على «ألور» عاصمة بلاد السند عقب الفتح الإسلامى لها، واستمرار أفراد أسرته يتوارثون هذا المنصب حتى ٦١٣هـ = ١٢١٦م. وهى السنة التى زار فيها «على الكوفى» مترجم فتحنامه سند من اللغة العربية إلى الفارسية. قاضى المدينة سليل هذه الأسرة، وأيضا العالم الملقب بالشيبانى - ولسنا نعرف أكثر من لقبه هذا - الذى عين مسئولاً عن القضاء والإفتاء والخطابة ونشر الدعوة الإسلامية فى مدينة «سيوستان» بالسند[١]، وقد زار الرحالة «ابن بطوطة» سليل هذه الأسرة ٧٣٤هـ = ١٣٣٣م، وقال: «لقد لقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيبانى، وقد أرانى كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز لجده الأعلى بخطابة هذه المدينه، وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن، وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين»[٢].

وعندما قامت الخلافة العباسية، أخذ الإهتمام يزداد بالعلوم العربية والإسلامية، فهناك مايدل على اهتمام الولاة والحكام بنشر علوم العربية والإسلام، وقد ازداد عدد العلماء وتضاعف نشاطهم العلمى والثقافى تدريساً وتبليغًا وتأليفًا، وأقيمت مدن جديدة لتكون مراكز للثقافة الإسلامية بتلك البلاد، كما أقيمت مجالس علمية خاصة فى بيوت كبار العلماء العرب فى العصر العباسى الثانى، ذلك أن النهضة العلمية التي شهدتها بغداد تركت آثارها على بلاد السند والملتان مثلما تركت على غيرها من البلدان.

وفى الآن نفسه بدأ اهتمام العرب بما يسمى بالعلوم العقلية، فاهتمت

---

(١) انظر . الطرزى : موسوعة التاريخ ، ج١ ص ٣٩١ ـ٣٩٣، ٤٠٠.

(٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة : جـ ٢ ص ٤.

الخلافة الأموية فى دمشق بترجمة الكتب اليونانية والسيريانية إلى العربية، وعندما قامت الخلافة العباسية، وأصبحت بغداد حاضرة الدولة الإسلامية، وجهت عناية كبرى للكتب الفارسية وكتب الثقافة الهندية، وحاول علماء العرب الإستفادة بجهود علماء شبه القارة الهندية فى ميادين علمية مختلفة مثل مجالات الطب والرياضة والنجوم والكيمياء والفلك... الخ وكانت تلك هى الخطوة الأولى التى شهدها العصر العباسى الأولى ١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ = ٧٤٩ ـ ٨٤٦م فلما جاء العصر العباسى الثانى ٢٣٢ ـ ٣٣٢ هـ = ٨٤٦ ـ ٩٤٣م كان الإهتمام بالعلوم الدينية والعقلية ونشرها فى أرجاء العالم الإسلامى قد بلغ مداه، وعرفنا وجود المدارس والمعاهد المستقلة بالإضافة إلى المساجد ومجالس العلماء، كما عرف ذلك العصر المجالس العلمية الخاصة فى بيوت كبار العلماء، وقد أخبرنا المقدسى أنه عندما زار بلاد السند ٣٧٥هـ = ٩٨٥م وجد جلسة علمية منتظمة يقوم بالتدريس فيها قاضى المنصورة ـ عاصمة السند ـ أحمد بن محمد المنصورى، وهو صاحب تأليفات مهمة فى العلوم الإسلامية، كذلك قام أحد أحفاد القاضى موسى بن يعقوب الثقفى بالتدريس فى مدرسة آلور.

ومن الطبيعى أن ينال العلم كل هذا الإهتمام، فالعديد من البلدان أصبح سكانها من المسلمين فى حاجة إلى معرفة كل مايتعلق بعقيدتهم وإسلامهم ولغتهم العربية، فالمنصورة كان كل سكانها من المسلمين، ومدينة الملتان الأغلبية العظمى من سكانها مسلمون، وعرفت «الديبل» بانتشار اللغة العربية بها مع العناية بتبليغ وتدريس العلوم الإسلامية، ومدينة «قنوج» فى أقصى بلاد السند عرفت بأنها تضم الكثيرين من مشاهير العلماء.

وعندما جاء القرن الثالث الهجرى = التاسع الميلادى شاهدنا مدنًا عرف أهلها جميعًا بإسلامهم واهتمامهم بالمسائل الدينية والتعليمية مثل مدينتى

«البيلمان وسرست» في وسط السند، ومثل مدينة «بوقان» في إقليم مكران، كل ذلك بخلاف الضواحي والقرى التي أصبح سكانها جميعًا من المسلمين(١) .

والجديد في العصر العباسي الثاني أن العلماء لم يكونوا عربًا خلصًا فقط، وإنما بدأ يظهر عدد من العلماء من بين سكان السند الأصليين، وقد اشتغل بعضهم بالتدريس والتبليغ والتأليف في موطنه، بينما آثر آخرون الهجرة إلى المدن العربية المختلفة لممارسة الترجمة والنشاط العلمي بها .

لقد أثمر الحكم العربي لبلاد السند والملتان رجالاً حققوا شهرة ومنزلة عالية، وصلت شهرة بعضهم إلى دمشق وبغداد، ومن بين هؤلاء أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، صاحب كتاب المغازي، والفقيه والذي كان مسندًا في الحديث وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ، وبلغت مكانته درجة جعلت الخليفة الحاكم نفسه يؤم الناس في صلاة الجنازة عليه عندما مات ببغداد ١٧١هـ = ٧٨٧م.

وتذكر كتب المختارات أو المنتخبات العربية عددًا من العلماء والشعراء المتصلين بالسند، بعضهم من الأسر المهاجرة إليها، لكن الكثيرين منهم كانوا من أصل سندي، ويبن هؤلاء أبناء رقيق أسروا خلال الفتوحات الإسلامية أو خلال الحروب التالية ثم أخذوا إلى دمشق أو بغداد، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفقيد المشهور الإمام الأوزاعي ٩٠ ـ ١٥٦هـ = ٧٠٧ ـ ٧٧٣م الذي يكثر اتباعه

---

(١) انظر : الطرزي موسوعة التاريخ الإسلامي ... جـ ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

(٢) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢١٦.

ابن النديم : الفهرست : ص ١٣٦، ولأبي معشر السندي ترجمة عند المباركبوري انظر : العقد الثمين ص ٢٢٠، ٢٢١ وماباها من مصادر، وأنظر كذلك محمود محمد عبد الله : اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخ، ص ٢١ الباكستان ١٩٨٤م

فى بلاد الشام والأندلس(١) .

أما الإمام أبو حنيفة إمام ومؤسس المذهب الحنفى فى الفقه الإسلامى فمعروف أنه ولد فى العراق، ولكن هناك من يذكر أن أسرته هاجرت من بلاد السند إلى العراق، لأنه يلقب بالزطى نسبة إلى قبيلة الزط التى لا تعرف إلا فى السند، ثم لأن والده «ثابت» كان مملوكًا لبنى «تيم» من العرب الفاتحين لفارس، وقد انتقلت أسرته بعد ذلك إلى العراق، لهذا، ولأن الفرس فى غزوهم لبلاد السند - حتى قبل الإسلام - كانوا يأخذون أسرى كثيرين من قبيلة «الزط» إلى بلادهم، وقد استقر هؤلاء بعد الإسلام فى منطقة البطائح - بين واسط والبصرة للإستفادة بهم فى استصلاحها وزراعتهاونظراً لاحتمال أن يكون جدّ الأيام الأعظم قد توجه مع جيش الفتح إلى كامل حيث ولد «ثابت» والد الإمام أبى حنيفة الذى ظل مولى لبنى تيم العرب الكوفيين. ثم انتقل معه إلى الكوفة، موطن مولد الإمام الأعظم، لهذا كله يرجح البعض أن يكون الإمام سندى الأصل(٢) .

ويشعر الإنسان أن فى هذا تكلف، هدفه نيل شرف نسبة ذلك الإمام الأعظم صاحب الأيادى البيضاء على الإسلام والفقه الإسلامى إلى تلك البلاد السندية.

---

(١) هذا ما ذكره الباحث الباكستانى س. م. اكرام، ولعل الصواب أن معلم الإمام الأوزاعى واسمه مكحول بن عبد الله هو السندى الأصل، وهو عالم ومحدث مشهور، مشهود له بالفضل والدراية، وقد ذكر ابن النديم بعض كتبه فى الفقه: انظر : الفهرست ص ٣١٨.

ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص ٣٦٨، وله ترجمة فى العقد الثمين ص ٢١٩ وانظر عن المشهورين من أصل سندى: القاضى أبو المعالى لطهر المباكبورى: العقد الثمين فى فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ص ٣٢ طبع القاهرة ١٩٨٠

(٢) انظر الطرزى موسوعة التاريخ جـ ١ ١٧٢ - ١٧٥

أما أكثر الشعراء شهرة من أصل سندي فهو أبو العطاء أفلح بن يسار السندي المتوفى ١٨٠ هـ = ٧٩٦م، فقد أخذ أسيرا وانتقل إلى سوريا ببلاد الشام أثناء طفولته، وحصل على حريته بقصيدة نظمها، ورغم تمكنه من الأدب العربي فقد حال أصله البعيد بينه وبين نطق الكلمات العربية بصورة صحيحة وكان عليه أن يستعين بأحد الرواة ليقرأ ماينظمه من أبيات، وله قصائد قوية فى مدح الأمويين، ومراثي ممتازة تعدد مآثرهم بعد سقوط دولتهم(١) .

ومن هؤلاء إبراهيم السندي الشاهك الذى كان بحراً فى العلوم خطيباً وفقيهاً ونحوياً وعروضياً وحافظاً للحديث وراوياً وشاعراً ومنجماً وطبيباً ومن رؤساء المتكلمين، وقد أشاد به الجاحظ في العديد من كتبه كما أشاد به غيره.

ومن علماء السند فى القرن الثالث الهجرى الحافظ المحدث أبو محمد خلف بن سالم السندي والفقيه المتكلم أبو نصر فتح محمد عبد الله السندي، وابن علي الوراق السندي صاحب تأليف يدور حول المغنين العرب فى العصر العباسي عنوانه «الشركة» وعرف باسم «الأغاني الكبير».

ومن أدباء وعلماء السند فى القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى الشاعر الأديب أبو ضلع السندي، وصاحب المؤلفات الأدبية الشاعر كشاجم ابن الشاهك ، والمحدث محمد الديبلي والمحدث اسماعيل بن السندي وأحمد بن عبد الله الديبلي، والمفسر الرواية حمد بن ابراهيم الديبلي والعالم الفقيه المحدث ابراهيم بن محمد الديبلي السندي، والعالم المحدث على ابن موسى الديبلي السندي وغيرهم.

---

(١) انظر الأصفهاني : أبو الفرج الأغاني جـ ٦ ص ٧٨ أبو تمام : ديوان الحماسة جـ ١ ص ٣٠ وانظر المباركفوري : العقد الثمين ص ٢٢٦ وكذلك محمود محمد عبد الله : اللغة العربية فى باكستان ص ٢٠ ويقول إن لأبي عطاء ديوان شعر بالعربية طبع فى حيدر إباد السند ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م

أما العلماء الذين اشتهروا بمجالسهم العلمية فى بلاد السند، فمنهم الشيخ محمد بن عبد الله العلوى المعروف بعبد الله الأشتر، والذى كان يرافقه أربعمائه من علماء الشيعة الزيدية، ومنهم أحمد بن محمد المنصورى العراقى قاضى قضاة المنصورة ومن أتباع مذهب داود الظاهرى، وهو شاعر وصاحب تأليفات حول الإسلام باللغة السندية، كما قام بترجمة معانى القرآن الكريم إلى الهندية تلبية لرغبة واحد من ملوك هذه البلاد الذين تأثروا وأسلموا سراً(١) .

ويدخل فى اهتمام العرب بالثقافة عنايتهم بالمكتبات، حيث كانت تتوافر هذه المكتبات فى قصور الولاة والحكام، كما ألحقت المكتبات بالمساجد الكبيرة التى أقيمت على امتداد نهر السند خلال فترة الحكم العربى فى المنصورة والمحفوظة والديبل والنيرون وألور والبودهية وسيوستان وغيرها، فلم يكن المسجد مكانًا للعبادة فقط بل ومركزًا للعلم ونشر الثقافة، كما كانت هناك مكتبات خاصة لدى بعض القضاة والدعاة من العلماء تهدف إلى إفادة التلاميذ خاصة وكافة الناس عامة، منها تلك المكتبة التى كانت عند قاضى المنصورة ٣٧٥هـ = ٩٨٥م. والتى استفاد منها الدارسون كما استفاد منها القاضى نفسه فيما ألف من كتب وألقى من دروس(٢) .

وإذا عدنا مرة أخرى إلى حركة الترجمة واهتمام مراكز الحكم الإسلامى بالعلوم العقلية، فسنرى أن الباحثين يحددون فترتين متميزتين بلغ التعاون

---

(١) Muhammad Zaki : Arab accounts of india, p. 49, 50 , Delhi, india 1981.
I. H. Oureshe : the muslim comunity. ., p3.

ويذكر كلا المرجعين بعض المناظرات الدينية بين علماء مسلمين وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

(٢) انظر المقدسى: أحسن التقاسيم ص ٤٧١

الإسلامي - الهندي فيها أقصى مداه :

الأولى خلال فترة حكم الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ١٣٦ - ١٥٧هـ = ٧٥٣ - ٧٧٤م، فخلال هذه الفترة انتقلت بعثات - بينها بعثات علمية - من بلاد السند إلى بغداد، وأحضرت تلك البعثات كتبًا مهمة معها إلى العاصمة الإسلامية(١) .

الثانية خلال فترة حكم الخليفة هارون الرشيد ١٦٣ - ١٩٣ هـ = ٧٨٠ - ٨٠٨م، عندما كانت أسرة البرامكة في أوج قوتها وتتولى الوزارة للخلفاء العباسيين على امتداد نحو نصف قرن، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخون يحيى البرمكي - وزير هارون الرشيد - بصفة خاصة، ويذكرون ابنه موسى، وحفيده عمران، وكلاهما حكم السند لبعض الوقت، فقد أولوا جميعًا الهند والعلوم الهندية اهتمامهم، ولاعجب فالبرامكة من أصل هندي، وقد أرسلوا علماء إلى شبه القارة الهندوباكستانية ليدرسوا الطب وعلم العقاقير أو الصيدلة، كما شجعوا علماء الهند على المجيء إلى بغداد، وجعلوا من بينهم كبار الأطباء في المستشفيات وطلبوا منهم ترجمة كتب الطب والعقاقير، وكتب علم السموم والفلسفة والفلك وغيرها من اللغة السنسكرتيه إلى اللغة العربية فليس صحيحا إذن مايقال أن فتح العرب للسند كان نصرًا بلا نتائج(٢) .

وهكذا اهتم العباسيون بالطب الهندي السندي خاصة لأن البرامكة وهم من أصل هندي عاشوا في بلاد فارس وانتقلوا منها إلى بغداد - كانوا وراء نقل

---

(١) انظر: - E. C. Sachau Tr. Alberunis India. I. XI..

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص X. L. I.

وكذلك... - K. Ali. A. S. Bukhari : A. newhistory .. p.149.

Ishwari Prasad A Short history p 51-52

كثير من الكتب الهندية السندية فى مجالات مختلفة إلى اللغة العربية، وأيضاً بسبب فشل الأطباء اليونانيين والعرب فى علاج أمراض أصابت بعض الخلفاء، بينما نجح أطباء شبه القاره الهندية فى تشخيص المرض وعلاجه، ذلك أن الخليفة أبا جعفر المنصور أصابه مرض فى الجهاز الهضمى سبب له آلاما فى الأمعاء وسوءاً فى الهضم، وفشل معالجوه من العرب واليونانيين فى تطبيبه، بينما أفلح أطباء الهند فى تشخيص الداء ووصف الدواء، كذلك أصيب الخليفة هارون الرشيد بمرض خطير أعجز برؤه كبار المعالجين فى القصر، وقد استحضر البرامكة له الطبيب الهندى المسمى «منكه»، فتمكن من علاج المرض وشفى الخليفة . أيضا نجح ابن بهلة الهندى فى علاج ابراهيم بن صالح عم أو ابن الخليفة هارون الرشيد بعد أن جزم ابن بختيشوع طبيب الخليفة باستحالة برئه[1] .

ومنذ ذلك الحين والإهتمام بالطب السندى ـ الهندى يتزايد، وبدأت الوفود العلمية فى الوصول إلى تلك البلاد لإستجلاب الأدوية والبحث عن العقاقير الطبية وإحضارها، واستقدام كبار الأطباء الهنود للعمل فى بغداد، وقد أصبح الطبيب «مُنكه» المشار إليه آنفًا مسئولاً عن دار الحكمة للترجمة من السنسكرتية إلى العربية كما أصبح الطبيب «ابن دهن» الهندى، رئيساً لدار الشفاء ببغداد، ونجح هؤلاء فى تعليم الطب لغيرهم، ووجدنا «حنين بن إسحاق» يشتهر فى مجال طب السموم خاصة، كما وجدنا من ـ قدم وصفاً لأعضاء الفم والأسنان، وتحدث عن أمراضها وصلة ذلك بالأمراض التى تعترى المعدة[2] ، كما شاهدنا

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢١ .

ابن أبى البيعية: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٢١

وكذلك د. الساداتى : تاريخ المسلمين ... ص ٦١،

محمود محمد عبد الله: اللغة العربية فى باكستان، دراسة وتاريخ ص ١٨ ١٩، باكستان ١٩٨٤م

(٢) انظر المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦

اهتمام الخلافة العباسية بالطب التخصصي. فقد أمر الخليفة المنصور ببناء مستشفى للرمد . وبنى الخليفة هارون الرشيد مستشفى تعليميًا للطب وزوده بالأجهزة والكتب المفيدة[١] .

وأقدم اتصال ثقافي بين المسلمين والهند سجله التاريخ يرجع إلى ١٥٤هـ = ٧٧١م عندما وصل إلى بغداد عالم هندي في الفلك والرياضيات، وقد قدم وبصحبته عمل سنسكريتي عنوانه «برهما سدُهانت» Siddahanta، ويعرفه العرب باسم : السند هند أو سدّها ند» أي المستقيم الذي لا يعوج ولا يتغير من تأليف «برهمكيت» Brahmagupta ، وقد تمت ترجمة هذا العمل إلى اللغة العربية بمعاونة رياضي عربي اسمه ابراهيم حبيب الفزاوي[٢] والكتاب يضم الحساب والأرقام في البابين الثالث عشر والرابع عشر، وقد انتشرت طريقة الحساب بين العرب في القرن الثاني الهجري بفضل هذا الكتاب الذي يعتبر أقدم رسالة فلكية على الإطلاق، إذ يرجع تأليفها إلى ٤٢٥ ق.م. وقد أضاف العرب الصفر إلى الأرقام من ١ إلى ٩، ومثل ذلك قفزة هائلة في عالم الرياضيات، وقد انتقلت هذه الأعداد إلى أوربا عن طريق المسلمين في

---

(١) انظر حسن ابراهيم حسن . تاريخ الإسلام ..جـ٢ ص٣٥٥ الطبعة السابعة القاهرة ١٩٦٤ .

(٢) انظر البيروني . تحقيق ما للهند .... ص١١٨ ـ ١٢٣ .

إما « برهم كبت » فهو عالم في الفلك والرياضيات عمل وعاش في « أوجين » " Ujjain"
وكتب كتابه « برهما سد هانت» "Brahma Sidd Hhanta " في واحد وعشرين فصلا .
وهذا الكتاب هو أساس عمله الأخر « سندا هندSinda HIND " وهناك كتاب هندي آخر
عنوانه " سوريا سد هانتا " والترجمة العربية لهذا العنوان هي :" الحكمة من سوريا آلهة الشمس "

انظر : S. M. IKram: history of muslim civillisation in india and pakistan p. 17 note 21, lahore 1982

وكذلك : Ishtiag Husain Qureshe: the muslim Communitey p. 30 33 k. s.lal: early muslimsin India, p. 23

وانظر كذلك القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري: الهند في عهد العباسيين ص ٢٤ القاهرة ١٩٨٠.

الأندلس، وأصبحت تعرف باسم «الأعداد العربية»[١] .

وهناك ثلاثة أعمال أخرى في علم الفلك ذكرت المصادر العربية أنها ترجمت من السنسكرتية إلى العربية، وهي - بالإضافة إلى هذا الكتاب - كتاب «أركند» أو «كهندكهاديكا» المعروف عند العرب باسم «أهرقن»، وهو لنفس المؤلف «سدهانت» وقد ترجمه يعقوب بن طارق للعربية سنة ١٦١هـ وكتاب «أرجهبذ» من تأليف «أريدبُهت» وقد ترجمه للعربية أبو الحسن الأهوازي أواخر القرن الثاني الهجري = الثامن الميلادي واستفاد به العرب في علم الفلك.

لكن كتاب «السند والهند» «لسد هانت» كان له التأثير الأعظم على تطور علم الفلك عند العرب . وأعظم تأثير هندي على الثقافة العربية في ميدان الرياضيات يتمثل فيما أشرنا إليه من إدخال الأرقام من ١ - ٩ والتي يطلق عليها الغربيون إسم الأعداد العربية، ويسميها العرب أنفسهم باسم «الأعداد الهندية» نسبة إلى مصدرها الأصلي، وقد اعتمد العرب كثيرًا على الكتاب المذكور آنفًا في كل الدولة الإسلامية من بغداد إلى الأندلس، وأعدوا له شروح، وتلخيصات كثيرة، وأضافوا إليه معلومات مفيدة، وقد استفاد محمد بن موسى الخوارزمي بهذا الكتاب، وضم إليه مصادر فارسية ويونانية، وألف كتابًا عرف باسم «السند هند الصغير» . وقد انتقلت هذه الدراسات إلى الأندلس، واستفاد منها الأندلسيون والأوربيون وطوروها فيما بعد، وقد وجدت الأرقام الحسابية منقوشة على أعمد «آشوكا» قبل أن يستخدمها المسلمون بنحو ألف عام[٢] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند الطرزي : موسوعة التاريخ جـ ١ ص ٤٢٢ - ٤٢٤.

(٢) انظر الساداتي: تاريخ المسلمين ... ص ٦٠.

وقد عرض عبد الحي الحسني جهود علماء الهند وما ترجم من أعمالهم للعربية في ميدان الرياضيات وفروعها، انظر.

الثقافة الإسلامية في الهند ص ٢٦٩ ومابعدها، طبع دمشق ١٩٨٣

ولم يكتف العرب بمجرد الترجمة، وإنما زارت وفود منهم السند، وأتت وفود من السند إلى بغداد[١] وجرت مناقشات ومداولات أفادت البشرية جميعًا، وخدمت قضية التقدم العلمي، فقد زار محمد بن اسماعيل، العالم الفلكى الرياضى، السند فى القرن الثالث الهجرى، والتقى بعلماء البلاد وحضر المجالس العلمية وأفاد واستفاد، كذلك وفد الرياضى الفلكى أبو الريحان البيرونى إلى السند فى مطلع القرن الخامس الهجرى، وترجم أعمالاً مهمة من العربية إلى السنسكريتة وكتب رسائل مفيدة فى علم الفلك والنجوم، وأجاب على أسئلة علماء هذين الميدانين، كما قام بجمع كتب الفلك الثلاثة الهندية المترجمة إلى العربية والسابق الإشارة إليها فى كتاب واحد وصحح مابه من أخطاء فى الأصل وفى الترجمة.

وهناك كتب أخرى في ميدان الفلك ألفها علماء السند في العصر العباسي منها كتاب الطبيب «كنكه» الهندي، والذي ذكر ابن النديم أن له كتباً أربعة في الفلك، وكتاب في علم الحفر الهندي للمنجم عطارد بن محمد إلى غير ذلك[٢].

أما مجال الطب فقد لقى أكبر عناية، فترجمت بعض كتب الطب من اليونانية للعربية منذ العصر الأموي[٣] ، وتذكر لنا المصادر عناوين خمسة عشر عملاً - على الأقل - ترجمت من السنكرتية إلى العربية وأثرت على حركة الطب عند العرب، بينها كتاب سوشر Sushruta ويسميه العرب «سنسرت»، وكتاب شرك Sharak ، وهما أول من ألف في الطب الهندي.

---

(١) عن تأثير علماء العرب على الحضارة فى الهند، انظر
غوستاف لوبون: حضارة الهند ص ٥٤٧، ٥٤٨ من الترجمة العربية

(٢) انظر ابن النديم، الفهرست ص ٢٣٨
ابن أبي أصيبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ٢ ص ٣٢

(٣) أنظر الملطى،مختصر الدول. ص ١٩٢

ويضم الكتاب الأول عشرة أبواب تفصلُ الحديث عن ظواهر الأمراض المختلفة وطرق علاجها والأدوية المفيدة لها، وقد ترجمه أحد الأطباء الهنود للعربية بأمر يحيى بن خالد البرمكي وأصبح بمثابة دستور للعمل في دار الشفاء ببغداد[1]، أما كتاب «شرك» نسبة إلى مؤلفه الهندي «چرك»، فقد ترجم من السنسكرتية إلى الفارسية ومنها إلى العربية على يد «عبد الله بن علي»[2]

ومن الكتب المترجمة من السنسكرتية إلى العربية كتاب «سندستان» ترجمة «ابن الدهن» الطبيب الهندي المذكور قبلاً، كما ترجم «استانكر» وكتاب «تان» وفيه بيان عن ظواهر وأعراض ٤٠٤ من الأمراض دون تعرض لذكر وسائل علاجها[3]، وكتاب في الأدوية الهندية و«اليونانية ومزاياها، كما ترجم ابن هدن كتابان للطبيب نوكشتل «نوقشتل»، أحدهما حديث عن مائة داء ومائة دواء والثاني عن أعراض وأسباب الأمراض وعلاجها، كما ترجم الطبيب «منكه Manka» عملاً في العقاقير الطبية بنا على رغبته سليمان بن إسحاق، كل ذلك بخلاف ترجمة كتاب للطبيبة «روساء في علاج أمراض النساء وآخر في علاج الحوامل، ومختصر في وصف العقاقير وبيان المواد المخدرة ... إلى غير ذلك من الكتب الطبية والكيميائية[4] .

ونالت فروع الطب الأخرى حظها، فتناول أكثر من كتاب موضوع الطب البيطري منها كتاب للطبيب شاناق Shanaq ، كما عرض كتاب آخر للثعابين

---

(١) انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٣

(٢) انظر: ابن النديم، نفسه ص ٣٠٣.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٥٤

(٣) انظر، اليعقوبي: المراجع والموضع السابق

(٤) انظر، ابن النديم: الفهرست. ص ٣٠٢

المباركبوري: الهند في عهد العباسيين ص ٤٩

فتحدث عن أنواعها وسمومها، وقد فقد كلا العملين الأخيرين، وأصبحنا لا نعرف إلا أسلوب ترجمة كتاب العالم الهندي «شاناق» حول السموم. ونعرف أن خالد البرمكي وزير الخليفة العباسي قد أمر بترجمة هذا الكتاب، فترجمه الطبيب «منكه Manka» يعاونه أبو حاتم البلخي إلى الفارسية سنة ٢٠٠هـ - ٨١٥م، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات قام عباب بن سعيد الجوهري بترجمته إلى العربية بأمر الخليفة المأمون، وكانت هذه الترجمة العربية موجودة حتى القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي وكتب ابن أبي أصيبعة الذي توفى سنة ٦٦٨هـ = ١٢٦٩م عن هذا الكتاب وذكر أنه يضم خمسة أبواب[١]

ليس هذا فحسب، بل إن هناك من الأطباء الهنود من حقق شهرة واسعة في بغداد، وكان عدد هؤلاء كبيراً وإن أغفلت المراجع أسماءهم وعناوين كتبهم، فقط نعرف من هؤلا اسم منكه Manka الذي أحضر خصيصاً من الهند عندما أصيب الخليفة هارون الرشيد بمرض لم يتمكن أطباء بغداد من وصفه وعلاجه، وقد تمكن الحكيم الهندي من ذلك، فكافأه الخليفة، وزاد فعهد إليه بترجمة كتب الطب من السنسكرتية إلى العربية، ونعرف أيضاً من الأطباء الهنود اسم «اطريفال أو تريفال» Triphal . Atrifal . وهناك حكيم هندي آخر استدعى من الهند لعلاج ابن عم للخليفة العباسي من شلل أصيب به ولم يتمكن طبيب البلاط الأغريقي من علاجه، كما سبقت الإشارة وغير هؤلاء كثيرون عرفوا طريقهم نحو الشهرة في عالم الطب والأدوية زمن الخلافة العباسية.

---

(١) أنظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ٢ ص ٣٢، وقد اهتم عبد الحي الحسني بهذا الجانب فخصص الفصل السادس من كتابه الثقافة الإسلامية في الهند للحديث عن الصناعة الطبية، وعن جهود أهل السند في هذا الميدان وتأثيرهم على الحضارة الإسلامية. أنظر ص ٢٩١ وما بعدها طبع دمشق، سنة ١٩٨٣

وقد لقى علم التنجيم ومعرفة الطالع عناية خاصة في بغداد، ولدينا عناوين عدد كبير من كتب هذا الميدان ترجمت من السنسكرتية إلى العربية كذلك ترجمت كتب في موضوعات السحر والأخلاق والمنطق والفلسفة والكيمياء وفن الحرب وفن الإدارة والحكم. ويشير «اليعقوبي» إلى ما عند الهنود من أفكار وآراء في المنطق والفلسفة ترجمت للعربية فيقول: «ولهم - الهنود - المنطق والفلسفة وكتب كثيرة في أصول العلم منها كتاب «صوفا» في علم المنطق، وكتاب فيما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم[1] .

أما الكتب المترجمة في مجال الأدب والبلاغة والأدب الأخلاقي بصفة خاصة، فشهرتها جعلتها لا تخفى على أحد. فبالإضافة إلى القصص ذات أصل الهندي، فإن هناك الترجمات العربية والفارسية الشهيرة لقصة «بنج تنترا» Panch Tantra المعروفة باسم كليلة ودمنة[2] والتي دارت حولها دراسات وأعمال متنوعة، انتقلت جميعاً مع العمل نفسه من العربية إلى اللغات الأوربية، ومن الكتب المهمة كتب «بوذاست بلوهر»، وترجع أهميته إلى قيمته الفكرية والاجتماعية، وهو ينسب إلى بوذا صاحب الديانة البوذية، ذكره ابن النديم ضمن كتب الأدب القصصي، ونذكر كذلك كتاب «علم الهند» أو «حكم الهند»، ترجم نثراً للعربية ثم قام «ربان بن عبد الحميد» بنظمه شعراً في القرن الثاني الهجري.

---

(١) أنظر، تاريخ اليعقوبي جـ١ ص ٩٤، وعن الفنون المذكورة وما ترجم منها ومصادر ذلك، راجع الطرزي: موسوعة التاريخ .. جـ ١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) أنظر: البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة .. ص ١٢٢ ويشكك في ترجمة عبد الله بن المقفع كتاب «كليلة ودمنه»، ويقرر أنه أراد فيه باب «برزويه» بقصد تشكيك ضعاف العقيدة في الدين «وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانية»، وإذا كان متهماً فيما زاد، لم يخل عن مثله فيما نقل، أنظر الموضع السابق

هذا بخلاف كتب أخرى كثيرة يذكر ابن النديم أسماءها وأسماء مؤلفيها ويقول أنها ترجمت للعربية[١] .

كذلك أخذ العرب عن الهنود لعبتا الشطرنج والطاولة Chess and Chausar ، ومن العالم العربي انتقلت هاتان اللعبتان إلى أجزاء أخرى من العالم.

فوق كل ما سبق هناك من الباحثين من يؤكد وجود عناصر من أصل هندي في التصوف الإسلامي . أما روابط السند بذلك التصوف ، فهي من الأمور المقطوع بها، ويذكر أن الصوفي الكبير أبا الزيد البسطامي كان له أستاذ روحي من السند، لقد قال مرة:

«لقد تعلمت علم الفناء والتوحيد من أبي علي السندي، وأبو علي تعلم دروس التوحيد الإسلامي مني»[٢] .

وقد أشار إلى ذلك «نيكلسون» بقوله:

«إن المفهوم الصوفي لفناء الشخص في العالم يبدو مؤكداً، واعتقد أنه من أصل هندي، وأن أول شارح له هو الصوفي العظيم أبو يزيد البسطامي الذي يبدو أنه تلقاه عن أستاذه أبي علي السندي»[٣] .

---

(١) أنظر: الفهرست ص ٣٠٥.

هذا ويذكر عبد الحي الحسني بعض أدباء الهند ويعرض إنتاجهم ومؤلفاتهم بالعربية وغيرها، أنظر. الثقافة الإسلامية في الهند ص ٤٤ - ٥٧، طبع دمشق ١٩٨٣

(٢) أنظر Jami. Nafaahat al - uns, p. 40

(٣) أنظر: R. A. Nichlson: studies in islamic mysticis, p. 17.

ومثل ذلك الرأي تجده عند «ماسنيون» و «رنير»، أنظر المرجع السابق لـ S. M. Ikram

وكذلك. الطرزي. موسوعة التاريخ جـ١ ص ٤٣٨

وهكذا يرجع تأثير السند المتين في ميدان التصوف الإسلامي إلى تلك الفترة المبكرة، ففكرة الفناء عند البسطامي، ومثلها فكرة وحدة الوجود عند الحلاج، تسربت إلى التصوف الإسلامي من المصادر الهندية»[١] .

أما الموسيقى فلا نعرف ترجمة لكتاب فيها نقل عن السنسكرتيه وبقي لنا، ومع ذلك فمعروف أن للموسيقى في شبه القارة الهندو باكستانية تأثيراتها على الموسيقى العربية، وأنها كانت موضع التقدير والرعاية في دار الخلافة، فقد كتب الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٩م يذكر أنواع الموسيقى في شبه القارة وبعض آلاتها عندهم خاصة الطنبور أي العود «يقول أن لهم غناء معجب ولهم الكنكلة Kankala، وهي آلة من وتر واحد يمر علي قرعة فيقوم مقام أوتار العود..»[٢] . ويصف أصوات أهل السند والهند فيقول ليس في الأرض أحسن حلوقاً منهم....[٣] ويتحدث المؤرخ القاضي صاعد الأندلسي ت ٤٦٢هـ - ١٠٧٠م عن كتاب في الموسيقى نقله العرب إلى الأندلس عنوانه «نافر» أي فاكهة الحكمة[٤] وهناك احتمال أن يكون قد ترجم إلى الفارسية ثم منها إلى العربية وعنوانه في الأصل «صوت الحكمة»[٥] .

وهناك أستاذ بجامعة «دكا» في «بنجلاديش» أعد دراسة خاصة عن الموسيقى الهندية الإسلامية، وتوصل إلى أن العرب والنظام الهندي في الموسيقى أثر كلاهما في الآخر.

---

(١) السابق نفسه .

(٢) أنظر: رسالة فخر السودان .. علي البيضان - ص ٨٠.

(٣) أنظر: مجموعة الرسائل ٣ ص ٤٣٤.

(٤) أنظر ابن صاعد : طبقات الأمم ص ١٤.

(٥) أنظر: الطرزي: موسوعة التاريخ.. جـ١ ص ٤٤٧، وانظر أيضاً: سيد سليمان الندوي: دراسة باللغة الأوردية عنوانها: العرب والهند كي تعليقات، ص ١٢٧، ١٥٧، ١٥٨ طبع اله أباد بالهند سنة ١٩٣٠، نقلاً، عن مرجع الطرزي المشار إليه آنفاً.

ويشير الجغرافي المؤرخ بن المسعودي في «بروج الذهب» إلى شعب الهند والسند وإلى الأنوات الموسيقية عند العرب مثل «البرسيانا» The Per sians ومثل النابا تانياس The Nabataeans ملمحاً إلى أن العرب لم يتأثروا بالموسيقى الهندية، ولكن الاستاذ «حليم» من جامعة بنجلاديش يرى غير ذلك وينسب إلى البروفسيور «لان» Lane قوله:

«إن معظم المصطلحات التقنية في الموسيقى العربية من الفرس ومن التأثيرات الهندية» ويضيف «هناك ما هو أكثر من ذلك، فالموسيقى الهندية نفسها أدمجت الحان فارسية عربية معينة مثل يمن وجع من حجار وزانوجله Zanuglah التي حرفت لتصبح جنجلة Jangla .

والواقع أن المسعودي في مروج الذهب يقول عن أهل السند والهند «ولهم ضروب من الآلات تفعل في النفس أفعالاً مرتبة من ضحك وبكاء، وربما يسقون الجواري فيطربن بحضرتهم، فيطرب الرجال لطرب الجواري»[١] .

على أن الموسيقى العربية تشبه في نظامها ما عند اليونانيين والهنود، لأنها تعتمد على الألحان واتساق الأصوات وليس على الإيقاع، إن الموسيقى العربية، مثلها مثل الأنظمة الموسيقية الهندية واليونانية، يقوم كيانها على انسجام الأصوات مع الطبيعة وعلى التعبير عن المشاعر المتنوعة مثل السرور والحزن والغضب والنوم والنشوة، إنها قادرة على إنتاج تأثيرات عجيبة، ويترتب على ذلك أن غناء الألحان يتم في ساعات ثابتة من اليوم والليلة كما هو الحال في الأنظمة اليونانية والهندية[٢] .

---

(١) انظر: مروج الذهب - جـ١ ص ١٠٠.

(٢) - Journal of the asiatic society of pengal,

اعتماداً على: Vol. 1 (1938) p. 48

- S. M. Ikram: History of muslim civilisation in India and Pakistan. pp. 16 - 20.

وإذن فقد تأثرت الموسيقى العربية بنظيرتها السندية، وظهر ذلك في الأنغام القديمة، كما تأثرت الموسيقى السندية بالموسيقى العربية مثلما تأثرت بالإيرانية والتوارتية، وتكون من ذلك كله لون مشترك في عالم الموسيقى السندي الهندي(١) .

وهكذا نرى أن تأثير الثقافة الهندية كان قوياً مبكراً، وأنه لم يتناول مجالاً واحداً، وإنما غطى جوانب متعددة حتى قيل: «إن المسلمين مدينون للهنادكة أولا لا لليونان بما وصلهم من مختلف ألوان المعرفة والثقافة الجديدة في فجر حياتهم سواء في الفلسفة أو في الرياضيات أو الفلك أو الطب، وقد طلبوها من بعد ذلك عند اليونان حين تمكنت من أنفسهم محبة العلوم واشتد شغفهم بها(٢).

وقد أتاح هذا الاتصال والاحتكاك بين بلاد العرب وبين بلاد السند والهند للجغرافيين والمؤرخين أن يكتبوا عن هذه البلاد وعن علاقاتها بالعواصم الإسلامية مثل مطهر بن طاهر المقدسي الذي خصص باباً في كتابه للحديث عن السند والهند وما بها من فرق ومذاهب(٣) ، كما أن هناك معلومات عنها عند العديد من المؤرخين العرب والجغرافيين والرحالة الذين سجلوا معلوماتهم ومشاهداتهم عن بلاد السند والهند في القرن الثالث الهجري مثل البلاذري والطبري واليعقوبي والجاحظ وسليمان التاجر والسيرافي وابن الفقيه وابن

---

(١) أنظر: سليمان الندوي: تعليم الهنود في عهد المسلمين بالأوردية، ص ١٣٥، نقلاً عن الطرزي: موسوعة التاريخ جـ ص ٤٧٧.

(٢) انظر: الساداتي ـ تاريخ المسلمين ـ ص ٦٠، نقلاً عن Havell E.B. The historiy of Aryan Rul e in India, pp. 245 - 56 London

(٣) أنظر: مُطَهَّر بن طاهر المقدسي: كتاب البدء والتاريخ جـ٤ ص ٩ - ١٩.
نشر في باريز سنة ١٩٠٧ في ستة مجلدات بعناية كلمان هوار، وقد صدر الجزء الأول سنة ١٨٩٩ والسادس سنة ١٩١٩م

رسته وفي القرن الرابع الهجري تجد المسعودي والبشاري المقدسي وابن النديم وبرزك بن شهريار والاصطخري وابن حوقل، وعندنا في القرن الخامس القاضي صاعد الأندلسي والقاضي رشيد والشريف الإدريسي، وعندنا بعد ذلك أمثال ابن الأثير وابن خلدون وابن أبي اصيبعة وابن بطوطة والقلقشندي. وفضل كل هؤلاء يسجله «جوستاف لوبون» بقوله.

«فالحق أن دور الهند التاريخي لم يبدأ إلا بعد المغازي الإسلامية في القرن الحادي عشر (الميلادي) بفضل مؤرخي المسلمين»[1] وبقوله: «فمن أراد الإطلاع على حال الهند في القرون الوسطى، فليطالع ما جاء في كتب سيّاح العرب من الأنباء، ومن هؤلاء نذكر المسعودي الذي زارها في أواسط القرن العاشر، وابن بطوطة الذي طاف فيها ٧٣١هـ - ١٣٣٠م... إلخ»[2] .

وفي موضع آخر يقول:

«يبدأ العصر الإسلامي في الهند في القرن الحادي عشر (الميلادي) وينتهي من الناحية السياسية في القرن الثامن عشر من الميلاد، وهذا العصر عُرِفَ أحسنَ مما عُرِفَ أي عصر جاء قبله بفضل مؤرخي المسلمين»[3] .

«ولم يخل العصر الهندي الإسلامي من مؤرخين، ولم لم ينته إلينا من هذا العصر مخطوطات كافية لتنوّره ، لأمكننا ذلك من البحث في المباني الكثيرة التي شيدت فيه...»[4] .

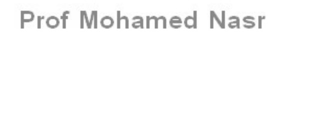
---

(١) أنظر: غوستاف لوبون : حضارة الهند ، ترجمة من الفرنسية إلى العربية عادل زعيتر، ص ٢٠٦، طبعة القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.

(٢) نفسه ص ٢٤٠.

(٣) المرجع السابق ص ٤١٦

(٤) المرجع السابق: ص ٤١٧.



الفصل الثانى

الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية

* * *

الأوضاع الاجتماعية :

ليس لدينا تاريخ مترابط يوضح لنا أحوال السند والملتان عقب عودة محمد بن القاسم، ومع ذلك فإنه يمكن الاعتماد على الرحالة والجغرافيين المسلمين لملء هذا الفراغ، وقد زار المؤرخ المسعودي باكستان الحالية ٣٠٤هـ - ٩١٥ - ٩١٦م، وترك لنا رواية طيبة عن الأوضاع في وادي نهر السند، ابتداء من «واي هند» Waihind في الشمال إلى دبيول Debul في الجنوب، كذلك زار الجغرافي ابن حوقل نفس المنطقة بعد ذلك بعدة سنوات وعلى وجه التحديد ٣٧٥ - ٩٨٥م.

ووفقاً لما جاء في رواية هذين الجغرافيين، فإن المناطق الرئيسية المألوفة بالسكان العرب كانت في المنصورة والملتان وديبول ونيرون، وقد بنى في كل منها مسجد جامع كبير ، أما غير المسلمين فكانوا يشكلون نسبة بين السكان، وكان لهم وجود واضح في كل من ديبول Debul وألور Alor ، وكانت العلاقات ممتازة بين المسلمين وغير المسلمين، وأشار الرحالة إلى غير المسلمين فوصفوهم بأنهم من الذميين حتى بعد قيام الحكم الإسلامي في لاهور ودلهي بعد ذلك . وتطور الفقه الإسلامي، فلم يقل أحدٌ أن الهندوس من الكفرة كما حدث بعد ذلك في فترة حكم السلاطين بل عوملوا معاملة أهل الكتاب وجدير بالذكر أنه بعد فتح السند والملتان، اتخذ قرار بمنع ذبح البقر في تلك المنطقة، وربما كان مرد ذلك الرغبة في الحفاظ على الثروة الحيوانية، وربما كانت مشاعر الهندوس في الاعتبار أيضاً عند اتخاذ مثل تلك الخطوة، وعلى كل حال فقد اندمج السكان الفاتحين والمحليين بصورة قوية، لدرجة أن القوات السندية قاتلت باسم الخليفة في مناطق مختلفة ووصلت إلى مدى بعيد على الحدود

البيزنطية[١] وقد أبدى رؤساء الهند اهتماماً بالإسلام فمثلا في ٢٧٣ هـ - ٨٨٦م طلب ملك مهروج Mehrog -بين كشمير والبنجاب- من العاصمة المنصورة، امداداه بمن يترجم له معاني القرآن الكريم، فأمده بالقاضي أحمد بن محمد المنصوري الذي ترجم له معاني القرآن إلى اللغة السندية كما سبقت الإشارة[٢].

ويشير المؤرخ المقدسي إلى أن تقاليد أهل السند وعاداتهم تشبه التقاليد العربية وخاصة في بلاد العراق، ويقول أن أغلبية أهل المنصورة والملتان من العرب والأقلية من السند، وليست عندهم عادات قبيحة غير إسلامية فلا تجد عندهم شرب الخمر أو الزنا، ومن فعل ذلك عوقب بالقتل أو بأشد العقوبات، وليس عندهم عادة السرقة ولا البخس في الكيل ولا النقص في الميزان، ولايعرفون الكذب ولاالغش في الأقوال والمعاملات التجارية، أنهم يرحبون بالغرباء والمسافرين ويكرمونهم غاية الكرم، سلاطينهم عادلة، والقيم الأخلاقية عندهم إسلامية ممتازة، فلا ترى في الأسواق نساء متجملات سائحات، ولا يجرؤ أحد إن يحدث امرأة علانية في الطرقات، تقديراً لمكانتها وحفظاً لسمعتها، وإنك بفضل هذه العادات الطيبة والخصال الحميدة، ترى الخيرات عندهم، والتجارات رابحة والنعم في كل مكان ظاهرة فماؤهم مرئ، وعيشهم هني، وأجسامهم صحيحة، عندهم الكرم واللطف والذوق والمروءة، وعندهم سعادة الدنيا والدين....[٣] .

وكانت القوات العربية والحكام ونواب الولاة تقيم في معسكرات خاصة بها في أطراف المدن وفي الحصون والقلاع خارج المدن، وفي عصر بني أمية أقام

---

(١) انظر: S.M. TKram. History of Muslim civilisation p: 20

(٢) انظر سيد سليمان الندوي: العرب والهندكي تعليقات ص ٢٤١

(٣) أنظر: لحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١.

الوالي العربي في مدينة «برهمان أباد» التي اتخذها محمد بن القاسم مركزاً للحكم وقصراً للإدارة؛ لما لها من أهمية جغرافية وسياسية، ولما بنيت مدينة «المحفوظة» أصبحت مقر للقيادة وأجهزة الدولة، ولما أقيمت مدينة «المنصورة» ١٢١هـ = ٧٣٨م أصبحت العاصمة وموطن القيادة والثقافة والولاة والحكام بسبب ما تميزت به من موقع استراتيجي هام على شاطىء نهر السند، وبقيت لهذه المدينة منزلتها حتى انتهاء فترة الحكم العربي عام ٤١٦هـ = ١٠٢٥م.

أما حاكم الملتان فكان يقيم في ضاحية من ضواحي تلك المدينة تسمى « جنْدراور »، ويدخل المدينة نفسها يوم الجمعة فقط لأداء شعائر صلاة الجمعة، وكانت بيوت الولاة عادية، وحياتهم بعيدة عن الترف اللّهم إلا القليل من أمثال الجنيد بن عبد الرحمن[١] .

وفي العصر العباسي أقام الولاة داخل المدن الكبيرة، واستوطنوا القصور الفخمة تحفها الحدائق والجنات، وعقدوا مجالس حضرها الأدباء والشعراء، ظهر ذلك بصفة خاصة في الدولة الهبارية ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي[٢] .

وكان قواد الجيش يقيمون في ثكنات داخل معسكراتهم أو بالقرب منها، وكانت عبارة عن خيام أول الأمر، تحولت إلى مبان بعد ذلك، وكان القضاة والدعاة والرؤساء يقيمون في بيوت متميزة قريبة من مقر الحكام، فقد كانوا يرافقونهم في مواكبهم ومجالسهم، ويتميزون في عاداتهم وتقاليدهم، ويعرفون بعممهم الكبيرة وملابسهم العربية[٣] .

أما الشعب المسلم فقد انتشر أفراده في العصر العباسي في أماكن

---

(١) أنظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٢٠، ٦٢١

(٢) أنظر: المسعودي: مروج الذهب - ٣٧٦/١.

(٣) أنظر المرجع السابق ٣٧٧/١.

خارج نطاق المدن التي بنوها، وأخذوا يختلطون بالسكان الأصليين ويتبادلون معهم المنافع، ويتزاحمون ويتعاملون في مختلف المجالات، وما أن أهل القرن الرابع الهجري حتى كان الفريقان قداختلطا وامتزجا تماماً، واعتنق كثير من سكان البلاد الأصليين الإسلام بفعل تأثرهم بالثقافة الإسلامية، وامتزاج الدعاة بهم وسلوكهم معهم، وهذا لا يمنع من وجود بعض العناصر السكانية بقيت منغلقة على نفسها تعيش نظامها وحياتها الخاصة دينياً وجتماعياً وثقافياً.

ويمكن تمييز ثلاثة أصناف من الناس في المجتمع الإسلامي بشبه القارة الهندية في الفترة من ٩٢ - ٤١٦هـ = ٧١٠ - ١٠٢٥م :

الصنف الأول: الولاة والعلماء وكبار المسئولين، ويدخل في هؤلاء حكام المدن والمناطق وكبار العلماء والقضاة ورؤساء الدواوين وقادة الجند من الفاتحين، كذلك يندرج فيه من سكان البلاد الأصليين الوزراء المستشارون والمسئولون في المناطق القبلية وبعض الزعماء وعليه القوم ممن انضموا إلى المسلمين أو رضوا بالحكم الإسلامي.

الصنف الثاني: المسلمون من الفاتحين ومن دخل في الدين الجديد من السكان الأصليين ويدخل في هؤلاء التجار وملاك الأراضي وأصحاب المصانع وعامة العلماء والمثقفين، ويدخل فيه كذلك طلاب العلم والموظفون الحكوميون وأرباب المهن وكافة الجنود، وكان هؤلاء يقيمون في مساكن مبنية من الآجر والطين، مزخرفة أو غير مزخرفة، وفقاً للمستوى الاقتصادي، وكانت ملابس الميسورين من أفراد هذه الطبقة تقترب من ملابس الأمراء، بينما تكون ملابس الأفراد العاديين من إزار وقميص عراقي أو من قميص وفوطة سندية[١].

(١) أنظر: الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٣، ١٠٥.

ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص ٧١

الصنف الثالث: ويشكله العمال وأرباب المهن والحرف الصغيرة مثل التجارة البسيطة والحياكة وصناعة الخبز و والفلاحون ورعاة الماشية وصيادو السمك والخدم الذين يعملون في خدمة النبلاء والأغنياء أو يعملون في الوظائف الحكومية البسيطة، وكان بين هؤلاء سنديون اعتنقوا الإسلام، أو عرب استوطنوا السند وعملوا في الحرف المشار إليها، وقد سكن هؤلاء القرى وضواحي المدن داخل بيوت مبنية من الخشب أو الخوص على شكل أكواخ صغيرة، أما الجامع فمبني من أجر وحجر كبير[١] ، وكان عرب المنصورة يرتدون مثلما يرتدي شعب العراق بصفة عامة[٢] .

نعم، قضى على بعض أفراد قبيلتي الزط والميد بلبس ملابس مميزة، ومرد ذلك هو احترافهم السرقة والقتل والنهب خاصة في مناطق الصحراء، فكان الهدف أن يتجنب الناس آذاهم، لذلك عندما تهذبت أخلاقهم، أصبحوا مواطنين عاديين ارتدوا من الملابس مثلما يرتدي كل الناس[٣] .

وقد زار الرحّالة «ابن بطوطة» بلاد السند والهند، وحدثنا عن زينات وملابس طوائف الشعب المختلفة، حقيقة كانت تلك الزيارة بعد انتهاء فترة الحكم العربي الإسلامي، لكن آثار تلك العادات والتقاليد تبقى لأجيال ولا تتغير بين عشية وضحاها، يقول:

«لبس السلطان أو الحاكم والأمراء وكبار القواد ورجال الدولة ببلاد السند والهند عبارة عن نترينات وتكلاوات وأجبية إسلامية، مخصرة الأوساط، وعمائم

---

(١) أنظر: المقدسي: أحسن التقاسيم... ص ٤٧٩، ٤٨٠.

سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٥٠، ٥٤.

(٢) أنظر: أبو ظفر الندوي: دراسة بالأوربية عنوانها: تاريخ السند ص ٣٧١، ٣٧٢، طبع أعظم كده بالهند سنة ١٩٤٧.

(٣) أنظر: فتحنامه سند (بالفارسية) ص١٥٠، ص ٩٠ من الترجمة الإنجليزية.

صغار لا تتعدى العمامة منها خمسة أذرع أو ستة، وملابسهم من البياض والجوخ، وفي الغالب تكون نترية مزركشة بالذهب، ومنهم من يلبس مطرزاً بالكمين مزركشة، ومنهم من يعمل الطراز بين كتفيه، وأقباعهم مربعة الانبساط مرصعة بالجواهر، وأكثر ترصيعهم بالياقوت والماس، ويضفرون شعورهم نوائب، كما يفعل الحكام لمصر والشام، إلا أنهم يجعلون النوائب شراذيب من حرير، ويلبسون الأخفاف والمهاميز في أرجلهم، ويشدون في أوساطهم المناطق من الذهب والفضة ولا يشدون السيوف في الغالب إلا في أوقات السفر، ويذكر المسعودي أن حاكم المنصورة كان يقتني ٨٠ من أفيال الحرب، كما كان يركب أحياناً مركبة تجرها الفيلة، وكان يلبس قلادة وقرطاً ويترك شعره طوياً متدلياً مثلما يفعل ملوك الهنادكة .

ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجري، وعندما استقل الهباريون بالحكم وجدنا الحكام بالسند يستخدمون ألقاب الأمراء والملوك والسلاطين، ويقلدون ملوك الهند في زيهم الخاص من حيث تطويل الشعر وتسبيله ولبس الأقراط والحلي واستخدام فصوص الاس والياقوت، كما قلّدوهم في الخروج إلى الحفلات الرسمية وإلى الصلاة على ظهور الفيلة يحيط بهم العبيد والخدم مع الأعلام والطبول والمزامير(١) .

وأما الوزراء والكتّاب، فزيّهم مثل زي القواد إلا أنهم يشدون المناطق، وأما القضاة والعلماء فلبسهم مرجيات شبيهات بالجنلات والدراريع، وإن لبسوا ثياب الكتان المجلوية من الاسكندرية وغيرها، وكذلك استعمال السروج المحلاة بالذهب، يختص بهذا هؤلاء الذين يهبهم السلطان هذه السروج. أما ملابس

---

(١) انظر: المسعودي: مروج الذهب٢ ص ٩ وما بعدها .

الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٤، ١٠٥.

أبو ظفر الندوي: المرجع والموضع السابق.

العامة فمن القطن الذي يفوق القطن البغدادي حسنًا (١) .

وأمـا المرأة فقد ردت إليها كرامتها وأصبحت موضع تقدير وإعـزاز ، وارتفع عن كاحلها كثير من الذل والهوان والظلم ، وأعلى الحكم الإسلامي من قدرها كما حدث في المناطق الأخرى التي نعمت بنور الإسلام (٢) وكانت ترتدي ملابس أعدت بحيث تسمح لها بالحركة أثناء الصلاة. والجسم كله مغطى ، إلا أنها كانت تلبس في العادة « الشلوار قميص » مع « دوبطة » تغطي الرأس (٣) .

ولم تكن هناك هجرات عربية على نطاق واسع بعد فترة محمد بن القاسم ، وكان التأثير العربي يقل تدريجيًا ، وإن بقيت السند والملتـان على عـلاقات وطيدة بالأقطار العربية خاصة العراق ومصر .

وبرغـم أن الفتح الإسلامي كان يقتصر على القسم الشمالي من باكستان الحالية ؛ إلا أن الاتصالات والعلاقات بين المسلمين وبين سكان شبه القارة الهندية كانت أوسع مدى وأكثر عمقًا ،

---

(١) ابن بطوطة الرحالة المعروف ج٢ ص ٩٣ - ٩٥ .

(٢) انظر في ذلك المسعودى : مروج الذهب ج٢ س ٩.

سليمان التاجر : سلسلة التواريخ ص ٥٠ .

(٣) انظر : Annemarie Schimmel: Islam in India and Pakiston, P.3.

فالتجار والبحارة العرب جابوا بتجاراتهم كل المنطقة الساحلية من شبه القارة ، وبعد ظهور الإسلام ، وجدنا قيام مناطق إسلامية عربية في عدد من الموانى الكبرى مثل « كامباي Cambay » و « شاول Chawl » و « هاناور Honawar » ، بل إن المسلمين وصلوا إلى سرنديب أو سيلان حتى قبل ذلك ، وقد مرّ بنا أن فتح المسلمين للسند حركته رغبة « الحجاج » في أن يثأر لليتامى والنسوة والأرامل ، ممن تعرضوا لسلبٍ ونهبٍ وإهانةٍ أثناء عودتهم من بلاد سيلان ، بل إن الحجاج المسئول عن العراق والولايات الشرقية ، تقع على عاتقه - ولو بصورة غير مباشرة - بناء مناطق .

وإقامة واستقرار عدد كبير من المسلمين العرب في الشمال ، ذلك أنه أضطهد أثناء ولايته على العراق عدداً كبيراً من بني هاشم أعدائه الأبداء ، فجهر هؤلاء أقليم العراق إلى حيث الآمن على الشاطئ الشمالي من شبه القارة الهندوباكستانية ، وشكل هؤلاء نواة مجتمع مهم .

حيث زاد التأثير العربي وتضاعف بعد ذلك في « آراكان » ونحو القرن الثالث عشر الميلادي ، زينت الشواطى من « أعظم » إلى « مالايا » بمساجد جميلة المنظر عرفت باسم « بدر مكناس » .

وقد كانت التجمعات السكانية الإسلامية على السواحل مهمة لأنها تعتبر القاعدة أو المنطلق الذي خرج منه التجار والبحارة والدعاة بهدف نشر الإسلام في بلاد الشرق الأقصى في « جزر الملايو وأندونيسيا » فالتحرك نحو الشرق لم يكن نتيجة لإسهام العرب في تجارة التوابل بجنوب شرقي آسيا ، بل هو استمرار لعلاقــات هندية تقليدية مع البلدان الأبعد في اتجاه الشرق ، فمنذ أزمنة بعيدة وجنوب شرقي آسيا يتأثر كثيراً بالدين والأدب والفن في الهند ، وعندما انتشر الإسلام حل التأثير الإسلامي محل ذلك التأثير الذي كان للبراهمة والبوذيين ، وقد بقيت « بالي Bali » هندية حتى اليوم ، أما الملايو وجاوه وسومطره فبها أغلبية مسلمة ، تدين بتقاليدها إلى التأثيرات الهندوباكستانية ، وإلى المهاجـرين الذين جلبــوا هذه التأثيرات إلى جنوب شرقي آسيا سواء كان بحارة أو تجاراً ، عربًا أو فرسًا لكن دور المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية لم يكن أقل أهمية ، خاصة المسلمــــون في مناطق « جُوجـــــارات Gujarat » و « مالابـــــار Malabar » و « كورومـــــانداال Koromandal » و « البنغال Bengal » (١) .

(١) انظر : S.M. Ikram: History of muslim civilisation iv India, pp. 241 - 260 .
- Muhammad Zahk Arab accounts of India, P. 50, Delhi, India 1981.

ويذكر المسعودي أن العربية والسندية كانتا لغة الحديث في بلاد السند أثناء زيارته لها ، لكن التأثيرات الفارسية كانت أيضًا قوية خاصة بعد قيام الديلميين ، لقد بدأت الروابط العربية / الهندية في الضعف عندما تراخت قبضة بغداد السياسية عن هذه الأراضى ، وهذا هو ما يشير إليه باحث تناول فترة ازدهار العلاقات ثم تدهورها هو « ساشاو » حيث يقول :

« في الحال بعدما أصبحت السند لاتتبع بغداد من الناحية السياسية ، توقفت كل الاتصالات ، فتحول الأدب العربي إلى قنوات أخرى ، ولم نعد نرى ذكر لعلماء الهند في بغداد ولا ترجمات عن اللغة السنسكرتيه » (٢) .

ولقد تعرضت المنطقة الإسلامية لكثير من الزلازل ولحقت بها أضرار كثيرة

---

(٢) E.C. Sachau. Tr. Alberunis India, 1, XLI, XLii

بسبب ذلك وبسبب الفيضانات، بل ترتب على ذلك تغيير مجرى نهر السند نفسه، فزالت مدن كثيرة بسبب ذلك التغيير بمقدار أميال يميناً وشمالاً، وهذا هو السبب في عدم بقاء مدينة من المدن العربية قائمة اليوم، كما أن تحديد موقعها يثير جدلاً بين الباحثين.

ويرغم أن الآثار المرئية لفترة الحكم العربي وسيادته قد طمست، فإن التأثيرات غير المنظورة كثيرة، ومعظمها في محافظة السند التي كانت تسمى «حجاز شبه القارة الهندوباكستانية». فالأبجدية التي تأخذ بها اللغة السندية هي الأبجدية العربية ، وليست الإبجدية العربية ـ الفارسية المستعملة في اللغات الإسلامية الأخرى بشبه القارة الهندية، أنها تتضمن نسبة كبيرة من الكلمات العربية السليمة أو المحرفة، كذلك هناك عدد كبير من الأسر القيادية في السند تنتمي لأصل عربي، بل أن هناك من أعدوا جداول أنسابهم بحيث يحصل لهم شرف الانتماء لأصل عربي.

أما النموذج الاجتماعي في السند، فكان نموذجاً قبائلياً عربياً لدرجة كبيرة وحتى زمن قريب، ومكانة شيخ القبيلة في السند مأخوذة من النظام العربي ، بل أن كلمة«واديرا»بمعنى زعيم القبيلة ترجمة لكلمة عربية مماثلة، أما الفضائل العربية مثل كرم الضيافة وما إلى ذلك، فإنها على الدوام مشهورة بالسند، والنظرة إلى العلماء العرب واحترامفقهم وفضلهم ما تزال سائدة حتى المناظر الطبيعية وإقامة سدين على نهر السند الأعلي والأدنى، تذكرنا برجل من الصحراء وبالجزيرة العربية ومنظر الرعي وبكثير من مناطق النخيل وقوافل الجمال(١).

---

(١) انظر S.M.Ikram. history of muslim civilisation...PP. 20 - 24.

أما ناحية العمل فقد عمل العرب بالزراعة والتجارة كما كان بينهم حرفيون وصناع مهرة في بعض الصناعات وكانوا في البداية يعتمدون على الهنود في كل شيء من المعمار إلى الزراعة ووظائف الخدم، لكنهم ما لبثوا أن تعلموا من الهندوس كيفية زراعة المحاصيل وبناء المنازل وعمل الملابس المناسبة لمناخ البلاد بل وقيادة الفيلة وشيئاً فشيئاً سيطروا علي كل ذلك وأخضعوه لحاجاتهم وضروراتهم، وساعد على ذلك انتشار الإسلام بين الفئة المطحونة في طبقات المجتمع، ولم تخل الجماعة المسلمة من وجود قصابين وسقائين ورسامين وزخرفين ومن يساعد على غسل وتجهيز الموتى حسب شريعة الإسلام بالإضافة إلى أطباء يعالجون المرضى وفقا للإسلوب العربي اليوناني، وايضا وجد بينهم خطاطون ونساخون للقرآن الكريم والكتب الأخرى وموسيقيون وشعراء وقصاصون، وأيضا نجارون وحلاقون وترزيه ونساجون، مستأجرون وحدادون... إلخ[١] .

الأوضاع الاقتصادية:

أما من الناحية الاقتصادية، فقد كانت الحياة بسيطة خلال فترة الحكم العربي للسند والملتان وقد تمثلت موارد الدولة فى الزكاة والعشور والخراج المقررة على المسلمين وفى غنائم جيش المسلمين من عدوه، وأيضاً فى الجزية وضريبة الأراضى التى يؤديها غير المسلمين، وفقاً للأحكام المقررة شرعاً والتى يطبقها حكام السند مثلما يطبقها حكام الأقاليم الأخرى فى الدولة الإسلامية.

وهناك ثلاثة أنواع من الأراضى لايفرض عليها الخراج فى البلاد المفتوحة، وإنما يدفع عنها العشور وتسمى أراض عشرية لأن ملاكها من

---

(١) انظر Muhammad Yasin: A social history of Islamic India, p. 29, 30, Lahore, Pakistan, 1958 ورغم ان ذلك يشير لفترة متاخرة عن تلك الفترة التى تعرض لها، فإن الثبات والاستقرار يغلب على تلك لأشياء ذات الطابع الاجتماعي . فلا تتغير بسهولة كما أسلفنا

المسلمين وهى الأرض التى اسلم أهلها بدون حرب أو قتال ثم الأراضى التى فتحها المسلمون عنوة أثناء الفتوحات ووزعت على المقاتلين والأرض التى تؤخذ من المشركين أثناء الحرب وتعتبر غنيمة يملكها الفاتحون ويدفعون عشر غلتها[١].

وهذا أمر يختلف عن عشور التجارة أو الضريبة التجارية التى كان معمولاً بها فى بلاد السند، وهى عبارة عن ١٠٪ من قيمة تجارة غير المسلمين والذميين التى تمر بالبلاد الإسلامية، ٥٪ من قيمة تجارة أهل الذمة ممن فتحت بلادهم ولم يعتنقوا الإسلام، ٥ر٢ من قيمة تجارة المسلمين داخل البلاد الإسلامية، وقد بلغت حصيلة هذه الضريبة مليون درهم فى أواخر القرن الرابع الهجرى[٢] ولكن الرحالة ابن بطوطة يذكر أن نسبة هذه الضريبة ارتفعت ببلاد السند إلى ٢٥٪ فى القرن الثامن الهجرى[٣] .

وكانت الجزية المفروضة على من لم يرتض الإسلام ديناً تتراوح بين ٤٨ درهما ، ١٢ درهما حسب المستوى الاقتصادى للفرد[٤] وكان مجموع ما يحصل من هذه البلاد يدخل ضمن إيرادات الدولة الشرقية، وقد بلغت جملة إيرادات السند من جزية وخراج ٥ر١١ مليوناً من الدراهم زمن الخليفة هارون الرشيد ومن بعده من الخلفاء حتى المعتصم[٥] .

وكان يتولى تحصيل الزكاة والعشور موظفون من المسلمين العرب وغير العرب، أما الجزية والخراج فكان يقوم بتحصيلها غير المسلمين من البراهمة

---

(١) انظر : الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٣١.

(٢) انظر : المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٤٨٥.

(٣) انظر : الرحلة ج٢ ص ٩

(٤) انظر : Eliot, Histary ..1, 182

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٥٦، الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٨٢

خاصة، نظراً لخبرتهم بالبلاد ومقدرتهم على الحساب، لدرجة أن الأمراء وكبار التجار استعانوا بهم لأداء هذه الأعمال المحاسبية[١] . بل يقال إن خازن بيت المال بالبصرة فى زمن سيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه كان من أهل السند[٢] .

أما عن المغانم فنحن نعرف أنه منذ الفتح الإسلامى، فإن الوالى كان يبعث بخمس ما يغنمه فى المعارك الحربية من الأموال النقدية والمنقولة ويرسل به الى دار الخلافة، ثم يوزع الأربعة أخماس الباقية على أفراد الجيش المقاتل فى السند[٣] .

أما من الناحية الانتاجية فقد شهدت البلاد تطوراً ملحوظاً فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة[٤] .

ويبدو أن كل البلاد كانت مزروعة مغطاة بالإشجار والحقول فقد ذكر المسعودي عدداً كبيراً من القرى الصغيرة في أمارات الملتان والمنصورة.

أما التجارة فكانت نشطة بين السند وبين مناطق أخرى من العالم الإسلامي، وكانت القوافل كثيرا ما تروح وتجيء بين هذه البلاد وبلاد خراسان عن طريق «كابل» Kabeul و«باميان» Bamian كما كانت لها اتصالاتها بـ«زابوليستان» Zabulistan وسجستان Sijistan عن طريق غزنة Ghhazni وقندهار kandhar وكان للسندين الهنود الذين يعملون بالحساب

---

(١) انظر فتحنامه سند ص ٢٠٩، ٢١٤ وما بعدها ، ص٨٦ من الترجمة الإنجليزية

(٢) انظر البلازرى : فتوح البلدان ج٢ ص ٤٦٢.

(٣) انظر فتحنامه سند ص ٢٠٧ وما بعدها، ص ١٠٨ من الترجمة الانجليزية

(٤) انظر: K. Ali, A. S. Bukhari: A. new history. p. 148.

والتجارة نصيب ممتاز في هذه الرحلات التجارية، كما تذكر منطقة «ألور» Alor على أنها مركز تجاري عظيم، كذلك نشأت صناعات جديدة، وتطورت صناعات كانت قائمة، فلنخص كل جانب من جوانب الحياة الاقتصادية بكلمة:

فيما يتعلق بالزراعة فإن تربة بلاد السند تتميز بالصلابة، وهي من النوع الأصفر، وتتنوع في المناطق الساحلية، وتكون في معظمها رملية مختلطة بتربة بيضاء دقيقة، وقد تكون مالحة لا تصلح للزراعة كما قد تكون نسبة الملوحة فيها قليلة ، فتظهر فيها بناتات وأعشاب تصلح للرعي، والتربة خصبة في السند بصفة عامة، وأرضه عبارة عن سهول منبسطة خضراء تكثر فيها الأنهار والقنوات المتفرعة عنها خاصة في المناطق الجنوبية حيث تجود زراعة القمح والشعير والقطن.

وتختلف المحاصيل الزراعية من منطقة لأخرى حسب نظام الري والمناخ ونوع التربة وغير ذلك فهناك مناطق تعتمد على مياه الأمطار في ري أراضيها الزراعية صيفاً، أما باقي المناطق الزراعة فتعتمد الزراعة فيها علي مياه الأنهار والآبار والعيون.

ومن خلال ما ذكر الجغرافيون والمؤرخون والرحالة الذين زارو شبه القارة الهندية في الفترة التي تعرض لها أو فى غيرها، يمكن أن تقول أن المحاصيل الزراعية في زمن الحكم العربى كانت تشمل القمح والشعير والذرة والأرز علي واحد وعشرين نوعاً والعدس والحمص واللوبيا والسمسم وقصب السكر والنخيل والليمون والموز والبرتقال واليوسفى والمانجو والعنب -علي قلة- والرمان والمشمش والتوت والكمثرى والتفاح والخيار والقثاء والعجور واللوز والنارجيل والمسك والكافور والعنبر والقرنفل والسنبل والخولجان والدار صيني والهليلج والفلفل والليمون والفارنج والتمر هندي الزهر والخضاب والنانيول والأبنوس والبقم والجوزيرا والسندل والتوبا والساج والقطن وكثير من

الخضروات والرياحين والأزهـار [١]

وعندمـا بنى المسلمـون مـدينة المنصـورة وأقـامـوا أقليـمـا في مكان أقليم «برهمان أباد» القديم أنشئت مناطق زراعية حملت أسماء القبائل التي سكنتها، وبذلت كل جهد ممكن لتحسين الزراعة فيها، لأن عاصمة البلاد تقع فيه، وقد وجدت فيه غلات زراعية كثيرة ومراع لتربية الماشية والأغنام، وقد أصبح هذا الأقليم بعد فترة قصير من أعظم الأقاليم الزراعية، ففي أوائل القرن الرابع الهجري كان عدد القرى والضيـاع الملحقة به ثلثمائة الف قرية كلها زروع وإشجار وعمائر متصلة[٢] وذلك بسبب وقوع المنصورة في حضن نهر السند وخصوبة أراضيها واهتمام العرب بأساليب ريها، لقد أحاط بها فرع من فروع نهر السند فجعلها جزيرة خضراء تتخلها ترع وقنوات لتحسين نظام الري[٣] فلا غرو أن اشتهرت بحدائقها وبساتينها وكثرت فيها غلات المناخ والمناطق

---

(١) انظر مثلاً: ابن خردانبه : المسالك والممالك ص ٥٦، ٦٢، ٧١.

الاصطخري. ‥ ص ١٠٣، ١٠٥.

المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٤٧٩ - ٤٨١.

ابن حوقل: المسالك والممالك ص ٢٢٧، ٢٢٨

المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٤، ٤٥.

ابن بطوطة: الرحلة جـ ١ ص ١٤، ١٩.

القلقشندي. أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣ ط القاهرة ١٩٦٣م.

هذا وقد ذكر عبد المنعم النمر حاصلات الهند الزراعية، وتحدث عن خصائص بعضها انظر كتابه تاريخ الإسلام في الهند ص ٧ وما بعدها. القاهرة ١٩٨٩م وانظر عن نفس الشيء. غوستاف لوبون: حضارة الهند. ص ٧٦ - ٨١ من ترجمة عادل زعيتر

(٢) انظر: المسعودي مروج الذهب جـ ١ ص ١٩٠

(٣) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم. ص ٤٨٢، ٤٨٣.

الحارة مثل النخيل والنارجيل والموز والليمون والمانجو وقصب السكر [١].

كذلك عرفت مدينة «ألور» التابعة لهذا الأقليم ببساتينها ورياضها وأزهارها بسبب موقعها علي الشاطئ الشرقي لنهر السند.

أما أقليم الملتان فيمتميز بأرضيه الواسعة الخصبة، التي يعتمد في ريها على نهر السند وفروعه فهذا الأقليم يقع شمال غرب نهر السند وتجود فية زراعات الأرز والقمح والشعير والخضروات والبقول وبه من الفواكه النخيل والنارجيل والموز، وكانت منطقة «اسكلنده» تتبع هذا الأقليم زمن الحكم العربي» وتقع مدينة «قنوج» في اقصاه وتمتاز ببساتينها ومزارعها وغلاتها مثل القمح والأرز وتعتمد الزراعة فيه علي الأمطار والآبار [٢].

أما الديبل : فهي ميناء تجاري بالدرجة الأولى، ولهذا قلت بها الحاصلات الزراعية.

ويغلب التصحر والقحط والضيق علي أقليم مكران وترتفع درجة الحرارة فيه ومع ذلك ففيه كثير من المحاصيل الزراعية وشبه الزراعية وتكثير فيه المراعى وبعض المنتجات مثل قصب السكر والنخيل والخيرزان وبعض الفواكه[٣].

وكانت هناك منطقة واسعة تسمى منطقة كامهل كانت تقع بين الملتان والطوران والمنصورة ومكران، وكان يسكنها بعض القبائل الرحل الذين يعتمدون

---

(١) انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق ج٧ من الاقليم الثاني

(٢) انظر: سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ١٢٦.

(٣) انظر: الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٥

الإدريسي: نزهة المشتاق الجزء والموضع السابق

ابن خرداذبه: المسالك ص ٥٦

في حياتهم علي رعي وتربية الماشية والتجارة فيها وخاصة الجمال[1].

لقد بلغت المنتجات الزراعية من الوفرة حداً سمح بتصديرها إلى خارج البلاد في أواخر القرن الثالث الهجري ، من ذلك العنبر والفلفل والبقم والقرنفل والخيزران والسكر والفانيذ وماء الكافور والزهرة والخضاب والصندل والعود والنارنج والنارجيل (جوز الهند) والياقوت والماس والفواكه والطيور ومن بلاد السند الهندية إنتقلت زراعة الموز والمانجو وغيرها إلى بعض البلاد العربية[2] .

ويذكر للحكام العرب إنهم أول من أقام السدود وشق القنوات وأقام الخزانات ونظم الري وإنهم بنوا الكباري في مناطق مختلفة من بلاد السند، وبذلوا أقصى جهودهم لتحسين الزراعة، وهناك العديد من الكباري والقناطر أقامها العرب على الأنهار لأغراض عسكرية وتجارية مثل تيسير نقل البضائع بين البلاد المختلفة، وكان أول الكباري ذلك الذي بناه محمد بن القاسم وعبرت عليه القوات الإسلامية من غرب إلى شرق نهر السند قبل لقائها بجنود الملك «داهر»[3] .

---

(١) انظر: ابن خردانبه: مسالك.... ص ٧١.

(٢) انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم ... ص ٤٨٠، ٤٨١

الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٥.

ابن الفقيه. أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني

مختصر كتاب البلدان ص ١٦ طبعة لندن ١٣٠٢ هـ

المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٤، ص ١٧٢ - ١٧٤، ص ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٥٠، جـ ٤ ص ٢٤٢

(٣) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٥ وانظر ص ٤٩ من هذا البحث

الصناعة:

عرفت بلاد شبه القارة الهندية كثيراً من الصناعات ، بعضها كان قبل الحكم العربي وحقق تقدماً في زمنهم، والبعض الآخر عرفته تلك البلاد زمن الحكومة الإسلامية العربية.

من الصناعات التي عرفتها بلاد السند، واشتهرت بها بعض مدنها خلال تلك الفترة، صناعة الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية، وصناعة الجلود والأحذية وصناعة السجاجيد والبسط وصناعة الحلي والمجوهرات وصناعة العطور والكحل والسكر والحلويات والخل والأدوية والزيوت والشمع والكبريت والأواني والعاج والأوراق والأقلام والزجاج وصناعة الألعاب والتحف وصناعة الأثاث والقوارب والسفن والأسلحة.

ويصف «سليمان التاجر» المنسوجات القطنية في بلاد السند بأنها تمتاز بالحسن والدقة[1] ويقول القاضي رشيد أن المنسوجات من الحرير الطبيعي كانت تقدم هدايا للخلفاء، وقد أهدى والي السند إلى الخليفة المعتمد ٢٧١هـ - ٨٨٤م هدايا ثمينة من إنتاج السند، من بينها أقمشة حريرية نفيسة[2] ، كما يتحدث «الإدريسي» عن المنسوجات الحريرية الصناعية في بلاد شبه القارة الهندية فيقول:

وتصنع ثياب الحشيش، وهذا الحشيش هو نبات يشبه نبات البردي وهو القرطاس، ويسمى بذلك لأن أهل مصر، يعملون منه القراطيس، فيأخذ الصناع

---

(١) انظر: سلسلة التواريخ ص٨.

(٢) انظر القاضي رشيد بن زبير: الذخائر والتحف ص ٣٥٩

وانظر عن الصناعات الهندية في العصر الإسلامي وقبله أيضاً: غوستاف لوبون: حضارة الهند ٥٤٨ . ٥٥٧ ٥٦٣ من الترجمة العربية.

منه الطيب، ويتخذون منه ثياباً مثل ثياب الدجاج، ملونة حسنة، وتصدر هذه المنسوجات وثيابها إلى البلاد العربية وخاصة اليمن وغيرها من البلاد المجاورة(١) .

كذلك يقرر الجغرافيون والرحالة أن صناعة المنسوجات الصوفية معروفة في بلاد السند والهند وأن أهل هذه البلاد ينسجون القميص بكمية وياقته وخبيبه مفروغاً باليد(٢) ، كذلك عرفوا تزيين الملابس باستخدام الخيوط النفيسة من خرز ولآلئ، وبعض الأحجار الكريمة كالياقوت والفيروز والمرجان وغيرها، خاصة ملابس الملوك وحاشيتهم، وملابس وأدوات من يقيمون في القصور من الأمراء وعلية القوم وكبار التجار ونحوهم(٣) ، كما عرفوا التفنن في الألوان عن طريق صبغ الأقمشة والجلود(٤) .

أما صناعة الجلود والأحذية، فقد شهدت تقدماً في عهد العرب، ويذكر المقدسي أن العرب كانوا يستوردون الأحذية من بلاد السند وكانوا يسمونها الأحذية «الكهمبائية» (الكنباتية) نسبة إلي مدينة «كهمبايت» الهندية، وظلت تعرف بذلك حتى بعض تصنيعها بمدينة المنصورة(٥) ويذكر المؤرخون أن صناعة البسط والسجاجيد كانت تتم بصفة خاصة في أقليم طوران ببلاد السند، وقد

---

(١) انظر: نزهة المشتاق جـ٨ الاقليم الأول

(٢) انظر: سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٨.

(٣) انظر: القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣، ٨٤

القاضي رشيد : الذخائر والتحف ص ١٤، ٢٤، ٢٥

(٤) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم... ص ٤٨٢

(٥) انظر المقدسي نفسه. وكذلك المسعودي، مروج الذهب جـ ص ١٣٢ ويسميها النعال الكنبانية الصرارة، نسبة إلى بلاد كنباية من أرض الهند. هذا وفي كتاب تاريخ الإسلام في الهند للدكتور عبد المنعم النمر حديث عن بعض هذه الصناعات. انظر ص ١٤، ١٥

أهدى أمراء السند إلى الخليفة المأمون ١٩٨ - ٢١٨ هـ - ٨١٣ - ٨٣٣م ثلاثة سجاجيد بوسائدها، مصنوعة من ريش طائر يقال له «السمندل» ولم تكن تحترق بالنيران أو تتأثر بها[1] . وقد أصبح لهذه الصناعة قيمة كبرى بعد أن شاع استخدام السجاجيد في منازل أهل السند منذ الحكم العربي.

أما عن صناعة الحلي والجواهر فهذا أمر عرفت به هذه البلاد منذ قديم الزمان. وقد وصفها القلقشندي: فقال عنها أن في قصور بحارها اللؤلؤ وفي جبالها الجواهر، ومعادن الذهب والفضة وحسبك ببلاد في بحرها الدر وفي برها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس، وفي شعابها العود والكافور، وفي مدنها أسرة الملوك[2] ويضيف أن عند أهل السند والهند نوع من الزمرد يسمى الزمرد البحري كان ملوك البحر في هذه البلاد يتباهون باستعماله في التيجان والخواتيم والأساور، وهناك نوع آخر يعرف باسم «الزمرد المكي» لأنه يحمل إلي عمان وغيرها من سواحل اليمن ثم ينقل إلى مكة. وقد اشتهر باسمه لكثرة التجارة فيه بتلك المدينة المقدسة، ويذكر القاضي رشيد أنه عندما قتل عمران بن موسى البرمكي ٢٢٧ هـ - ٨٤١م عندما كان والياً على بلاد السند، وجد بين أمواله وأمتعته بعض التيجان المكللة بالجواهر والذهب والفضة[3] .

وقد عرفت صناعة العطور والروائح الطيبة في بلاد السند والهند من أقدم الأزمنة، وزادت شهرتها وكثرت التجارة في ذلك المجال زمن الحكم العربي، نظراً لاهتمام الخلفاء العباسيين باستخدام الروائح والعطور الهندية. ويجعل المسعودي أصول الطيب خمسة أصناف هي المسك والكافور والعنبر والزعفران

---

(١) انظر: سيد سليمان الندوي: العلاقات بين العـ [illegible] الأوردية ص ٦٤

(٢) انظر: مروج الذهب جـ ١ ص ١٢٧ وكذلك الـ [illegible] الأعشى [illegible] ص ٦١، ٦٢

(٣) انظر: الذخائر والتحف ص ١٨ وكذلك المسعودي مروج الذهب جـ ص ٤٤، ٤٤٦

والعود، والأخير أفضلها وأكثرها رواجاً عند العرب وعند الخلفاء والحكام خاصة، ويذكر أنها تحمل من بلاد السند والهند إلى بلاد العربية، كما يوجد بعضها في الأندلس[١] .

وتستخرج تلك العطور في شبه القارة الهندية من بعض النباتات والرياحين والحشائش وبعض الأخشاب ومن دم بعض الحيوانات، ويضاف إلى ما سبق القرنفل والأفاويه والهلبون والورد والنيلوفر والبنفسج والبان والخلاف والعبهر والنرجس والقاغية وهي التمر حناء والورق الكازي ومسك الظباء ومسك الزباد وغيرها، وعندهم من الحلوى خمسة وستين نوعاً[٢] .

أما صناعة الأدوية والعقاقير الطبية المستخلصة من النباتات فقد انتشرت بكثرة خلال فترة الحكم العربي لبلاد السند، واستفاد العرب أنفسهم من تلك الكتب التى ترجمت في هذا الميدان من السنسكرتية إلى العربية والمشار إلي بعضها فيما سبق[٣] كما ذهبت الوفود العلمية إلي بلاد السند والهند في العصر العباسي . وأطلعوا بأنفسهم علي الكتب والأدوية الأخرى، واستفادوا

---

(١) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ص ٦١، ٢٤٤، ٣٦٧ وكذلك القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ١٤، ٢٤، ٣٢، ٣٥، ٣٩، ١٧٦، ١٨٥.

السيرافي: سلسلة التواريخ ص ١٣٨

(٢) انظر: المسعودي، مروج الذهب جـ ١ ص ٤٤، ٤٥٠، ٤٥١

القلقشدي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣.

القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ١٤، ٢٥، ٢٠٢.

سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ١٣٨

(٣) انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٢.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٩٤.

ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٣٢

عن طريق الاتصال الشخصي بالأساتذة في هذا المجال. وأول وفد علمي ذهب لهذه المهمة هو ذلك الوفد الذي أرسله الوزير العباسي، يحي البرمكي في القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي.

ويذكر المقدسي أن صناعة الأدوية والعقاقير الطبية كانت معروفة في مدينة المنصورة وغيرها من المدن السندية الأخرى، وأنها كانت تصدر إلى البلاد العربية وغيرها[١] ، ويشير المسعودي إن صناعة الأدوية كانت ممتازة ومتقدمة بهذه البلاد في عهد العرب[٢] ، ويذكر «الإدريسي» أن أهل السند والهند يحسنون تراكيب اختلاط الأدوية التى يسكبون بها الحديد اللين[٣] أما ابن بطوطة فيذكر أنهم يركبون حبوباً يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو أشهر فلا يحتاجون في تلك المدة إلى طعام ولا شراب[٤] ، كما كانوا يستخدمون الكحل دواء للعين وزينة[٥] .

وتشهر صناعة السكر في مدن كثيرة بالسند، في إقليم مكران خاصة، نظراً لرواج زراعة قصب السكر فهو عندهم أكثر من الكثير كما ينتج العسل بكميات كبيرة ويتم تصديره للبلاد الأخرى ومن الشيّرج وقودهم، ولا يوجد الشمع إلا في دور السلطان[٦] .

---

(١) انظر: أحسن التقاسيم ... ص ٤٨١.

(٢) انظر مروج الذهب جـ ص ٢٤٤

(٣) انظر نزهة المشتاق جـ ٨ أقليم ١.

(٤) انظر رحلة ابن بطوطة جـ ٢ص ١٢٢.

(٥) انظر سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٢٣

(٦) انظر الإدريسي: نزهة المشتاق جـ ٨ أقليم ٢

الاصطخري المسالك والممالك ص ١٠٦،١٠٥

ابن خردانبه المسالك والممالك ص ٨٠

القلقشندي صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣

البلاذري فتوح البلدان جـ ٣ ص ٥٣٤

صناعة الخل. لم يكن الخل معروفاً بتلك البلاد في أول الحكم العربي وقد مرّ بنا أن «الحجاج» زود الجيش الفاتح بحاجته منه، كما أمده بعد ذلك بكميات وفيرة عندما احتاجوا إلى هذا المادة للأغراض الطبية، لكن ما أن جاء القرن الثالث الهجري حتى عرف أهل السند والهند هذه الصناعة، يقول سليمان التاجر، وهو بصدد الحديث عن جوز الهند، «وشراب النارجيل هو شراب أبيض، فإذا شرب عندما يؤخذ من النارجيل، فهو حلو مثل العسل، وإذا ترك ساعة صار شراباً، وإن بقي أياماً صار خلاً»[1] . كذلك اتخذوا الخل من عصير العنب كما اتخذوه من ماء الأرز المطبوخ يحمضونه حتى يصير بمنزلة الخل[2] .

أيضاً عرف أهل السند والهند صناعة الزيوت واتخذوها من بعض الأعشاب والنباتات واستخدموا بعضها في الوقود والإنارة، وبعضها كزيت الزيتون في الطعام، وجلبوا بعضه من الخارج كما استعملوا الشمع في قصور الأمراء والحكام للإنارة كما سبقت الإشارة أما فتيلة الزيت فكانت تستخدم للإنارة في المنازل[3] .

ويشير الجغرافيون والمؤرخون إلي أن «الساج» كان موجوداً في بلاد السند والهند، وكان يستعمل في الصناعة ويصدر منه إلي البلدان المختلفة، وعرفت مدينة الملتان خاصة بصنع الأواني من الساج وراجت تجارته بها[4]

---

(١) انظر سليمان التاجر : سلسلة التواريخ ص ١٨، ٥٢ .

(٢) انظر: ابنُ رسته: ابو علي أحمد بن عمر. كتاب الأعلاق النفيسة ص ١٣٢، طبع ليدن سنة ١٨٩١

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى جـ ص٨٣.

(٤) ابن خردانبه: المسالك والممالك ـ ص ٦٦ .

ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٢٥١ .

المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٥٠

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٤

وكانت تصنع أواني الذهب والفضة للحكام خاصة، وقد أرسل عمران البرمكي والي السند إلى الخليفة العباسي هدايا كثيرة بينها الأواني الذهبية والفضية، ولما قتل ذلك الوالي سنة ٢٢٧هـ - ٨٤١م وجد بين متاعة الكثير من الأواني الذهبية والفضية. فأمر الخليفة الواثق بتصنيع مائدة كاملة الصحاف والأدوات من ذلك الذهب[١] .

وقد ذاعت صناعة العاج في بلاد السند وبلاد الملتان خاصة، نظراً لكثرة الفيلة بتلك المناطق، وكما عرفت الملتان بصناعة العاج، عرفت بصناعة أشياء كثيرة من العاج، وكان في وسط تلك المدينة سوق للمنتجات والصناعات العاجية كالعلب والصناديق ومقابض الأسلحة والسكاكين وحلي الزينة للنساء، هذا بالإضافة إلى منتجات على أشكال مختلفة من الطيور كالغزال والفيل[٢] .

وقد اشتهرت هذه البلاد بانتاج نوع من الورق عرف باسم «الكاذي» استخدمته في الكتابة كما عرفت أقلاماً متخذة من أنواع القصب وخشب الفلفل ببلاد السند في العهد العربي بالإضافة إلي أنواع مختلفة من الأحبار وقد وجدت صناديق من الأقلام المبرية وغير المبرية في خزينة الخليفة المستنصر بالله عند وفاته ٤٦١هـ - ١٠٦٨م كانت قد أرسلت إليه من بلاد السند[٣] .

وفيما يتعلق بصناعة التماثيل، فقد كان من الطبيعي أن تروج في هذه البلاد الهندية، نظراً لانتشار المعتقدات الوثنية بها، ولذلك يقول «الجاحظ» عن

---

(١) القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ١٨٦.

(٢) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٩٠ - ١٩٤

المقدسي أحسن التقاسيم ص ٤٨١.

(٣) انظر القاضي رشيد الذخائر والتحف ص ٢٢٥

أهلها: «لهم خرط التماثيل ونحت الصور بالأصابع»[١] أي أنهم حتى بعد الإسلام تميزوا بالمهارة في صناعة التحف والتماثيل وخرطها، وتلوين الصور بالأصباغ والألوان الزيتية .

وقد أهدى «موسى بن عمر بن عبد الله الهباري» والي السند للخليفة المعتمد على الله ٢٧١هـ - ٨٨٤م هدايا من بينها تماثيل مصنوعة من الفضة الزينة[٢] . ليس هذا فقط بل إن أهل هذه البلاد تفننوا في صنع تحف عجيبة قدموها هدايا للحكام، من ذلك ما يروي من أن واحد من ملوك هذه البلاد قدموا إلى الجنيد بن عبد الرحمن، والي السند في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ١٠٧ - ١١١ هـ - ٧٢٥ - ٧٢٩م هدية عبارة عن ناقة مرصعة بالجواهر، قد ملئت أخلافها لؤلؤاً ونحرها ياقوتاً أحمر، ووضعت على عجل من فضة، وكانت إذا تركت على الأرض تحرك العجل فمشت الناقة، فبعث بها الجنيد إلى الخليفة هشام فاستحسنها، أما الشخص الذي جاء بها فقد أنزل أخلافها، فانتشر اللون في علبة من الذهب كان يحملها، وفك عنقها فسال الياقوت منه كأنه الدم، وقد أعجب بها الخليفة وحاشيته وبقيت في خزائن بني أمية حتى انتقلت منها إلى بني العباس[٣] ، ومثلها تحف ثمينة أخرى أهديت لبعض خلفاء بني العباس[٤] .

كذلك عرف أهل السند والهند الأسرّة والكراسي وغير ذلك مما يتخذ من أنواع الخشب المختلفة، وقاموا بتصدير ذلك للبلاد العربية، ومما يذكر أن

---

(١) انظر: رسالة فخر السودان .. ص ٤.

(٢) انظر: القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ٢٤

(٣) انظر: القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ١٤، ١٥

(٤) نفسه ص ٢٠، ٢١، ٢٤.

موسى بن عمر الهباري والي السند أهدى إلى الخليفة المعتمد عام ٢٧١ هـ هدايا سندية قيمة، بينها سرير مصنوع من خشب العود، ولما قتل عمران البرمكي سنة ٢٢٧هـ = ٨٤١م كان بين متاعه عدد من الأسرّة مصنوعة من خشب العود بأيدي نجارين من بلاد السند(١) .

صناعة السفن والقوارب:

تقدمت هذه الصناعة كثيراً ببلاد السند في فترة الحكم العربي، فكانوا يصنعون القوارب من أخشاب النارجيل والقوارب من الأخشاب الأخرى بأحجام مختلفة، وكانت تستخدم في النقل والتجارة على امتداد السواحل دون الخوض في أعماق البحار، كما كان يستخدمها السكان في حمل بعض الثمار والخروج بها إلى البحر، وبيعها إلى التجار العرب القادمين بسفنهم التجارية الكبيرة(٢) ، وكذلك كان بعض الملاحين من عمان واليمن يأتون إلى بعض جزر الهند والسند، ويجمعون بعض الأخشاب والحبال ويقومون بتصنيع مراكب ويعودون بها محملة بالتجارة إلى البلاد العربية(٣) . ويذكر صاحب «فتحنامه سند» أمثلة تدل على صناعة السفن في بلاد شبه القارة الهندية، منها تلك المراكب التي تتم تجهيزها واستخدمها محمد بن القاسم في العبور للشاطئ الشرقي لنهر السند استعداداً للقاء قوات الملك «داهر»(٤) كما يذكر القوارب والمراكب الحربية التي استخدمتها قبائل الزط والميد أو الجتان في حربهم على نهر السند ضد السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٨هـ = ١٠٢٧م، وقد بلغ

---

(١) انظر نفسه ص ٢٤، ٢٥، ١٨٥، ١٨٦ .

(٢) انظر: سليمان التاجر - سلسلة التواريخ ص ٨، ١٠ .

(٣) انظر الإدريسي: نزهة المشتاق .. جـ ٨ إقليم ١

(٤) انظر فتحنامه سند ص ١٥٢، ١٥٦، ص ٦٩ من الترجمة الإنجليزية

عددها ما بين أربعة إلى ثمانية آلاف[١] .

كذلك ذكر مؤلف «فتحنامه سند» أن محمد بن القاسم عيّن حاكمين على منطقتين إحداهما بحرية والأخرى نهرية، وكان من مهامهما الإشراف على حركة التجارة وإقامة ترسانة لها، والعمل على صيانه وترميم السفن وتزويدها بالخدمات الشئ الذين ساعد على دخول السند ميادين التجارة الخارجية بهذه السفن، وجعلها تشتهر بالمواني الزراعية والصناعية[٢] .

أما عن الأسلحة وصناعتها، فإن أهل السند والهند يشتهر عنهم إنتاج الأسلحة والسيوف الخاصة التي شاعت في العالم العربي، ونسبتها المصادر الأدبية والتاريخية إلى تلك البلاد، يقول الجاحظ: «ولهم - أهل الهند - السيوف القلعية، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضرباً بها ..»[٣] .

ومن سيوفهم «السيوف البيلمانية» ويجيدون صنع السيوف أفضل من غيرهم من الأمم[٤] ، وبين ما عثر عليه في متاع عمران البرمكي -والي السند- عند قتله عام ٢٢٧هـ - ٨٤١م عدد كبير من السيوف والرماح السندية[٥] . وبعد الفتح الإسلامي استمرت السند في تصنيع كثير من الأسلحة العربية وصدرتها للعالم العربي، يقول القلقشندي: «من أرباب الصنائع بتلك البلاد صنّاع السيوف والقسيّ والرماح والزرد وسائر أنواع

---

(١) انظر: أبو سعيد عبد الحي الكرديزي: زين الأخبار جـ ٢ ص ١٠٠

(٢) انظر: الطرزي: موسوعة التاريخ جـ ٢ ص ٩٦

(٣) انظر رسالة فخر السودان ... ص٨٠

(٤) انظر : ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٤١

انظر الإدريسي: نزهة المشتاق جـ ٨ إقليم ١.

(٥) انظر القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ١٨٦

الأسلحة[١] ذلك كله بالإضافة إلى بعض الآلات والأدوات الحربية التي كانت معروفة وتقدمت في فترة الحكم العربي[٢] .

وهكذا نشأت صناعات لم تكن معروفة وتقدمت وتطورت صناعات عرفتها بلاد السند والهند قبل فترة الحكم العربي، وذلك بفضل عناية الحكام المسلمين واهتماماتهم بهذا النشاط المهم والضروري لرخاء وتقدم وازدهار هذه البلاد .

التجارة بشبه القارة الهندية خلال فترة الحكم العربي:

أسلفنا أن العرب عرفوا بلاد السند والهند منذ آلاف السنين، ونقلوا إليها تجارتهم، وحملوا منتجاتها إلى أوربا وغيرها، وكما نقلوا تجارة ومنتجات هذه البلاد إليها عن طريق مصر وبلاد الشام، وكان طبيعياً لهذا أن يكون للتجار والبحارة العرب صلة متينة بأهل السند والهند، وأن تكون لهم معرفة بالمدن الساحلية لهذه البلاد، بل إن العرب كان لهم وجود في خليج البنغال وجزر الملايو وأندونسيا، وأقاموا مستوطنات في العديد من المناطق الساحلية وبلغ عدد أفراد الجالية العربية في بعضها -أحياناً- عشرة الاف أسرة عربية[٣] .

ووفقاً للجغرافيين العرب، فإن بعض طرق التجارة كان يربط بلاد العرب ببلاد السند فقط، وبعضها يطول حتى يصل إلى بلاد الهند، وبعضها يواصل امتداده حتى الموانى الصينية، ويمكن القول بأن السفن التجارية ابتداء من

---

(١) انظر صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣

(٢) انظر الفصل الذي عقده عبد الرؤوف عون تحت عنوان «أنواع الأسلحة العربية» في رسالته للماجستير «الفن الحربي في صدر الإسلام» والتي تقدم بها إلى قسم التاريخ والحضارة في كلية دار العلوم نشرت بالقاهرة سنة ١٩٦١م.

(٣) انظر سلمان الندوي العلاقات بين العرب والهند بالأوردية ص ٨ - ١٢، وانظر ص٤٢من هذا البحث

القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي، كانت تتحرك من ميناء البصرة وتمر بميناء عمان، وتتزود بحاجتها من الماء العذب والوقود والتموين من ميناني السيراف ومسقط ثم تواصل مسيرتها نحو بلاد السند، فتصل إلى ميناء «تيز» بإقليم مكران السندي، حيث تدفع رسم عبور يتراوح بين دينار واحد وعشرة دنانير، ومن هذا الميناء تواصل السفن إبحارها إلى ميناء كولبى بالهند ومنه إلى مواني الصين[1] .

وهناك طريق آخر استخدمته السفن التجارية، كان يبدأ من عمان ويصل إلى ميناء تيز والديبل ببلاد السند لإفرا غ شحنات البضائع ثم تستمر السفن في مسيرتها من ميناء كولبى بالهند، حيث تشحن ببضائع السند والهند وتتزود بالمياه والتموين من ميناء سيراف، وتواصل السير إلى ميناء عدن ومنه إلى ميناء جدة، وهناك تكون السفن المصرية مستعدة لحمل الشحنات المتجهة إلى موانئ البحر الأبيض نظراً لخبرة المصريين بحركة التجارة في هذه المواني[2] وهذا يجعل ميناء «جدة» مكاناً تنشط فيه حركة التجارة، ولهذا فقد وجدت فيه كل الوان البضائع والمنتجات السندية والهندية والصينية والزنجبارية والحبشية والفارسية .. إلخ[3] .

وكان يوجد طريق ثالث تسلكه السفن التجاريه يبدأ من البصرة ويمر بالمواني الفارسية ثم السند حتى مواني الصين، حيث يتم تفريغ حمولة السفن ثم تشحن ببضائع صينية ثم هندية وسندية، وتصل أخيراً إلى ميناء البصرة

---

(١) انظر: سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ١٥ وما بعدها

(٢) انظر: السيرافي: سلسلة التواريخ ص ١٣٦

(٣) انظر: ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص ٦١، ٦٢.

الأسلحة[1] ذلك كله بالإضافة إلى بعض الآلات والأدوات الحربية التي كانت معروفة وتقدمت في فترة الحكم العربي[2] .

وهكذا نشأت صناعات لم تكن معروفة وتقدمت وتطورت صناعات عرفتها بلاد السند والهند قبل فترة الحكم العربي، وذلك بفضل عناية الحكام المسلمين واهتماماتهم بهذا النشاط المهم والضروري لرخاء وتقدم وازدهار هذه البلاد.

التجارة بشبه القارة الهندية خلال فترة الحكم العربي:

أسلفنا أن العرب عرفوا بلاد السند والهند منذ آلاف السنين، ونقلوا إليها تجارتهم، وحملوا منتجاتها إلى أوربا وغيرها، وكما نقلوا تجارة ومنتجات هذه البلاد إليها عن طريق مصر وبلاد الشام، وكان طبيعياً لهذا أن يكون للتجار والبحارة العرب صلة متينة بأهل السند والهند، وأن تكون لهم معرفة بالمدن الساحلية لهذه البلاد، بل إن العرب كان لهم وجود في خليج البنغال وجزر الملايو وأندونسيا، وأقاموا مستوطنات في العديد من المناطق الساحلية وبلغ عدد أفراد الجالية العربية في بعضها -أحياناً- عشرة الاف أسرة عربية[3] .

ووفقاً للجغرافيين العرب، فإن بعض طرق التجارة كان يربط بلاد العرب ببلاد السند فقط، وبعضها يطول حتى يصل إلى بلاد الهند، وبعضها يواصل امتداده حتى الموانئ الصينية، ويمكن القول بأن السفن التجارية ابتداء من

---

(١) انظر صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٣.

(٢) انظر الفصل الذي عقده عبد الرؤوف عون تحت عنوان «أنواع الأسلحة العربية» في رسالته للماجستير «الفن الحربي في صدر الإسلام» والتي تقدم بها إلى قسم التاريخ والحضارة في كلية دار العلوم نشرت بالقاهرة سنة ١٩٦١م.

(٣) انظر سلمان الندوي العلاقات بين العرب والهند بالأوردية ص ٨ - ١٢، وانظر ص٢١من هذا البحث

القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي، كانت تتحرك من ميناء البصرة وتمر بميناء عمان، وتتزود بحاجتها من الماء العذب والوقود والتموين من ميناني السيراف ومسقط ثم تواصل مسيرتها نحو بلاد السند، فتصل إلى ميناء «تيز» بإقليم مكران السندي، حيث تدفع رسم عبور يتراوح بين دينار واحد وعشرة دنانير، ومن هذا الميناء تواصل السفن إبحارها إلى ميناء كولبى بالهند ومنه إلى مواني الصين[1] .

وهناك طريق آخر استخدمته السفن التجارية، كان يبدأ من عمان ويصل إلى ميناء تيز والديبل ببلاد السند لإفراغ شحنات البضائع ثم تستمر السفن في مسيرتها من ميناء كولبى بالهند، حيث تشحن ببضائع السند والهند وتتزود بالمياه والتموين من ميناء سيراف، وتواصل السير إلى ميناء عدن ومنه إلى ميناء جدة، وهناك تكون السفن المصرية مستعدة لحمل الشحنات المتجهة إلى موانئ البحر الأبيض نظراً لخبرة المصريين بحركة التجارة في هذه المواني[2] وهذا يجعل ميناء «جدة» مكاناً تنشط فيه حركة التجارة، ولهذا فقد وجدت فيه كل الوان البضائع والمنتجات السندية والهندية والصينية والزنجبارية والحبشية والفارسية .. إلخ[3] .

وكان يوجد طريق ثالث تسلكه السفن التجاريه يبدأ من البصرة ويمر بالمواني الفارسية ثم السند حتى مواني الصين، حيث يتم تفريغ حمولة السفن ثم تشحن ببضائع صينية ثم هندية وسندية، وتصل أخيراً إلى ميناء البصرة

---

(١) انظر: سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ١٥ وما بعدها

(٢) انظر السيرافي: سلسلة التواريخ ص ١٣٦

(٣) انظر : ابن خردانبه: المسالك والممالك ص ٦١، ٦٢.

تحمل كل منتجات هذه البلاد[1] .

ويتحدث «ابن رسته» عن أهمية ميناء «تيز» بإقليم مكران فيقول: فأما بحر الهند فإن حده مما يلي المشرق جزيرة تيز مكران هذا الميناء وميناء الديبل كلاهما كان ميناءً كبيراً يمكنه استقبال السفن الضخمة الوافدة بتجاراتها من البلاد المختلفة، بينما لم يكن في إمكان بقية مواني السند إلاَّ استقبال المراكب التجارية الصغيرة المحملة بالبضائع من السفن الكبيرة[2] .

وهكذا يمكن أن نقرر أن حركة التجارة كانت نشطة، وأن التجارة السندية كان لها أسواق في البصرة وبغداد وعدن وعمان واليمن وجدة وفي بلاد فارس وخراسان وسيراف، وكانت «عدن» تعتبر من أعظم المراكز لتجميع البضائع السندية والهندية وتوزيعها للجهات الأخرى، كما كان ميناء «جدة» يستقبل السفن العمانية ويوجه ما فيها من بضائع إلى مواني البحر الأبيض المتوسط[3] .

صادرات وواردات بلاد السند والبنجاب في العهد العربي:

كانت هناك بضائع عديدة تصدر من بلاد السند مباشرة أو من بعض مدن الهند عن طريق السند، ويتم التصدير إلى البلاد العربية وبلاد فارس وخراسان، وإلى بلاد أفريقية وأوربا أحيانا، وبعض هذه البضائع كانت بضائع صناعية وبعضها بضائع زراعية.

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٦٤، ١٥٤.

وانظر أيضاً عن طرق اتصال العرب بالهند: غوستاف لوبون: حضارة الهند ص ٢٣٧ من الترجمة العربية.

(٢) انظر الأعلاق النفيسة ص ٨٦، ٨٧.

انظر الطرزي: موسوعة التاريخ جـ ٢ ص ١٠٢

(٣) انظر ابن خردانبه: المسالك والممالك ص ٦١

فمن المنتجات الزراعية قصب السكر[1] والعسل[2] والفانيذ (سكر النبات)[3] والتمر[4] والارز والمانجو والليمون والموز[5] والعنب[6] والرمان[7] والأجاص والتين والتوت والأترج والقثاء والخيار والخروب والتفاح[8] والنارجيل (جوز الهند)[9] والقنا والخيزران[10] والزهرة[11] والساج والخشب[12] والأبنوس[13] والصندل والقرنفل[14] والعنبر الهندي[15] والكافور[16] والعود

---

(١) انظر : الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٣، ١٠٥ ابن حوقل. المسالك والممالك ص ٣٦.

(٢) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٤٧٩.

(٣) انظر الاصطخري: المرجع السابق ص ١٠٥.

- انظر المقدسي: المرجع السابق ص ٤٨٠.

(٤) انظر: ابن حوقل المسالك والممالك ص ٣٦.

(٥) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم .. ص ٤٨٠.

(٦) انظر الاصطخري: المرجع والموضع السابق.

(٧) انظر الاصطخري: المرجع والموضع السابق.

(٨) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٤، ٤٥.

(٩) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص ١٧٢

(١٠) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٢٧.

القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٧٣.

(١١) انظر: ابن حرداذبه، المسالك والممالك ص ٦٢، ٧١.

(١٢) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٢٧، ص ٤٢٧

(١٣) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٥٠.

انظر ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص ٦٦.

(١٤) انظر:سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ١٣٨، والمسعودي: مروج الذهب جـ ١، ص ١٧٤

(١٥) انظر: سليمان التاجر سلسلة التواريخ ص ٦٠، والمسعودي: نفسه جـ ١، ص ٤٥٠

:انظر المسعودي: مروج الذهب جـ ص ١٢٧، ١٧١

(١٦) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٧٣، ١٧٤، القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص٥ ٢

الهندي[١] والزعفران[٢] والمسك على شكل عطور[٣] وبعض أنواع الخضاب والتين والفلفل[٤] وأنواع من الأدوية والعقاقير وكانت تصدر للعراق خاصة وللبلاد العربية عامة[٥] .

أما المنتجات الصناعية فكان يصدر منها للبلاد العربية الأحذية والمصنوعات الجلدية وجلود الإبل والمواشي وجلود الأفاعي[٦] والسجاجيد والبسط[٧] والأقمشة بألوانها المختلفة[٨] والأواني المصنعة من الفخار والذهب والفضة[٩] ، كما كانت تصدر المجوهرات والأحجار الكريمة والمعادن[١٠] وبعض

---

(١) انظر. المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٧٤، ٤٥٠، ابن خرذابه: المسالك والممالك ص ١٥٣.

(٢) انظر:المسعودي: الرجع السابق جـ ص ١٤٥ .

(٣) انظر:القاضي رشيد: الذخائر والتحف ص ٢٤، ١٨٥ .

المسعودي: مروج الذهب جـ ص ١٩٥، ص ٤٥١

ابن خردانبه: المسالك والممالك ص ١٥٣.

(٤) انظر المسعودي: روج الذهب جـ ١ ص ٤٥، ١٩٤

(٥) انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٤٢

انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٣.

انظر. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ٩٤

(٦) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ٢، ص ٢٢٢

القاضي رشيد: النخائر والتحف ص ٢٥.

(٧) انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم .. ص ٤٨١

انظر: القاضي رشيد: المرجع السابق.

(٨) انظر المقدسي: المرجع السابق ص ٤٨١

القاضي رشيد: المرجع السابق ص ٢٤، ٢٥، ٢٥٩

القلقشندي. صبح الأعشى جـ ٥ ص ٧٢

(٩) انظر الاصطخري المسالك والممالك ص ١٠٤

القاضي رشيد الذخائر والتحف ص ١٨٦

(١٠) انظر القاضي رشيد النخائر والتحف ص ٢١، ١٨، ٢٢٥

سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٢٣، ٥٩

المصنوعات الخشبية وبعض أنواع الملح(١) وبعض الأسلحة السندية والهندية التى استخدمها العرب وشهدوا لها بالجودة مثل السيوف والخناجر والرماح(٢).

إما واردات بلاد السند والبنجاب خلال الفترة العربية من المنتجات الزراعية فتتمثل في بعض الفواكه(٣) والتمر العراقي من البصرة(٤) والزيت واللوز(٥) والزيتون وزيت الزيتون(٦) والخل(٧) كما كانت تستورد العود الهندي اللازم للاستخدام في المعابد الهندية(٨) .

أما الواردات الصناعية فمن أهمها الأقمشة القطنية من مصر والعراق(٩) والحريرية والفرو من بلاد الروم(١٠) والخيول العربية الأصيلة(١١) ، واستوردوا النحاس أيضاً لاستخدامه في بعض الصناعات(١٢) والحديد(١٣) وبعض

---

(١) انظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص٢٥٩ .

(٢) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٢٦، جـ ٤ ص ٣٦، الجاحظ : رسالة فخر السودان على البيضان ص ٨٠.

(٣) انظر: القلقشندي: صبح الأعشى جـ ص ٨٣.

(٤) انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان ص ٣٤٩، القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٦٤.

(٥) انظر: ابن بطوطة: الرحلة جـ ٢ ص ١٠.

(٦) انظر: القلقشندي: المرجع والموضع السابق.

(٧) انظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٦١٣.

(٨) انظر سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٢٣ .

(٩) انظر القلقشندي: المرجع والموضع السابق.

(١٠) ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص ١٥٣.

(١١) انظر ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤٥٥ . القلقشندي: صبح الأعشى جـ ص ٧٦، ٨١.

(١٢) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٢٧.

(١٣) انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق جـ ٨ إقليم ١.

السـيـوف من بلاد الروم[1] والخـواتم الذهبيـة المزينة بفصـوص من الزمـرد والمحفوظة في علب جميلة وكانت تستورد من مصر[2] وكذلك والمرجان وبعض الأحجار الكريمة[3] .

---

(1) انظر: ابن خرداذبه: المرجع والموضع السابق.

(2) انظر سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٩.

(3) انظر سليمان التاجر: نفسه ص ١٤٥.

وانظر عن تجارة الهند د. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص ١٥ ، ١٦ .

الفصل الثالث

لمحة عن نظام الحكم في السند والبنجاب
خلال فترة الحكم العربي

السـيـوف من بلاد الروم[١] والخـواتم الذهبـيـة المزينة بفـصـوص من الزمـرد والمحفوظة في علب جميلة وكانت تستورد من مصر[٢] وكذلك والمرجـان وبعض الأحجار الكريمة[٣] .

---

(١) انظر: ابن خرداذبه: المرجع والموضع السابق.

(٢) انظر سليمان التاجر: سلسلة التواريخ ص ٩.

(٣) انظر سليمان التاجر: نفسه ص ١٤٥.

وانظر عن تجارة الهند. د. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص ١٥ ، ١٦ .

الفصل الثالث

لمحة عن نظام الحكم فى السند والبنجاب
خلال فترة الحكم العربى

نحاول هنا تقديم لمحة سريعة تتناول النظام السياسي والإداري والقضائي و العسكري والمالي ببلاد السند في الفترة من عام ٩٢ - ٤٩٢هـ = ٧١٠ - ١٠٩٨م.

ومن الطبيعي أن يكون هناك شيء من الاختلاف بين الأنظمة وطرق الإدارة المعمول بها في هذه البلاد وبين ما يطبق من ذلك في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى.. وذلك راجع إلى اختلاف البيئة الجغرافية وإلى الظروف التي مرت بها هذه البلاد البعيدة عن دار الخلافة والتي كانت مطمعاً لأصحاب بعض الاتجاهات، والتي شاهدت -ولاتزال- وجود ديانات عديدة متباينة، كما يرجع إلى العادات والتقاليد التي كان يتمسك بها سكان هذه البلاد من القبائل وخاصة قبيلتي الزط والميد، كل ذلك كان ولابد أن يترك آثاره على الأوضاع في هذه البلاد، فلنقدم كلمة عن كل ناحية من النواحي المشار إليها.

النظام السياسي:

منذ أن فتح المسلمون هذه البلاد سنة ٩٢ هـ = ٧١٠م وهي تعتبر ولاية من ولايات الدولة الشرقية التابعة للحكومة الأموية في دمشق أولاً ثم الحكومة العباسية في بغداد، ويميل بعض الباحثين إلى تقسيم هذه الفترة من حيث النظام السياسي الذي كان معمولاً به خلالها إلى خمسة مراحل:

المرحلة الأولى: من ٩٢ إلى ٩٦هـ = ٧١٠ - ٧١٤م وهي مرحلة الفتوحات وتأسيس الحكومة العربية بقيادة الفاتح محمد بن القاسم الثقفي.

المرحلة الثانية: من ٩٦ إلى ١٣٢هـ = ٧١٤ - ٧٤٩م وهي مرحلة تذبذب وانتقال كانت البلاد خلالها تخضع لوالٍ يعينه الخليفة الأموي ويعزله وكان ذلك

الوالي خاضعاً للخليفة إدراياً ومالياًو وسياسياً .

المرحلة فالثالثة: ١٣٢ إلى ٢٤٠هـ = ٧٤٩ - ٨٥٤م وقد ثبت فيها الحكم للعباسيين واستقر برغم بعض الاضطرابات السياسية في الداخل والخارج، وكان الخليفة يعين الوالي ويعزله، ويعتبر تابعاً له في كل ناحية، أما حكام المناطق فكانوا يتبعون الوالي المقيم في المنصورة، بما في ذلك والي الملتان التي كان الحكم فيها وراثياً، وإذا حاول بعض الحكام العصيان أو الاستقلال فإن والي المنصورة القوي كان يحمله على الخضوع، كما حدث مع الوالي هشام بن عمرو ١٥١ - ١٥٧هـ = ٧٦٨ - ٧٧٣م(١) .

المرحلة الرابعة: ٢٤٠ - ٣٧٣هـ = ٨٥٤ - ٩٨٣م وهي مرحلة الاستقلال الذاتي التي انفرد الولاة خلالها بحكم البلاد وانتشرت فيها العصبية والحروب والقبلية، وانقسمت إلى دولتين عربيتين إحداهما في المنصورة شرقي نهر السند تحت زعامة بني هبار، والأخرى في الملتان بالبنجاب غربي نهر السند تحت قيادة بني المنبه، وكان الحكم في كليهما وراثي مع التبعية المذهبية والسياسية دون الإدارية والاقتصادية، للخليفة العباسي، ولأول مرة وجدنا حاكم هذه البلاد يلقب بالأمير والملك والسلطان ويتخذ لنفسه وزيراً .

المرحل الخامسة: ٣٧٣ - ٤١٦هـ = ٩٨٣ - ١٠٢٥م وهي مرحلة ضعف واضطراب العرب بصورة استغلها الشيعة سياسياً ومذهبياً فأقاموا لهم دولا هناك يرعاها الخلفاء الفاطميون بمصر، وانتقلت الحكومة إليهم في الملتان ٣٧٣هـ = ٩٨٣م وفي المنصورة ٤٠١١ هـ = ١٠١٠م ثم عادت البلاد سنية باستيلاء الغزنويين على الملتان سن ٣٩٦هـ = ١٠١٠م وعلى المنصورة سنة

---

(١) أنظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٧٣.

٤١٦هـ - ١٠٢٥م، ومثّل ذلك نهاية الحكم العربي لهذه البلاد وبداية السيادة الفارسية، حيث عين عليها السلطان محمود الغزنوي حاكماً يدين بالمذهب السني[١] .

وكان الوالي على رأس الجهاز التنفيذي بهذه البلاد، وكان يقوم الخليفةباختياره أو يقوم بذلك مسئول العراق والولايات الشرقية، ويعهد إليه بالمسئولية عن الجوانب السياسية والعسكرية.

أما الناحية المالية والاقتصادية فكانت مسئولية والي الخراج، مثلما كان الحال في أقاليم الدولة الأخرى، وكان القاضي مشرفاً على النواحي القضائية والدينية، وكلاهما يعينه أيضاً الخليفة أو والي العراق، وكان والي البلاد مشرفا على الجميع، لا يستثنى من ذلك إلا محمد بن القاسم فقد كانت سلطاته الدينية والعسكرية والمدنية مطلقة تقريباً، وكان يلقب بعماد الدين محمد بن القاسم أمير السند[٢] وظل الحال هكذا ابتداء من الفتح الإسلامي ٩٢هـ = ٧١٠م حتى سنة ٢٤٠هـ = ٨٥٤م زمن الخلافة العباسية حيث استقلت الدولة الهبارية بحكم بلاد السند، وسطا الوالي على السلطة، وأصبح يتولى كل شيء، ولا يعترف بالخلافة العباسية إلا من الناحية الرسمية.

وكان يتم اختيار الوالي غالباً من بين المقيمين لفترة طويلة بالسند وممن خبروا أحوال البلاد السياسية والعسكرية مثل الوالي حبيب بن مرة الذي كان نائباً للوالي الجنيد بن عبد الرحمن[٣] ، وعمرو بن محمد بن القاسم نائب الحكم

---

(١) أنظر ابن الأثير: الكامل حوادث ٣٩٦هـ ج ٩ ص ١٨٦، وحوادث ٤١٦هـ ج ٩ ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) أنظر فتحنامه سند ص ١٠٣، وكذلك غوستاف لوبون حضارة الهند ص ٤٢٢ من الترجمة العربية

(٣) انظر ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦٦

ابن عوانه الكلبي، ثم أصبح نفسه والياً بعد ذلك، وبشر بن دواد المهلبي نائب أبيه داود بن زيد المهلبي والذي حكم البلاد بعد أبيه[١] .

وأحياناً كان الخليفة يعين والي السند من الشخصيات ذات الوزن السياسي والاجتماعي فكان غالباً ما يبقى في العاصمة ويرسل من ينوب عنه في حكم البلاد، ومن هؤلاء محمد بن سليمان الهاشمي الذي عيّن عبدالملك بن شهاب المسمعي نائباً عنه على بلاد السند فحكم من سنة ١٦١ إلى ١٦٢هـ[٢] ، ومثل دواد بن يزيد المهلبي الذي عيّن أخاه المغيرة نائباً عنه من سنة ١٨٤ إلى ١٨٥هـ[٣] ، وإيتاخ التركي المسئول عن بلاد فارس ومصر والذي عيّن عنبسة ابن إسحاق الضبي عام ٢٢٧ - ٢٣٥هـ نائباً عنه على بلاد السند[٤] .

وكان يساعد الوالي نائب عنه يتولى الإشراف على المسائل الإدارية وينوب عن الوالي إذا غاب، ويقود الجيش أحياناً، وقد عيّن محمد بن القاسم بعض نوابه حكاماً على المدن الكبرى، كما جعل بعض حكام السند القدامى مسئولين عن بعض المناطق، أو مستشارين سياسيين أو عسكريين له، كذلك جعل العرب حكاماً مدنيين أو عسكريين على بعض المناطق والمدن والحصون، وعيّن معهم مشرفين على المسائل الاقتصادية والسياسية وغيرها، وفي العصرين الأموي والعباسي كان نائب الوالي يعمل مستشاراً خاصاً له في المسائل ذات الطابع السياسي والعسكري وغير ذلك.

أما منصب الوزارة فلا نرى له ذكراً في بلاد السند إلا عندما عيّن محمد

---

(١) انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٧١٧، ٣٢٤، ٣٨٩، ٤٠٢، وابن الأثير : تاريخ ابن الأثير ج٥ ص ٤٥٥.

(٢) انظر : تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٩١.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٩٣ - ٤٩٨.

(٤) انظر : البلاذري: فتوح البلدان ٣ ص ٥٤٢

ابن القاسم كلا من الوزير «موكه وسيساكر Moka and Sisakar » في منصب الوزارة أيام الفتوحات الإسلامية ببلاد السند، ثم عندما استقلت الدولة الهبارية بحكم هذه البلاد وأصبحت السلطة فيها وراثية، عندئذ رأينا منصب الوزارة، وأصبح منصب الوزير هو أعلى منصب في الدولة بعد الأمير، وكان بمثابة المستشار الخاص له في كافة المسائل والمشرف الأمر على دواوين الحكومة ومن هؤلاء الوزير رباح أو الوزير زياد، وزير الأمير عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز الهباري سنة ٣٠٢هـ = ٩١٥م[1] .

وعلى كل حال فإن بيانات المؤرخين الذين زاروا شبه القارة الهندية خلال فترة الحكم العربي، تدل على أن الناس كانوا يعيشون في حالة طيبة من الناحية الاقتصادية، وحتى الفقراء لم يشعروا بضيق في العيش، وهذا يعني أن عدل الإسلام وسماحته قد انتشر في هذه البلاد، وأن الشعب شعر بالأمن والرخاء والاطمئنان في ظل تطبيق قيم ومبادئ الإسلام الاقتصادية والاجتماعية[2] .

النظام الإداري:

عرفت الدولة الإسلامية الدواوين منذ زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقد أدخل في البلاد ديوان الجند وديوان الخراج، وفي العصر الأموي عرفت الدولة أربعة دواوين هي ديوان الخراج وديوان الإيرادات وديوان الرسائل وديوان الخاتم الذي أدخله معاوية، رضي الله عنه، وفي العصر

---

(١) انظر المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص ١٨٩ ونزهة الخواطر ٦٧/٢ حيث يرد أسم الوزير زياد بدلاً من اسم الوزير رباح.

(٢) انظر الطرزى موسوعة التاريخ ج٢ ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٥ وما بعدها، ٢٣٣

العباسي كثرت الدواوين وتنوعت الاختصاصات الإدارية.

وفيما يتعلق ببلاد السند، تبنت الادارة العربية نفس الأسلوب الذي اتبع في البلاد المفتوحة حديثاً، فعملت بالقاعدة المتبعة فيها جيعاً وهي الاستفادة بالخبرات والعبقريات المحلية، وإجراء أقل تعديل ممكن في أسلوب الإدارة المعمول به محلياً، وهذا ما فعله محمد بن القاسم حين بحث عن الأكفاء في عالم الضبط والإدارة في النظام القديم، واتخذهم معاونين له وغمرهم بمنحه وعطاياه، ومن هؤلاء الزعيم «موكه Moka» الذي كان يطالب بالزعامة على قلعة تسمى «بيت Bait» على ضفتي نهر السند، فقد جيء به أسيراً إلى الفاتح المسلم فعامله بكل مودة وتقدير وردّ إليه أراضيه ومنحه عطية مقدارها مائة ألف درهم، وأهداه مظلة وطاووساً وكرسياً، وزاد فأنعم عليه بوسام شرف، وأنعم على كل أفراد جماعته «جماعة التاكرس (التاكورس) Takars (Thakurs)» بأردية وفرسان مسرجة[1].

ويقرر صاحب فتحنامه سند «Chach nama» أن أول مظلة أهدها محمد ابن القاسم هي تلك التي حصل عليها ذلك الزعيم «موكه» ومن الطبيعي بعد ذلك أن يصبح ذلك الرجل حليفاً مخلصاً للمسلمين.

وقد أشرنا آنفاً إلى شخصية أخرى قامت بدور أكثر أهمية وهي شخصية «سيساكار Sisakar» وزير الملك المهزوم «داهر»، فقد منحه ابن القاسم الأمان بناء على رغبته وجعله وزيره والمستشار الرئيسي للمسلمين وكان القائد المسلم يطلعه على كل الأسرار ولا يقضي أمراً دون مشورته ومعرفة رأيه في مختلف سياسات الحكومة وأساليبها في المسائل المدنية والعسكرية[2].

---

(١) أنظر H.M. Eliot...History of India I ... p. 165.

(٢) أنظر نفسه ج١ ص ١٧٦

وعندما وصل المسلمون إلى شمال السند احتاجوا إلى شخص خبير بأوضاع هذه المنطقة، وتصادف وصول رسول إلى معسكر المسلمين يحمل رسالة من «كاكسا Kaksa» أحد أبناء عمومة الملك داهر، فاستقبله القائد المسلم بالترحاب وأرضى نزعة حب التفاخر عند هؤلاء فتحدث عن الأسرة المالكة وعن أمرائها ووصفهم بأنهم حكماء ومثقفون وأهل للشرف والثقة، وعرض تعيين «كاكسا» مستشاراً له، فقبل الأمير العرض، وكان واحداً من الوزراء المثقفين الذين يعدون بين فلاسفة الهند، وكان ابن القاسم يقربه من مجلسه ويداوم استشارته، وقد سبق كل النبلاء والقادة من حيث الترتيب العسكري ووضع الأشراف على النواحي المالية على مستوى البلاد كلها بيديه، كما عهد إليه بخاتم الخزينة وجعله تحت تصرفه، وقد عاون ابن القاسم في كل شيء حتى أطلق عليه لقب «المستشار المبارك»[١]

وهكذا قوبلت سماحة ابن القاسم وثقته في القادة واستعانته بهم. بإخلاص النصح له والتعاون معه في كل شيء، وكانت سياسة الزعيم المسلم موضع تقدير وإكبار القادة والسكان المحليين.

لقد اهتم المسلمون بالقلاع العسكرية، أما الإدارة فقد تركت في أيدي الرؤساء المحليين الذين دخل بعضهم في الإسلام طواعية وعن رضى.

وغالباً ما يشار إلى التنظيم الإداري الذي تبناه ابن القاسم بعد انتصاره على الملك «داهر» تحت عنوان «استقرار برهمان أباد» وكان من بين مبادئه الأساسية معاملة المجوس غير المسلمين معاملة أكل الكتاب والنظرة إليهم باعتبارهم ذميين. بل سمح لهم بأمور لم يسمح بها لأهل الكتاب، فمثلاً لم يكن

---

(١) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠٢، ٢٠٣.

مصرحاً لهم بتجديد دور عبادتهم وكان الأمر يقتصر على الإذن ببقائها، ولكن هذه القضية عرضت على الحجاج فاستفتى فيها علماء دمشق، وأرسل مصرحاً لسكان الهند المجوس بترميم معابدهم ما داموا يؤدون ما عليهم من واجبات مالية، لأنهم ما داموا يلتزمون بما عليهم من واجبات فإن من حقهم أن يمارسوا حريتهم بالأسلوب الذي يروق لهم(١)، وقد اعتمدت فتوى علماء دمشق على الاسترشاد بالقرآن والسنة وبعمل الخلفاء والسلف الصالح ولم تكن المذاهب الفقهية قد ظهرت بعد.

ولم يبق المسلمون للبراهمة على مراكزهم الدينية فحسب، بل صدرت أوامر توفر لهم الحماية وتمنحهم الثقة وتعترف بمكانتهم الإدارية، وقد أمر ابن القاسم بإحضار هؤلاء إليه وتحدث إلى منزلتهم في ظل النظام القديم، وأشار إلى ما لابد أن يكون عندهم من معلومات جيدة عن المدن والضواحي، وطلب أن يستفيد بما لديهم من كفاءات، وانطلاقاً من هذا ومما عنده من ثقة كاملة في شرفهم، فإنه عهد إليهم بكافة المسائل الإدارية بالبلاد، وكل هذه الجوانب تعتبر من مسئولياتهم ليس هذا فحسب، بل إن هذه الوظائف تكون لهم ولذرياتهم لا تسترد ولا تنقل إلى غيرهم، وحتى نسبة الـ ٣٪ التي كانت تمنح للبراهمة في ظل النظام القديم بقيت تمنح لهم(٢).

وفوق ذلك التسامح الديني والإداري، فإن ابن القاسم أبقى على النظام الضرائبي القديم عملاً بمشورة وزيره ووزير «داهر» من قبل، لقد أكد له أن التنظيمات واللوائح المعمول بها تؤكد سلطة الإمام العادل، وتمكّنه من التغلب على الاعداء وتحبب الرعية فيه، وتيسر له الحصول على موارد مالية جيدة،

---

(١) انظر: Eliot and Dowson: History of India, 1, p. 185, 186.

(٢) انظر: Eliot .....: History of India, 1, p. 185, 186.

لهذا فإنه لا ينصح بفرض أية أعباء أو إضافات جديدة، وعلى العاملين والموظفين أن يحرصوا ألا يضار أحد، وأن تجمع الضرائب الحكومية بطريقة لا تسبب قلقاً واضطراباً، ولهذا فقد تم تعيين أناس من رجال القرى ورؤساء المدن من بين سكانها لهذا المهمة حتى يشعر الناس بالأمن والحماية(١) ، وطلب ابن القاسم من هؤلاء الموظفين - ومعظمهم من البراهمة - أن يكونوا صورة مشرفة باعتبارهم واسطة التعامل بينه وبين الرعية، كما طالب بتوزيع الأعباء بصورة متساوية ووفقاً لمقدرة الفرد المالية، ولهذا تحددت ثلاثة مستويات من الجزية كان على الغني دفع ٤٨ درهماً من الفضة ومتوسط الحال يدفع ٢٤ درهماً ولا يدفع أبناء الطبقة الدنيا إلا ١٢ درهماً، كذلك صدرت الأوامر بتعويض من أضيرت ممتلكاتهم بسبب العمليات العسكرية(٢) .

أما عن الأراضي المفتوحة فقد بقيت في يد السكان الأصليين واكتفى بفرض الخراج عليها، اتباعاً للمنهج الذي تبناه الخليفة عمر، رضي الله عنه، إذ أن كل الشواهد تدل على أن الشيء نفسه روعي مع أراضي السند.

وعندما جاء حكم الأمويين، أجروا تعديلات بسيطة في نظام الحكومة متأثرين بما رأوه من مظاهر الحضارة البيزنطية، وفي زمن العباسيين تطورت الإدارة كثيراً مستفيدة بما عرف العرب من تجارب الساسانيين، وإن بقى النظام الإداري في السند بسيطاً وخالياً من التعقيدات.

وبالإضافة إلى ملامح الإدارة العربية التي استمدت أصولها من فترة حكم

---

(١) نفسه ص ١٧٦، ١٨٣.

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٨٤ وانظر في كل ذلك
S. M. I Kram: History of muslim Civilisation pp. 8. 14.
K. Ali & A. S. Bukharia: A new History p. 145. 146.

سيدنا عمر، رضي الله عنه، وبعض خلفاء بني أمية، فقد تأثر التنظيم الإداري في السند بنصائح الحجاج، والي العراق والإمارات الشرقية، التي أبداها عندما عرضت عليه بعض المشكلات، فأرشد إلى حلها بصورة تدل على واقعيته وحنكته السياسية، وقد سبق لنا إشارة -مثلاً- إلى المبادئ الأربعة التي بيّن «الحجاج» أن الحكم المستقر يقوم عليها[١] .

أما عن الدواوين بالسند والبنجاب، فيبدو أن ديوان الرسائل كان معروفاً في هذه البلاد زمن محمد بن القاسم، فقد كان ذلك الوالي يطلب من الكتاب تدوين ما يمليه عليهم من معلومات سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو غيرها في صورة رسائل يبعث بها إلى الحجاج والي الخليفة، كما دارت مراسلات بين الوالي هشام بن عمرو التغلبي والخليفة المنصورة ببغداد[٢] ، وكان حكام المدن والأقاليم مكلفين بكتابة تقارير شهرية عن الأوضاع كاملة في مناطقهم وإرسالها للوالي محمد بن القاسم.

وكان هناك نظام للبريد يربط الدولة الأم بالأقاليم التابعة لها بما في ذلك أقليم السند والبنجاب، ويربطها أيضاً بالمدن والبلاد الخارجية، ويبدو ذلك واضحاً -مثلاً- في اتصال الوالي محمد بن القاسم المستمر بالخليفة وبوالي العراق، وكانت الخيول الأصيلة هي وسيلة نقل البريد، حيث كانت تجهز عدة خيول على مسافات معينة، فيخرج البريد من بغداد ويمر بالبصرة والأهواز

---

(١) انظر: Mirza Fredun Beg. tr. Chachnama p. 101 - 102

نقلا عن :

S. M. Ikram: History of muslims civilisation .. p

K. S. Lal: early muslims in India, p. 24.

وانظر ص ١٠٧ من هذا البحث

(٢) انظر ابن الأثير: تاريخ ابن الأثير : ج٥ ص ٤٥٧.

والشيراز وغيرها حتى نصل إلى «تيز» في أقليم مكران بالسند، ثم يسير في مدن سندية مختلفة إلى المنصورة العاصمة ومنها إلى «الور» والي مدينة الملتان، وكانت خيول البريد تقطع في اليوم الواحد نحو مائتي ميل(١) .

وفي العصر العباسي الثاني أصبح للبريد طريقتان. طريقة بريد الخيل وتسمى الولاق «أولاق» وهي خيل تابعة للحكومة، ويتم تبديلها كل أربعة أميال وتسليم ما معها من رسائل، والطريقة الثانية طريقة بريد الرجالة وفي ظلها يقسم الميل الواحد إلى ثلاثة منازل أو محطات، وفيها يتم تبادل الرسائل، وفي كل ثلاثة أميال توجد قرية عامرة بها مكتب بريد يتلقى الرسائل ويقوم بتوزيعها ويسلم الرسائل المرسلة، وهذه المحطة كانت تسمى «الدادة والمدادة» يعمل بها رجال بريد متميزون، وبذلك يتم نقل الرسائل في سرعة ونظام(٢) ، كل هذا بخلاف نقل البريد بواسطة أكياس معينة يحملها رجل بريد يستخدم السفن في نقلها من بلد لآخر.

أما عن الحجابة فلم تكن معروفة في بلاد السند إلا عندما استقل الأمراء بالحكم في لعصر العباسي، عندئذ بدأنا نسمع عن حاجب الأمير أو السلطان(٣) .

نظام الشرطة:

من الطبيعي أن تكون هناك شرطة ونظام للشرطة يحرص على أمن المجتمع واستقراره، كما كانت هناك شرطة سرية بقليم السند والبنجاب، يعينها الخليفة أو والي العراق لدراسة أوضاع البلاد من كافة النواحي وإرسال تقارير عنها تمهيداً لاتخاذ الإجراءات اللازمة(٤) . كما استخدم الولاة الشرطة

---

(١) انظر أبو ظفر الندوى. تاريخ السند ص ٣٩٩.

الطرزى موسوعة التاريخ ج٢ ص ١٨٦

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ج٢ ص ٣

السرية للإلمام بالحركات المعادية وبالأوضاع في مناطق الغليان والتعصب القبلي وبكل التحريات التي تسيء للحالة الأمنية، و.أول من فكّر في وضع نظم للشرطة السرية محمد بن هارون والي الأمويين على مكران قبل الفتح الإسلامي لبلاد السند والبنجاب[1] ثم تطور هذا النظام في زمن محمد بن القاسم ويذكر أن الحجاج كان قد أرسل رجلاً يد عى «طيار» كلّفه بجمع معلومات عن جيش فتح السند وكل ما يتعلق به من تحريات وأخبار، وهو الذي أخبره بالموقف الخطير الذي تعرض له ذلك الجيش نتيجة نقص المواد الغذائية ومرض الخيل الوبائي في بعض مراحل الفتح، فعالج والي لعراق الموقف وأنقذ القوات الإسلامية[2] ، وقد اكتمل هذا النظام زمن الوالي الجنيد بن عبد الرحمن ١٠٧ - ١١١هـ = ٧٢٥ - ٧٢٩م الذى استعان به للقضاء على المتمردين الذين أقاموا حكومة مستقلة بإقليم «برهمان أباد»[3] ، كما استعان الولاة في العصر العباسي وحكام المنصورة والملتان بالشرطة السرية لمعرفة الأخبار السياسية ومعرفة الموقف الشعبي من الأعباء المالية وغير ذلك[4] .

النقود والعملات:

كانت النقود التي تضرب في دمشق أو بغداد هي المستخدمة في بلاد السند باعتبارها إقليماً من الأقاليم التابعة للدولة الإسلامية أو أن نقودهم كانت القاهريات كل درهم خمسة دراهم[5] ، وظل الحال هكذا إلى نهاية العصر

---

(١) انظر أبو ظفر الندوي. تاريخ السند بالاوردية نقلاً عن الطرزي . موسوعة التاريخ ج٢ ص١٨٩

(٢) انظر فتحنامه سند ص ١٤٨ ، ص٨٠ وما بعدها من الترجمة الانجليزية

(٣) انظر البلاذري: فتوح البلدان ج٣ ص ٤٥١ .

انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣ ص ٦٦

(٤) ابن خردانبه : المسالك والممالك ص ٥٧

(٥) أنظر: الأصطخري: المسالك والممالك ص ٩٤ ، ص ١٠٣

المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٤٨٢ .

الأموي حيث بدأت النقود تضرب في بلاد السند نفسها بأمر الولاة الذي استقلوا بالحكم فيها.

وأول من ضربت السكة باسمه من الولاة العرب هو «منصور بن جمهور الكلبي» ١٢٨-١٣٤هـ = ٧٤٥ - ٧٤٩م وكان قد استقل بحكم البلاد إلى أن قضى عليه العباسيون، وقد عثر على عملات يغلب على الظن أنها تحمل اسمه في منطقتي «دالورجوبجيور» و «بهامبهور»، وهذه العملة مصنعة من النحاس الأصفر زنة ٣٢ جراماً، وقد كتب على وجه العملة في الوسط «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ثم شيء غير مقروء، وكتب على ظهر هذه العملة «محمد رسول الله» وبجوارها «باسم الله ضرب في المنصورة ما أمر به منصور»[1].

وفي سنة ٢٤٠هـ = ٨٥٤م عندما استقلت الدولة الهبارية بحكم البلاد، وجدت عملات تحمل أسماء أربعة من حكام هذه الدولة، أولهم عمر بن عبد العزيز الهباري وهي مصنوعة من الفضة بحجم ١/٢ ١سم وزنة تسع ذرات ومكتوب على وجهها «الله - محمد - رسول الله - عمر» ومكتوب على الظهر بخط كوفي (يا الله - بنو عمر - وعنه منذر» أما الوالي الثاني فهو عبد الله ابن عمر الهباري وعملته من الفضة حجم ٢ سم ووزنها ثمانية ونصف ذرة، ومكتوب على وجهها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وعلى الظهر «محمد رسول الله» (الأمير عبد الله) على شكل نجوم أربعة. كما كان لنفس الأمير عملة من النحاس الأحمر، حجمها ١/٢ ٢سم ووزنها ١٨ ذرة، مكتوب على وجهها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وعلى الشهر «محمد رسول الله» (عبدالله)، والأمير الثالث هو «محمد بن عمر الهباري» وعملته من النحاس الأحمر حجم ٣س،

---

(١) أنظر الطرزي موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٢ ص ١٩٧ وما عنده من مصادر

ولايعرف عنها إلاّ أن ظهرها مكتوب عليه «يا الله محمد»، والأمير الرابع والأخير هو أحمد بن عمر الهباري» وعملته من الفضة ومكتوب على وجهها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وعلى ظهرها «محمد رسول الله - الأمير أحمد» وكل منها في صفوف ثلاثة.

كذلك وجدت عملة سندية محلية ذهبية عرفت باسم «الدنانير السندية» وكانت تباع بثلاثة دنانير في بلاد السند، وبلغت قيمتها خمسة دراهم عراقية[1] كل ذلك بالإضافة إلى العملات الأجنبية التي عرفت طريقها إلى هذه البلاد[2] .

النظام القضائي:

يرجع الاهتمام بهذه الناحية إلى زمن الفتح الإسلامي، فلم يكن الغرض منه مجرد الفتح، وإنما نشر الدعوة الإسلامية وتعريف الناس بالإسلام وبشريعته، ولهذا جاء في صحبة ابن القاسم عدد من العلماء والدعاة والقضاة، وزعهم على البلاد المفتوحة، وعين أحد العلماء المعروفين وهو «موسى بن يعقوب الثقفي» قاضياً على مدينة «ألور» عاصمة البلاد السابقة وعهد إليه بمهمتي القضاء والإشراف على تبليغ الدعوة والخطابة في المسجد الجامع[3] ، وقد

---

(١) أنظر سليمان التاجر : سلسلة التواريخ ص ١٤٦

أبو ظفر الندوي: تاريخ السند ص ٣٧٣.

الطرزي: موسوعة التاريخ ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) انظر الاصطخري: المسالك والممالك ص ١٠٣

المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٨٢.

القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٤: وقد نقل عن الشيخ مبارك الانباتي أنه كانت هناك أربعة أنوع من الدراهم تعامل بها أهل هذه البلاد، وحدد وزن كل منها ذهباً وقارن بينها وبين الدرهم المصري.

(٣) النظر : تاريخ المعصومي: ص ٢٨.

استمر منصب القضاة وراثياً في أسرة هذا العالم لعدة قرون، فقد قابل «على الكوفي» مترجم كتاب «فتح السند» من العربية إلى الفارسية، قابل ٦١٣هـ = ١٢١٦م، القاضي على «ألور» في ذلك الوقت واسمه إسماعيل بن علي الثقفي، وهو من سلالة «موسى» المشار إليه آنفاً(١) .

كما عين ابن القاسم عالماً لقب بالشيباني - ولا تذكر المراجع عنه أكثر من هذا - على قضاء «سيوستان» وأقره الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز على هذا المنصب وظلت ذريته تتوارث نفس الوظيفة حتى القرن الثامن الهجري.

فقد قابل الرحالة ابن بطوطة قاضياً ينحدر من سلالة هذه الأسرة وقرأ ذلك القاضي على الرحالة أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يبقى المنصب وراثياً فيهم(٢) .

كذلك بنى محمد بن القاسم مسجداً جامعاً بمدينة «الديبل» وعين له قاضياً ومعلماً وخطيباً، وفعل نفس الشيء في مدينة «النيرون» (٣) ومدينة «القنوج»

---

(١) انظر مقدمة الترجمة الفارسية: يقول الدكتور جميل أحمد: «ومن أعقابه (موسى بن يعقوب) المتاخرين الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور، وكان خطيباً مصقعاً، وعالماً بامرا بالفنون الأدبية، وتقياً نقياً، اجتمع به على بن حامد الكوفي صاحب «ججنامة» ٦١٣ هـ - ١٢١٦م ورأي عندهم أجزاء من تاريخ غزوات المسلمين في السند وفتوحاتهم بها بالعربية، كتبها أباء القاضي فنقلها علي بن حامد الكوفي إلى الفارسية» .

انظر: محمود محمد عبد الله: اللغة العربية في الباكستان ص ٢١، نقلاً عن حركة التاليف بالعربية لدكتور جميل أحمد ص ٤٤ ط دمشق ص ١٩٧٧، ويشير النص إلي الترجمة الفارسية لكتاب منهاج الدين والملك لمجهول والذي فقد أصله العربي وبقيت ترجمته الفارسية وقد أشير إليه أكثر من مرة في هذا البحث.

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة جـ ٢ ص ٤.

(٣) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ... ص ٤٧٨.

وانظر ص   من هذا البحث.

و«برهمان أباد» وغيرها، فقد كان المسجد مقر القضاء مثلما كان مركز الدعوة ومقر إقامة الشعائر الدينية وموطن القيادة.

وعندما بنى العرب مدناً جديدة في السند مثل مدينة «المحفوظة» سنة ١١٢هـ = ٧٣٠م ومدينة «المنصورة» سنة ١٢١هـ = ٧٣٨م ومدينة «البيضاء» سنة ٢٢٥هـ = ٨٣٩م[١] ، واصلوا نفس سياسة بناء المساجد فيها واتخاذها مقراً للقضاء، ومركزاً لنشر الدعوة، وظهر منصب «قاضي القضاة» وأصبح علماً على من يتولى قضاء المنصورة باعتبارها العاصمة الجديدة للبلاد، ومن هؤلاء القاضي العالم الجليل محمد بن أبى الشوارب الذي نيط به هذا المنصب سنة ٢٨٢هـ = ٨٩٥م، ثم ابنه علي بن محمد بن أبي الشوارب، وقد استمرت هذه الأسرة، تتوارث هذا المنصب لفترة، وقد لقى الجغرافي المسعودي واحداً من قضاة هذه الأسرة سنة ٣٠٣هـ = ٩١٥م.

وممن تولوا مناصب القضاء بشبه القارة الهندية أحمد بن محمد المنصوري قاضي قضاة السند وهو من كبار اتباع أبي داود الظاهري، وممن عملوا على نشر ذلك المذهب ببلاد السند، وله مؤلفات في الفقه والحديث[٢] كما تولى التدريس في مدرسة له بالعاصمة المنصورة[٣] .

وهكذا كان قاضي القضاة مسئولاً عن التعليم والتبليغ والخطبة، فوق مسئوليته عن القضاء، ولعلو مكانته لم يكن يعينه الوالي، وإنما يقوم الخليفة بنفسه بإصدار أمر توليه لمسئولياته، ومن هنا فإن منزلته لم تكن أقل من منزلة

---

(١) انظر ص ٩٣، ٩٥، ١٢٥ من هذا البحث .

(٢) انظر: ياقوت معجم البلدان، كلمة سند.

(٣) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٤٨١.

انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٦

والي أو أمير البلاد.

وكما وجد نظام القضاء وجد نظام الحسبة، وكانت مهمة المحتسب هي نفس المهمة التي يؤديها في أقاليم الدولة الأخرى، من مراقبة الآداب العامة ومراقبة الحركة في الأسواق من حيث الأسعار ودقة الموازين والمكاييل ومنع الغش والاحتكار وعمل كل ما يؤدي إلي رفاهية ورخاء الشعب والهدف هو تحقيق العدالة ورفع الظلم، وكان يقضي بين غير المسلمين وفقاً لقوانينهم وعلى أيدي قضاتهم[١] .

وفوق كل ذلك وجدت «دار المظالم» منذ عهد الفتح وكانت مهمتها النظر في القضايا العاجلة التي لا تتحمل إجراءات التقاضي العادية، وقد تولى ابن القاسم بنفسه رئاسة مجلس المظالم، ثم بعد ذلك كان الوالي أو قاضي القضاة يقوم بهذه المهمة، وينظر في المظالم وفقاً لأهميتها ونوعيتها[٢] .

النظام العسكري:

تكوّن جيش الفتح من العرب ثم انضم إليهم الفرس في طريقهم نحو بلاد السند وأثناء عمليات الفتح دخل السند في الإسلام، وبدأوا يشكلون عنصر مهماً في الجيش، بل أصبحوا أكثر عدداً من العرب عند نهاية الفتوحات، فقد بلغ عدد المقاتلين بعد فتح الملتان خمسين ألفاً ما بين رجالة وفرسان، وكانت نسبة السند بينهم عالية.

---

(١) انظر المقدسي: المرجع السابق ص ٤٧٩ ، ٤٨١

K. Ali, b.s. Buklrari: A new histry .. P 148.

وانظر أيضا عن عمل المحتسب في شبه القارة:

Muhammrad Zaki: Arab accounts of India p. 62.

(٢) انظر فتحنامه سند ص ٢٠٧، ص ١٠٥ من الترجمة الإنجليزية

وفي عهد الوالي الأموي الجنيد بن عبد الرحمن ١١١هـ = ٦٢٩م أصبح حجم الجيش كبيراً؛ نظراً لحاجته إلى التعامل مع الخارجين على الشرعية، وإلى القضاء على الاضطرابات داخل بلاد السند، ونظراً لأنه وجه بعض القوات للفتح ببلاد الهند، فقد وجه جيشاً برياً كبيراً إلى إقليمي «كجرات» و«مالوه» في الهند، وجيشاً آخر سلك طريق البحر والنهر وفتح بعض المناطق هناك[1] .

وفي العصر العباسي الثاني حدث تطور هام، فقد استقل بعض حكام المناطق والمدن السندية عن والي المنصورة وعن دار الخلافة معاً، واهتم كل واحد منهم بالجيش، ليحافظ على حكمه في بلده، ومن هنا وجدنا الاهتمام بالعناصر المحلية في تشكيل الجيش وأن بقيت الحكومات عربية، وقد زار الجغرافي المؤرخ المسعودي المنصورة سنة ٣٠٣هـ = ٩١٥م أي بعد فترة من قيام الدولة الهبارية التى استقلت بالحكم في المنصورة سنة ٢٤٠هـ = ٨٥٤م وذكر ذلك المؤرخ أن جيش أمير المنصورة عبد الله بن عمر الهباري كان أربعين ألف جندي من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان وثما نين فيلاً حربياً مقاتلاً[2] وهذا الاعتماد على العناصر المحلية، أوصلها إلى القوة والنفوذ تدريجياً حتى تمكنت من الاستقلال بالحكم في فترة تالية.

وكان الجيش العربي من حيث التنظيم - يتكون من فرقة أو وحدات للمشاة وأخرى للفرسان، وفرقة المنجنيقات والدبابات وأسلحة النفط، وكانت تضم خبراء الهندسة وطبيعة الأراضي، ولكل من هذه قائدها ومجموعة من المساعدين، كل

---

(١) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ص ٦٢١

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٦٦، ٦٧.

(٢) انظر مروج الذهب جـ ١ ص ١٩٠.

هذا بالإضافة إلى فرق صغيرة أخرى مثل فرقة من الجمال لحمل الأسلحة والمؤن، وفرقة الإسعافات والسقاية؛ لتضميد الجراح وسقى العطشى أثناء القتال.

وفي ميدان القتال كان الجيش يقسم إلى خمس فرق رئيسية القلب وهي أهمها، كما أنها مركز القائد العام وكلها من الفرسان، وفرقة الميمنة وهي التي على يمين القلب، وتتشكل من المشاة، وفي الخلف فرقة السقاة والمؤخرة وفيها المؤن والأسلحة الاحتياطية. أما المقدمة فتتكون من الفرسان الأشداء، وتكون في الإمام وقد تسبقها فرقة استكشافية للاستطلاع ودراسة الأرض وجغرافية المنطقة، وكانت تصحب كل من القلب والميمنة والميسرة وحدة من فرق المنجنيقات.

ولابد أن يكون مع ذلك كله التخطيط السليم والروح المعنوية العالية والأسلحة الماضية، وقد استخدمت قوات السند الأسلحة الخفيفة مثل السيف والخنجر والرمح والسهم والقوس والدرع والخوذة .. إلخ. كما اعتمدوا على المنجنيق، تلك الآلة التى تشبه بعض المدافع الآن، وتستخدم في رمي أحجار ضخمة تهدم القلاع والحصون أو تفتح ثغرة يمكن النفاذ منها إلى داخل الحصن، كما تستخدم كذلك في ميادين القتال حيث تلقى قذائفها النارية والحجرية على قوات العدو، وقد أدت دوراً مهماً أثناء القتال في المعركة المصيرية بالسند، فقد قذفت حمم نيرانها على الفيلة فجرحتها، وجعلتها تولي الأدبار تدوس بأقدامها جنود السند أنفسهم(١) . أيضاً عرف العرب سلاحاً يسمى «الدبابة» وهي آلة يركبها أفراد مسلحون يطلقون السهام منها أثناء توجهها إلى الإمام إلى أن تصل إلى الجدران أو إلى بواب المدن، عندئذ يقوم

---

(١)انظر: البلازري: فتوح البلدان ص ٦١٢

الجنود بفتح ثقب في الجدار أو الباب مستخديمين آلة تسمى «الكبش» وبذلك يمكن للجنود دخول الحصن أو المدينة.

وقد استعمل العرب المشاعل والسهام النفطية، وكانوا يقذفونها بالمنجنيقات وما يشبهها على فرسان وفيلة العدو وهوداجها فتفر هاربة، كما كانوا يقذفونها من مسالفات بعيدة إلى داخل القلاع والحصون فتحرق كل ما يصادفها وتسبب خسائر في العتاد والأرواح[1] .

وكثيراً ما قام العرب بحفر الخنادق حول المناطق التي يستقرون فيها، بهدف حماية الأفراد والعتاد، وكانوا يقيمون الخيام، ويرسلون فرق الاستكشاف والمخابرات في مختلف النواحي، وبذلك يصبح من الصعب أن ينال العدو منهم.

ولابد أن نقول إن العرب بعد أن توطدت أقدامهم في شبه القارة، نجحوا في استخدام الفيلة باعتبارها سلاحاً مهماً في القتال، وقد اقتنوا النادر الممتاز منها وكان عند أمير المنصورة في القرن الرابع الهجري ٨٠ فيلاً منها فيلان من النوع النادر، كما كان يوجد عدد مماثل عند حاكم الملتان بالبنجاب وحكام المناطق الأخرى[2] .

(١) انظر: فتحنامه سند ص ٥٢، ١٠٨ مثلاً من الترجمة الإنجليزية. تاريخ المعصومي ص ٢٥

(٢) انظر: المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ١٩٠

الطرزى : موسوعة التاريخ .. جـ ٢ ص ٢٢٦

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

وقد رتبت وفقاً لألقاب المؤلفين مع عدم مراعاة أداة التعريف والزوائد مثل ابن أبو ... إلخ .

إبراهيم (محمد أبو الفضل)

انظر : الطبرى .

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى)

١- الكامل فى التاريخ مجلدات، بيروت ١٩٦٥ م

الإدريسى (الشريف محمد بن عبد العزيز)

٢- نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان، طبع روماً ١٥٩٢م.

أرنولد (سيرتوماس .)

٣- الدعوة الى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن (الأستاذ الدكتور وآخرين) القاهرة ١٩٧٠م.

الاصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرجى)

٤- المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى القاهرة ١٩٦١ .

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن يونس الخزوجى الطبيب)

٥ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جزءان القاهرة ١٢٩٩هـ.

اليوت (ت.س)

٦- ملاحظات نحو تعريف الثقافة تعريب شكرى محمد عياد (الأستاذ الدكتور) ومراجعة عثمان نوية نشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر فى القاهرة بدون تاريخ .

ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد

٧- تحفة النظار فى غرائب الأمصار المعروف برحلة ابن بطوطة جزءان القاهرة١٣٤٦هـ

البلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر)

٨- فتوح البلدان طبعة بيروت سنة ١٩٥٧م بتحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع.

البيرونى : (ابو الريحان محمد بن احمد)

٩- تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة طبع حيدر أباد الدكن بالهند١٩٥٨م.

ابن تاويت (محمد)

انظر : الكرديزى

الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر)

١٠- رسالة فخر السودان على البيضان طبع مصر ١٣٢٤هـ

جمال الدين (عبد الله محمد

١١- الجيش فى الدولة الفاطمية رسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ ثم نشرت

بعنوان«الدولة الفاطمية قيامها فى المغرب وانتقالها الى مصر مع عناية خاصة بالجيش»القاهرة ١٩٩٠م.

ابن حجر (شهاب الدين ابو الفضل احمد على بن محمد بن على العسقلانى)

١٢- الإصابة فى تمييز الصحابة أجزاء مصر ١٣٢٨هـ.

حسن (حسن إبراهيم حسن، الأستاذ الدكتور)

انظر (أرنولد)

١٣- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى أربعة أجزاء القاهرة ١٩٦٤م.

حسن (زكى محمد)

انظر : (زامباور)

الحسنى (عبد الحى بن فخر الدين الحسنى الندوى)

١٤- الثقافة الإسلامية فى الهند دمشق ١٩٨٣م.

١٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر أجزاء طبع حيد أباد الدكن الهند ١٩٤٧م

حقى (إحسان حقى)

١٦- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية بيروت ١٩٧٨م

حميد الدين (محمد حميد الدين الدكتور)

انظر : رشيد

ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى

البغدادي)

١٧- المسالك والممالك طبع ليدن سنة ١٨٠٠م

الحيني (محمد جابر عبد العال)

انظر : الاصطخري.

ابن خرداذبه (ابو القاسم عبيد الله بن احمد)

١٨- المسالك والممالك طبع ليدن ١٩٨٩م.

الخطيب (ابراهيم ياسين)

انظر: فريحات .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي)

١٩- العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون مجلدات بيروت ١٩٧١م.

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمدبن محمد بن ابي بكر)

٢٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أجزاء بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨.

الخوارزمي (ابو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب)

٢١- كتاب مفاتيح العلوم طبع القاهرة ١٣٤٤هـ.

داود بوته (عمر بن محمد)

انظر المعصومى .

داغر (يوسف اسعد)

انظر : المسعودى.

الدنيورى (ابو حنيفة احمدبن داود)

٢٢- الأخبار الطوال جزءان ططبع ليدن ١٨٨٨ م.

ابن رسته (ابو على احمد بن عمر)

٢٣- الأعلاق النفيسة فى تقويم البلدان طبع ليدن ١٨١٩ .

رشيد (القاضى رشيد بن الزبير)

٢٤- الذخائر والتحف تحقيق محمد حميد الدين (الدكتور) طبع الكويت ١٩٥٩ .

زامباور (ادوارد فون)

٢٥- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى جزءان نشر زكى محمد حسن (الدكتور) القاهرة ١٩١٥م

زعيتر (عادل)

انظر : لوبون

الساداتى (احمد محمد الأستاذ الدكتور)

٢٦- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية - الباكستانية وحضارتهم القاهرة ١٩٧٠م.

سليمان (سيد سليمان الندوى)

٢٧ الملاحة العربية عربه عن الأوردية مصباح الدين عبد الرحمن ونشر فى

مجلة الثقافة الإسلامية التى تصدر فى حيدر أبار الدكن بالهند اعداد أكتوبر ١٩٤١ / أكتوبر ١٩٤٢.

السيرافى (ابو زيد حسن السيرافى التاجر الرحالة)

٢٨- مذكرات السفر وسلسلة التواريخ طبع باريس ١٨٤٥م.

السيوطى (جمال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر)

٢٩- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة القاهرة ١٣٥١هـ.

شاكر (محمود)

٣٠- باكستان طبع بيروت بدون تاريخ

شلبى (احمد جاب الله استاذنا الدكتور)

٣١- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ٨ القاهرة ١٩٨٣م.

الشبال (جمال الدين الأستاذ الدكتور)

٣٢- محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الهند والجزيرة العربية.

مطبوعات معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٥٧م

الطباع (عبد الله وعمر انيس)

انظر : البلاذرى)

الطبرى : (ابن جعفر محمد بن جرير)

٣٣- تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبرى مجلدات بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٧٧م.

الطرزى (عبد الله مبشر) الدكتور

٢٤- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب جزءان ، طبع جده المملكة العربية السعودية ١٩٨٣م

الطويل (توفيق الطويل الأستاذ الدكتور)

٢٥- الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية ، دراسة مقارنة ، القاهرة ١٩٩٠م

عبد الجليل (عبد العزيز عزت)

انظر : المباركيورى

عبد الحميد (محمد محى الدين)

انظر : ابن خلكان .

عبد الرحمن (مصباح الدين)

انظر : سليمان الندوى

عبد الله (محمود محمد، الدكتور)

٣٦ - اللغة العربية فى باكستان: دراسة وتاريخ الباكستان، ١٩٨٤م

عون (عبد الرءوف)

٣٧- الفن الحربى فى صدر الإسلام . رسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية فى كلية دار العلوم بالقاهرة وطبعت بالقاهرة سنة ١٩٦١.

عياد (شكرى محمد، الأستاذ الدكتور)

انظر : اليوت

فريحات (حكمت عبد الكريم ، الدكتور)

بالاشتراك مع إبراهيم ياسين الخطيب

٣٨- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

عمان، الأردن ١٩٨٩م

ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن إبراهيم الهمذانى)

٣٩- مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن ١٣٠٢هـ

القلقشندى (ابو العباس احمد بن على)

٤٠- صبح الأعشى، مجلدات، القاهرة ١٩٦٣م.

الكرديزى (ابو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود)

٤١- كتاب زين الأخبار، مجلدان، عربة عن الفارسية محمد بن تاويت، طبع فاس بالمغرب ١٩٧٢م.

الكوفى (على بن حامد بن ابى بكر)

٤٢- فتحنامه سند، وهو الترجمة الفارسية لكتاب منهاج الدين والملك .

انظر : مجهول

لوبون (غوستاف)

٤٣- حضارة الهند، عربه عن الفرنسية ، عادل زعيتر القاهرة ١٩٤٨م.

مؤنس (حسين الاستاذ الدكتور)

٤٤- الحضارة، وهو العدد الأول من سلسلة «عالم المعرفة» التى تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، طبع الكويت، يناير ١٩٧٨م.

ماجد (عبد المنعم ، الأستاذ الدكتور)

٤٥- التاريخ السياسي للدولة العربية، جزءان، القاهرة ١٩٥٧م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي البصري)

٤٦- الأحكام السلطانية، طبع القاهرة ١٢٩٨هـ.

المباركبوري (أبو المعالي أطهر المباركبوري الهندي)

٤٧- العرب والهند في عهد الرسالة، عربة عن الأوردية عبد العزيز عزت عبد الجليل، القاهرة ١٩٨٠.

٤٨- العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، القاهرة ١٩٨٠م.

٤٩- الهند في عهد العباسيين، القاهرة ١٩٨٠م

٥٠- رجال السند والهند الى القرن السابع الهجري، طبع بومباي بالهند ١٩٥٨م.

محمود (حسن أحمد محمود، الأستاذ الدكتور)

٥١- الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي - ٢١- ٤٤٧هـ - القاهرة ١٩٦٨م.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)

٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مجلدات بتحقيق يوسف أسعد داغر، طبع بيروت ١٩٨٤م.

المعصومي (السيد معصوم بكر السندي)

٥٣- تاريخ سند المعروف بتاريخ المعصومى، تصحيح عمر بن محمد داؤد بوتيه طبع بومباى الهند ١٩٣٨م.

المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر البناء الشامى المقدسى البشارى)

٥٤- كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم، بع ليدن ١٩٠٩م.

المقدسى (مطهر بن طاهر)

٥٥- كتاب البدء والتاريخ، مجلدات، نشر فى باريس بعناية المستشرق كلمان هوار ١٨٩٩ – ١٩١٩م.

ندا (طه، الأستاذ الدكتور)

٥٦- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت ١٩٧٦م

ابن النديم (محمد بن إسحاق)

٥٧- كتاب الفهرست، جزءان ، بع القاهرة ١٣٤٨هـ.

النمر (عبد المنعم، الدكتور)

٥٨- تاريخ الإسلام فى الهند، القاهرة ١٩٨٩م.

نويه (عثمان)

انظر : إليوت.

هوار (كلمان)

انظر : المقدسى (مطهر بن طاهر)

ياقوت (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموى)

٥٩- معجم البلدان،أجزاء ، القاهرة ١٩٠٨ .

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)

٦٠- تاريخ اليعقوبى، جزءان،طبع بيروت ١٩٦٠.

يوسف (محمد يوسف الهندى الدكتور)

٦١- بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب .

مقال منشور فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة. المجلد الثاني عشر، الجزء الأول مايو ١٩٥٠م.

مجهول

٦٢- منهاج الدين والملك بالعربية لمجهول، ترجمة إلى الفارسية على بن حامد بن أبى بكر الكوفى بعنوان فتحنامه سند، ويعرف أيضاً بكتاب ججنامه، وقد نشر النص الفارسى فى إسلام أباد الباكستان سنة ١٩٨٣م ويبقى الأصل العربى مفقوداً .

ثانيا: المراجع الأوروبية

Abbasi (Muhammad Yusuf Abbasi) :

1- Muhammad Bin Qasim conquest of Amilitary appraisal.

Journal of Central Asia, Vol 11, July 1969.

Ahmad (Fazl Ahmad):

2- Muhammad bin Q asim, Lahore, Pakistan · 1981.

Baloch (N.A. Baloch):

3- An introduction to Fath Namasind, Islamabad, Pakistan 1983.

Bukhari (A. S. Bukhari) :

See K. Ali (M. A. Ali)

Burn (E. J. E) :

4- Camberidge history of India , Vol. IV ed By E. J. Rapson Richard Urn and Others, Cambridge 1922.

Dowson (Johndowson) :

See: Eliott.

Eliott, (H.M. Elliot):

5- The history of India as told ley its own historians, Edited By John dowson, 8 Volumes , Calcutta, India. 1867 then 1955.

6- Chach nama or Tarikh-i Hind wasind, extract By

Sir H. M. Elliot

edited By prof. John Dowson

Calcutta, India 1955.

Hussain (J. Hussain) :

7- Anillustrated history of pakistan, karachi, pakistan 1985.

Ikram (S. M.):

8- History of muslim Civilisation in India and pakistan 93-1273 = 711-1857 a political and cultural history, Lahore, pakistan 1982.

Jaffar (. S.M. Jaffar) :

9- Medieval india under muslim Kings, peshawar, pakistan .

K. Ali (M.A. Ali) and Bukhari (A. S. Bukhari) :

10- Anew history of India, pakistan upto 1562, Lahore, pakistan 1980.

Lal (K. S. Lal) :

11- Early muslims in India, Newdelhy 1984.

Majumadar (R. C.)

12- The arab invasion of India.

Journal of the Indian history, Vol.X .

Nicholson (Reynold A) :

13- Studies in islamic mysticism, London 1921

poole (stanly lane poole):

14- Nedieval India under the Mohammadan rule London 1951 then Newyork 1962.

Prasad (Ishwari prased) :

15- A short history of muslim rule in India, Lahore, pakistan 1986.

Qureshi (Ishtiaq Husain Qureshi) :

16- The muslim Community of the Indo-Pakistan Subcontinent, Karachi, Pakistan 1977.

Sachau (E. C. Sachau) :

17- AlBerunis India. With English transalation, cited ley Sachau, London. 1910.

Schimmel (Annemarie Schimmel) :

18- Islam in India and pakistan, Leiden 1982.

Tarachand:

19- Ashort history of Indian people.

Urn (E. J. Rapson Richard Urn)

See: Burn.

yasin (Muhammad Yasin) :

20 A Social History of Islamic India, Lahore, pa-
kistqn, 1958.

Zaki (Muhammad Zaki) :

21- Arab accounts of India, Delhi. India 1981.

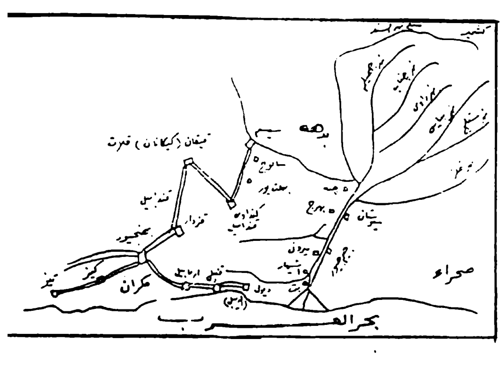
22- Encyclopedia of Islam, various articles.

فهرس الموضوعات

والحمد لله فى الاولى والآخرة

الجنوب

خريطة فتوحات محمد بن القاسم في شرق بلاد السند [سنة ٩٣ هـ]



خريطة فتوحات محمد بن القاسم في غرب بلاد السند ٩٣ هـ